الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية

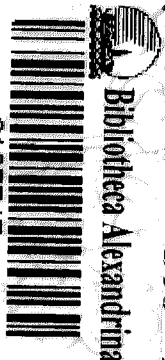
بقلم

على باشا مبارك

عن طبعة بولاق ١٨٨٩ م

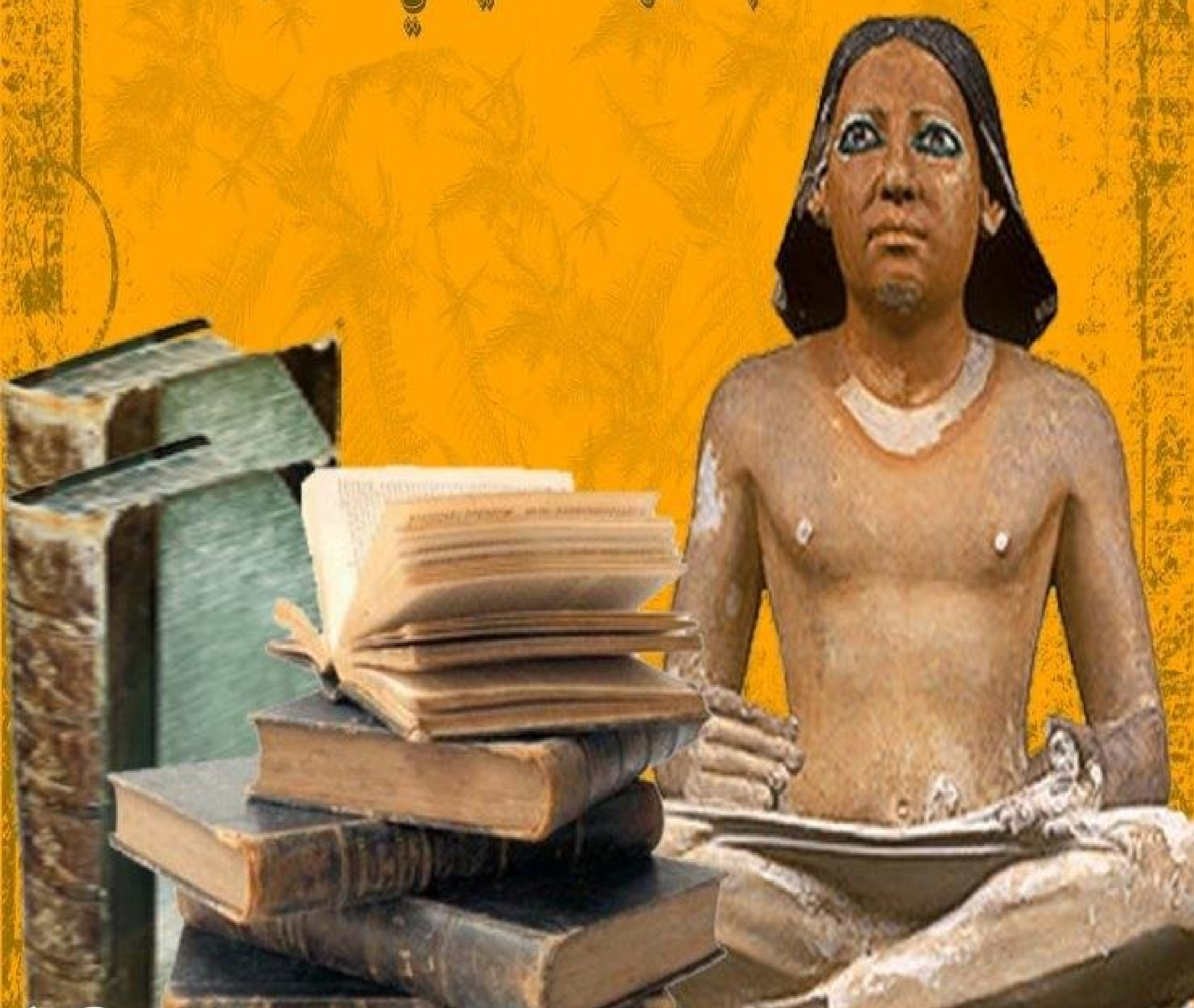
أعد فهارسها عبد الرحيم يوسف الجمل المدرس المساعد بكلية التربية ببور سعيد ـ وأشرف على إخراجها فاروق حامد بدر الموجه بوزارة المعارف السعودية

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة



مصر في عيون المرشد السياحي

مكتبة المرشد السياحي الضخمة



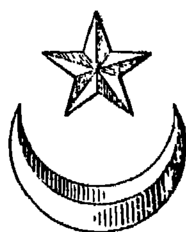
الخطط التوفيقية
لمدينة الاسكندرية

تأليف

علـى باشـا مبـارك

عن طبعة بولاق

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز . ت : ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا . ت : ٣٩٠٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابورى بالحلمية الجديدة



بسم الله الرحمن الرحيم

(مدينة اسكندرية) لم يوجد فى الاقطار المصرية من المدن الشهيرة التى حفظ المؤرخون حوادثها وقيدوها فى كتبهم مثل مدينة اسكندرية وان لم يبق من آثارها القديمة الا القليل ولعل سبب حفظهم لحوادثها واطنابهم فى آثارها أهمية موقعها عند من حكموا الديار المصرية وغيرهم بالنسبة للتجارة التى بلغت فيها درجة علائقها الغاية عند جميع الامم المتفرقة بسواحل البحر الابيض فبتلك الواسطة صارت تحت المملكة متسعة الاطراف قد مدت شجرة العلوم فيها أغصانها واتسعت دائرة المعلومات البشرية فى مدارسها وانجلت غياهب الشك عن حوادثها من ذلك الحين وصار كل ما سطر فى صحائف أوراق كتب التاريخ يكشف عن حقائق صحيحة بالنسبة لأحوال هذه المدينة وغيرها ويبين لنا أسباب خرابها وخراب ما حولها بذكر التقلبات والحوادث التى كانت تمتد من أطراف هذه الجهة اليها فتعطل أسباب الرزق من المزارع والمتاجر وغيرها ولذا نجد فى الكتب وصف أبنية عجيبة وآثار غريبة كانت بهذه المدينة وغيرها من مدن الوجه البحرى وان لم يبق الآن منها ما يدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العز فى الازمان الماضية ولنذكر لك نبذة نقلا عن السلف ما شاهدوه وما علموه من أمرها وكيف انقلاب الدهر عليها على حسب الترتيب الزمانى ليعلم القارئ سلسلة تلك التقلبات وما حدث فيها من خير وشر ويعرف قدر ما كانت عليه من العز والاسباب التى أزالته عنها فنقول: (المدة الاولى) بقيت الديار المصرية رافلة فى حلل سعدها وعزها قرونا عديدة والعلوم فيها زاهية زاهرة حين كانت الامم الاخر سابحة فى بحار الجهل وذلك كان قبل بناء اسكندرية التى لم يظهر ذكرها الا بعد انحطاط درجة مدينة منف وخرابها وأقوال المؤرخين مضطربة فى تقدير مدة التقدم فى هذا القطر والوقت الذى ابتدأ فيه ظهوره لكنهم متفقون على ان منشأه شواطئ النيل ثم انتقل منها الى ما جاورها من البلاد التى على سواحل البحر الابيض وكانت مصر زمن الفراعنة كعبة يحج اليها طلاب العلم من كل جهة ويقيمون بمدارسها ويتلقون عن علمائها وأخبارها الى أن دخل قمبيز هذه الديار وجعلها ضمن مملكة الفرس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد فأخذت فى الخراب من ذلك العهد وتهدمت أبنيتها ودمرت مدنها وامتدت يد الظلم والجور على العلماء والمدرسين فتلاشى أمر التقدم والعلم وانحط قدر الامة المصرية وصارت المعلومات والتقدمات ممنوعة عن السير جميع مدة الفرس كما أطبق عليه جميع المؤرخين والرومانيون تلك المدة كانوا فى أوائل ظهورهم فكانت دولتهم فى مهد الطفولية لا ذكر لها أصلا بخلاف الآن وأما فان التقدم الذى غرسه المصريون فى جزيرتهم زمن الفراعنة أخذ فى أهبة الظهور عندهم وكان لا يوجد فى موضع اسكندرية غير قرية صغيرة تسمى رقودة كان يسكنها قبل الفراعنة نفر من العرب.

(المدة الثانية) وهى سنة ١٩٣ ومن حين استيلاء الفرس على هذه الديار الى دخول اسكندرية وتغلبهم على مصر لم يرفيها غير فتن داخلية أضرت بالقطر وترتب عليها فقر الاهالى واهانة العلم وأهله ولم يلتفت الى أهمية موضع اسكندرية اصلا وبقيت قرية رقودة خامدة الذكر ومن النصر المتتابع للجيوش الرومية فى محاربتها بجيوش الفرس قويت شوكتهم وعظمت صولتهم وزادت شهرتهم وأخذت شجرة العلم التى غرسها المصريون فيهم تتسع وتعظم بها العظم قدرهم وعلى قدر عز الروم ذلت الفرس وتفرقت بها الفتن واضمحل حالها وساقها الى الزوال سوء

تدبيرها

تدبيرها ولما حلت الاروام محل الفرس أقاموا زمنا طويلا منفردين بالحكم على باقى الامم ثم انحطت دولة الروم بتلك الاسباب التى كانت للفرس ولمجاورة رومة لهذه الامة كانت تقتبس من معارفها وتتحلى بفضائلها حتى صارت تأخذ الروم فى التقهقر الى أن ظهرت ظهورها وأخذت جميع ذكرها وملكها (المدة الثالثة) وهى سنة ٣٠٢ فى تلك المدة زال ملك الاكاسرة من آسيا بالكلية ودخلت مصر فى ضمن فتوحات الاسكندر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد بعد قياس بقرنين تقريبا ونشأ عن هذا الانقلاب تغير كلى فى أحوال جميع الامم المتدينة التى تغلب عليها الاسكندر لانه نظر فيما يوجب ربط علائق هؤلاء الامم فلذا أسس مدينة الاسكندرية وسماها باسمه وجعلها مركز التجارات بدل مدينة صور التى هدمها وخربها فوردت اليها التجارة وعمرت فى مدة يسيرة وملأها الاغراب سيما الاروام وبلغت فى مدة قريبة درجة عظيمة فى الثروة والعمار بسبب كونها مقر حكومة البطالسة وانحط بها قدر منف وبسبب تحلية ملوك البطالسة لها بالمبانى والمعابد والمدارس صارت مدينة اسكندرية مركزا لجميع أمور العالم وشاع ذكرها حتى ملأ الآفاق وقصدها جميع الناس فاتسعت حدودها وعظم أمرها وفاقت جميع مدن الدنيا فى تلك الازمان وانتقل اليها العلم والعلماء وصارت مركز العلم والادب كما كانت مركز التجارة والسياسة وبقيت كذلك تلك المدة الطويلة زائلة فى حال العزلما اشتملت عليه من علوم المصريين والروم وتمدنهم فكانت كالشمس يستضئ بها كل انسان من أى بقعة ونسى بها غيرها من المدن وفى أغلب تلك المدة كانت مدينة رومة فى حال التبربر فاطلقت عنان طمعها وخربت مدينة قرطاجة وكرت بجيوشها على ما جاورها فاتسع سلطانها باستيلائها على ايتاليا وجزائر الروم ولم تكتف بذلك بل قصدت الممالك المشرقية ومن ذلك الوقت بدا فى الكون ذكرها واستمر ذلك الى وقت قيصر الروم أغسطس ولنذكر لك ملخص تاريخ تقلبات هذه المدة وحوادثها من ابتداء اسكندر الاكبر الى زمن دخول قياصرة الروم فنقول بعد موت الاسكندر صارت قسمة مملكته المتسعة بين رؤساء جيوشه فكانت مصر فى نصيب بطليموس بن لاغوس وكان أعظم الجميع عقلا وأكملهم فضلا فأسس دولة البطالسة سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وذكر المؤرخون أن بطليموس المذكور أخو اسكندر من السفاح لان ارسينوى والدة بطليموس هذا ولدته من فيلبش الذى هو والد الاسكندر وملك مقدونيا وهو الذى زوجها الى لاغوس والده وكان من نسل أحد العامة وكان بطليموس هذا من أعز أحباب اسكندر وصاحبه فى جميع حروبه واشتهر بلقب سوتير أى المنجى وسبب ذلك كما قال بعضهم انه نجى أهل جزيرة رودس من ظلم ديمتريوس ملكهم فلقبوه بهذا اللقب وقال آخرون سبب ذلك ان نجاة الاسكندر كانت على يديه فى وقعة من وقعات الهند فمن ذلك لقب بهذا اللقب وبطليموس هذا كان صاحب تدبير وعقل وافر غزير فلذا كان ابتداء جلوسه على تخت الديار المصرية آخذا فيما يوجب الملك الدوام والبقاء وصارفا جل همته فى استمالة قلوب المصريين فنشر فيهم ألوية العدل والانصاف وأوسع لهم فى العطاء فاحبوه ولاذ بساحته أغلب الرجال من ذوى العقل من رجال الاسكندر وغيرهم وتوصل لعقد معاهدات مع حكام الجهات المجاورة لملكه فاستقام حال مصر واستبشر أهلها بالامن والراحة ونمت فيهم الثروة التى كانت رحلت من بلادهم منذ زمن مديد ولم يمض عليه زمن يسير الا وقد ظهرت ثمرة حسن رأيه واصابته فان بيردكاس أحد أقرانه فى مدة الاسكندر رغب فى أخذ مصر منه وجرب عليه جيوشا لكن اخترمته المنية أثناء ذلك وبقى بطليموس مستريحا بعد هذه الفتنة التى كانت نتيجتها دخول بلاد القدس ضمن سلطنته لحفظ القطر المصرى من عدوية صده من الشام وربطه معاهدات صار بها مستقلا فى مصر وما والاها من بلاد العرب وبلاد ليبيا التى فى حدود مصر ومن ذلك الحين صار مالكا متصرفا لا يعارض وبذل الجهد فى اتمام مقاصد اسكندر من تمكين تجارة المشرق والمغرب من أرض مصر وفى زمنه وزمن من أعقبه فى الملك كثر ورود التجارة الهندية اليها بسبب ما حدث فى سواحل البحر الاحمر من المين العظيمة والمسالك الموصلة لتلك التجارة الى نيل مصر لتمر فى مدنها حتى تصل الى اسكندرية وتنقل الى أوروبا ومن تلك المسالك الخليج الذى كان يوصل الى السويس بالنيل فى الازمان القديمة والطريق المنتظمة فى الصحراء الشرقية فى الوجه القبلى بين النيل والقصير وجعل فيها الصهاريج والخفراء لامن المارين والمترددين فى تلك الفيافى فكانت المصريون ترسل تجارتها ومحصولاتها المعتادة كالصوف والحديد والرصاص والنحاس وبعض أوان من الزجاج وغير ذلك الى بلاد الهند وتستبدل تلك الانواع

المدة الثالثة

مطلب تقلبات الاحوال من ابتداء اسكندر الاكبر الى زمن قياصرة الروم

بطليموس الثانى

بالعاج والآبنوس والصدف والثياب الملونة وغير الملونة وأنواع الحرير واللؤلؤ والاحجار الثمينة والبهارات وأنواع البخور فكانت أيام بطليموس لاغوس كلها بالنسبة لمصر أيام رفاهية وتقدم وظللت أرض مصر أجنحة السعد وأخذت الاهالى فى ازدياد الثروة ثم لما تقدم فى السن خاف على ملكه من بعده فاشرك معه فى حكمه ولده من زوجته الثانية وقدمه على أولاده الذين قد رزقهم من الاولى ليدربه على سياسة الملك فكان الامر بينهما بالسوية الى أن توفى بعد ذلك بسنتين وذلك سنة ٢٨٣ قبل الميلاد فاستقل بالحكم بعده ولقب بفيلادلفوس أى محب الاخوة لان بعض المؤرخين ذكر أنه اجتهد فى استمالة قلوب اخوته فلقب بذلك وذكر بعضهم انه قتلهم واحدا بعد واحد بحيل مختلفة فلقبه أهل اسكندرية بهذا اللقب تهكما واستهزاء ومع ما فيه من فساد فقد اقتفى أثر والده فيما يجلب لاهل مصر السعادة فنمت التجارة والمعارف فى أيامه نموا شهدت به التواريخ والمدة التى كانت ورثة اسكندر تشعل فيها نار الحروب وتسوق بها الجيوش الى أن خربوا جميع جهات آسيا كان فيها بطليموس المذكور مشغولا بما يوجب رفاهية أهل مملكته فاوسع دائرة التجارة والفلاحة ووزع مياه النيل على الاراضى بانشاء الخلجان والجسور حتى اكتسب بذلك شهرة لم تمحها حوادث الزمن واعتنى بالعلم وأسس الكتبخانة التى أطنب فى مدحها المؤرخون

الكتبخانة

وصارت فريدة يقصدها الناس من الآفاق ولم تزل فى ازدياد الى زمن كيلوبترى فحرق أغلبها فى محاصرة قيصر بمدينة اسكندرية وفى زمنه أحضر كتبا كثيرة من كتب العبرانيين بناء على اشارة رئيس الكتبخانة وكتب الى رئيس أحبار بيت المقدس فطلب ستة أحبار من كل قبيلة من قبائل العبرانيين الاثنى عشرة ولما حضروا عنده أكرمهم وغمرهم باحسانه فترجموا له توراة موسى عليه السلام سنة ٢٧١ قبل الميلاد بمدينة اسكندرية فى المكان المعروف بجامع الالف عمود وهى النسخة الاصلية التى أخذ منها جميع نسخ التوراة التى فى أيدى الناس وفى تلك الايام كانت الاغراب كثيرة بديار مصر لانه من وقت وفود اسكندر وبنائه اسكندرية كانت الاغراب تتوارد وكثرت الاروام وأهالى السواحل الشامية بالاسكندرية وكانت التجارة بأيديهم فتأكدت العلائق بين المصريين وغيرهم من أهل المغرب ودولة الرومانيين حينئذ وان كان قد أخذ فى الظهور ولكن شهرته كانت محصورة بايتاليا ولما اشتهرت حروبهم وشاعت ووصلت أخبارها مصر رغب بطليموس فى تجديد علائق المحبة بينه وبينهم فعمل معهم شرائط الاتحاد ففى ذلك الوقت دخلت الرومانيون ضمن من دخل مصر واتجروا واستوطن أكثر الواردين منهم اسكندرية كغيرهم وفى تلك المدة كانت الغلواء وهم المسمون الآن بالفرنساوية تشن الغارات على الامم البعيدة وبالجملة أغاروا على الرومانيين ودخلوا أرض اليونان وآسيا وأرض مصر وبسبب تجالدهم على القتال كان منهم قوم فى جيش بطليموس وقوم فى جيوش اسكندر وفى مدة غياب بطليموس رفع أربعة آلاف منهم لواء العصيان عليه وهموا بنزع الحكومة منه فلم ينجحوا وقهرهم بطليموس فحصروا أنفسهم فى احدى جزائر النيل ولما تحققوا عدم الخلاص قتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم أحد وفى عقب ذلك جمع انتكورس طيوس ملك الشام عساكر كثيرة وهجم على ديار مصر لدولة البطالسة حسدا منه ثم انتهى الامر على الصلح بينهما وسبب ذلك ان فئة من المصريين كانوا قد خرجوا عن الطاعة فعظم ذلك الامر على بطليموس ولكنه تداركه بتزويجه بنته لملك الشام فانحسم أمر النزاع وزال ما كان فى النفوس لكن لم يتمتع بطليموس بثمرة هذا الصلح زمنا طويلا فان موت زوجته ارسينوى اخته أوجب تعجيل منيته لفرط حزنه عليها وكان موته سنة ٢٤٦ قبل الميلاد وجلس بعده على تخت الملك ابنه بطليموس الثالث ولقبه

بطليموس الثالث

أويرجيت أى المحسن وسبب تلقيبه بذلك أنه احضر معه بعد رجوعه من حرب الفرس أصناما كثيرة من أصنام آلهة قدماء المصريين وكانت أخذت من المعابد زمن جمشيد ومن ذلك يعلم ان المصريين كانت فى تلك الازمان تغيرت عن حالها القديم وداخلها الطيش والخفة فان بطليموس هذا كان غير مستحق لهذا اللقب فانه كان مشتغلا بالحروب فى بلاد بعيدة ولم يسر سيرة أبيه بل أهلك مال الدولة فى تلك الحروب وأتلف رجالها ونقصت درجة ثروة الاقليم عما كانت أيام أبيه وجده وجميع هذه الحروب التى فى سواحل الشام والفرات والعجم وحدود آسيا منشؤها أمر واه كانت تسويته ممكنة بدون سفك دم وذلك هو الانتقام لاخته من زوجها ملك بلاد الشام لانه كان هجرها وهذه الحروب لولا انهم تعصبوا عليه بمصر لدامت لكنه لما رأى ذلك رجع وأطفأ نار الفتنة وبعدها بقليل مات مسموما بواسطة أحد

اولاده

مطلب بطليموس الرابع

أولاده وذلك سنة ٢٢٠ قبل الميلاد وتولى بطليموس الرابع الذى قتل أباه وتلقب بفيلوباتور أى محب الاب لقبه بذلك أهل الاسكندرية تهكما وكانوا من أشد الناس عنادا وأقربهم للفتنة انقيادا ومع ذلك فتلقيبهم له بهذا اللقب مما يدل على جراءتهم فانه وان لم ير فى تواريخ تلك المدة ما يثبت بطريق قطعى ان هذه الفعلة حصلت منه لكن ما وقع منه بعد جلوسه على التخت فى عائلته الملوكية يحقق ذلك لانه لم يكتف بقتل أخيه وأخته التى كان متزوجا بها بل قتل والدته أيضا واحتظى بامرأة فاجرة جمالها فلقبوه أيضا بتريفون أى الجبار الشديد القسوة لقسوته وفجوره فلم يرتدع بل ازداد طغيانا وفسادا وفجورا وفسوقا وقسوة وانهمك فى اللذات والمعاصى وترك أمور الملك وأكثر من ظلم الرعية وأجحف فى طلب الاموال فتلاشى حال مصر وكانت أخبارها تصل الى ملك الشام انتيكوس الثالث أولا فأولا فظن ان الوقت وقت الانتقام من البطالسة فجرد على مصر لكن لم تساعده المقادير فانهزم أشنع هزيمة وبقى بطليموس بعد ذلك سبع عشرة سنة وهو فى لهوه ولعبه وما عمل شيأ يستحسن ذكره غير تجديد المعاهدة التى عقدها اجداده مع الرومانيين الى أن مات سنة ٢٠٤ قبل الميلاد وترك الملك لولده بطليموس الملقب بابيفان أى المحترم وكان عمره حين موت أبيه خمس سنين

مطلب بطليموس الخامس

فحدثت فتن واضطرابات داخل البلاد لان والدته من فجورها أخفت وفاة أبيه مدة طامعة ان تكون السلطنة لها واتحدت مع أخيها وبعض أخدانها وهمت بقتل ولدها فعلم بذلك أهل الاسكندرية فأخذوه منها قهرا وجعلوه تحت رعاية الرومانيين وقتلوها مع من اتفق معها أشنع قتلة ومن ذلك يعلم ان كلمة الرومانيين كانت بلغت عند المصريين حد الاعتبار وكانوا تداخلوا فى أمور بيت ملك المصريين حتى كان يحتمى بهم ويمتثل رأيهم واصغر سن بطليموس أقاموا له وليا وكانت الامور فى اضطراب فنتج من ذلك ان صاحب الشام اهتم فى ان يسترد البلاد التى كانت بطالسة مصر اغتصبتها منه فرأى انه ان زوج ابنته لبطليموس الخامس جمع بين العائلتين ووصل لمرغوبه ففعل ولكن خاب ظنه فان كليوباتره بنته فضلت زوجها عليه ولم تساعده على قصده ومع ذلك لم تحصل على شكر صنيعها من زوجها بل تمادى على الفجور والفسق واللهو واللعب الى أن قتل مربيه ووزيره ارسومين بالسم وكان مربيه هذا شريفا فى قومه فاضلا ومن شدة قسوته وتجبره قامت الاهالى فى حياته مرارا وطفئت نار الفتن جميعها بواسطة رئيس جيوشه وأخيرا اتفقت جماعة من رجال الدولة فقتلوه وخلصوا الملك من شره سنة ١٨٠ قبل الميلاد وأعقب من زوجته ولدين وهما فلومطور وفسكون وكان عمر الاول حين مات أبوه سبع سنين فاختارته الاهالى وجعلت أمر السلطنة موكولا اليه وكان

مطلب بطليموس السادس

بطليموس السادس لا يحب أمه ليلها الاخيه مدة ملكه ولذا لقب بلقبه الذى معناه محب الام وفى صغره استحوذ ملك الشام على بلاد فلسطين وغيرها من بلاده ولما تلك مقاليد الملك جرد عليه وحاربه فلم ينتصر عليه وأخذ أسيرا وتغلب ملك الشام على قلعة الطينة ودخل مصر فقام أهل الاسكندرية وجعلوا عليهم فسكون ملكا فلم يحاربه ملك الشام وخلى سبيل بطليموس فلوباتور من الاسر وسلمه جميع البلاد التى كان أخذها منه سوى قلعة الطينة فانه حفظها ليكون بسببها واقفا على حقيقة ما يصير بأرض مصر وما يقع بين الاخوين وينتهز فرصة عداوتهما البعض هذا ما كان منه وأما هما فاتفقا وأقاما فى الملك سوية فخاب ظنه وقهره الرومانيون على ترك مصر والرجوع الى بلاده ثم بعد ذلك وقعت الفتن بينهما وحزبا الاحزاب واقتتلا فغلب فيلامتور وطرد فسكون ففر الى رومة والتجأ بها فاغتنمت الرومانيون فرصة الشقاق لانها كانت تطمع فى الاستيلاء على مصر فتوسطت بينهما وحكمت لبطليموس فيلوباتور بالاقطار المصرية وجزيرة رودس ولاخيه فسكون ببلاد ليبيا وبلاد السيرانك أى القيروان فلم يقنع بذلك بل ذهب الى رومة وطلب جزيرة قبرس فحكموا له بها وكانت تلك الحالة باعثة حكومة الرومانية على أن تدخل فى أمر الديار المصرية دخولا تاما وبسبب فصلها قضايا البطالسة اتسعت دائرة سطوتها وقويت شوكتها فى هذه الديار ومن ذلك الوقت نفذت كلمتها فى حكومة المصريين فمهدت طرق الطمع فى الاستيلاء عليها وقد حصل ولا شك ان عدم الاستقامة وكثرة الظلم ينشأ عنهما كثرة الفتن وهذا كان حال مصر والشام فان اسكندر بلاص أحد الامراء طرد ملك الشام عن ملكه واتحد بملك مصر ورغبا فى تمكين علائق الاتحاد بين أولادهما تزوج اسكندر المذكور بنت بطليموس فرضى بذلك ثم عدل عنه فيما بعد وزوجها من سورتير ملك الشام المطرود وجمع عسكره مع عسكره وطردوا بلاص المذكور واستقر صهره على ملك أبيه بالديار المصرية والديار الشامية ونشأ عنها استيلاء اسكندر بلاص ثم

بعد تمهيد الامر تزوج ملك الشام بابنة ملك الملوك المجاورة له فخنقت عليه زوجته ودخل في نفسها من جهته ما دخل
وبعد موته أرادت قتل ولدها الوارث للملك عن أبيه بالسم رغبة منها في التصرف في بلاد الشام وجعل ابنها الثاني
الصغير بدله فلم ينجح مكرها فان ولدها ولي العهد اطلع على ذلك فاسقاها السم الذي كانت أعدته له ومن ذلك يعلم ان
بطليموس فيلاماتور أراد أن يفعل بحكومة ملك الشام ما أراد فعله ملك الشام قبله بحكومته فخاب قصد كل منهما وبعد
ذلك بقليل مات بطليموس سنة ١٤٥ قبل الميلاد وبعد ما بلغه موت اسكندر بثلاثة أيام فجلس على التخت ولقب نفسه
بالمحسن ولقبه أهل الاسكندرية بالمسيء لانهم يعرفونه قبل بالفسق والقسوة والذي مكنه من الجلوس على التخت أن
بطليموس لم يترك غير ولد صغير وهو الحقيق بالجلوس لكنه أبعده وجلس هو ولكن شرط عليه أهل الاسكندرية شروطا
منها انه يتزوج باخته زوجة أخيه وان يكون ابن أخيه ولي عهده فاظهر القبول وفي يوم زفاف زوجة أخيه له ذبح
ولدها في حجرها فلما رأى أهل البلد ذلك قاموا عليه فهرب الى جزيرة رودس فتنصبت بعده زوجته ثم بعد ذلك بمدة رجع
وطلقها وقدم لها على المائدة قطع ولدها التي كانت أتت به منه وتزوج بابنة أخيه فيلامتور وبقي بعد ذلك يتنوع في
الفجور الى أن مات قبل الميلاد سنة ١١٧ ومدة تملكه كانت تسعا وعشرين سنة ولم تنقطع الفتن فيها وذكر بعض المؤلفين
انه ألف تاريخا لمصر لم تعثر الناس منه الا على القليل وأعقب من ابنة أخيه ولدين غير ولده من السفاح كان اعطاه بلاد
القيروان ومات هذا الولد ولم يعقب وكان قد أوصى ببلاد القيروان للرومانيين فوضعوا عليها ايديهم وبهذه الطريقة
كان أخذها من البطالسة وصارت من هذا العهد من ضمن ملك الرومانيين وبسبب قربها من الديار المصرية ازداد
تداخلهم في أمور مصر وقوى طمعهم فيها وكانت الملكة كليوباترة متشبثة بجعل الملك لاصغر ولديها بطليموس اسكندر
وكان أهل الاسكندرية لا يوافقونها على ذلك بل يميلون الى الاكبر فوافقتهم على ذلك ظاهرا لا باطنا وأسرت الى
اسكندر جاني ملك اليهود أن يعينها فأجابها وأرسل لها عساكر وحصلت وقعة عظيمة بينه وبين بطليموس ثم انهزم ملك
اليهود وخابت مساعي كليوباترة ومع ذلك فلم ترتدع بل أخذت في ازدياد المكر والحيل حتى قهرت ولدها الاكبر على
الفرار الى جزيرة رودس وأقام بها وتخلى عن السلطنة لاخيه الاصغر فلم يمض غير يسير حتى طالبته بالحضور فلما حضر
خاف على نفسه وخشي أن تكون والدته مضمرة له سوأ فعجل عليها وقتلها ففزعت الاهالي من ذلك وقاموا عليه
وطردوه سنة ٩١ قبل الميلاد وبعد مدة قليلة قتله أحد الملاحين وانقطع ذكره من ذلك الحين وبقي أخوه بطليموس
الاصغر منفردا في الملك ثمانية وستين سنة وحصل فيها سنة ٨١ قبل الميلاد فتنة عظيمة في الجهات القبلية من مصر فجرد
عليها جيوشا وحاربها وانتصر عليها لكن من بقي من رجال الفتنة انحازوا قوم آخرين ودخلوا مدينة طيبة وتحصنوا بها
فحاصرهم بطليموس ثلاث سنين على ما قيل ثم انتصر عليهم وبدد شملهم وهدم المدينة وشتت أهلها وبعد موت بطليموس
لم يكن له غير بنت تسمى برينيس وسميت كليوباترة جريا على عادة بيت البطالسة فورثت والدها في الملك وجلست على
التخت وأقامت ستة أشهر بدون منازع وبعدها حضر في مدينة الاسكندرية من طرف سلا رئيس جمهورية الرومية
أحد أولاد بطليموس وكان اسمه اسكندر الاول وكان قد ترقى عند ملك البون ولما بلغه موت بطليموس توجه الى رومة
والتجأ اليه وحضر بمساعدة الى مصر ومعه مكاتبة بجعله ملكا على أرض مصر باسم بطليموس العاشر حيث انه الاحق
لانه الاقرب لبطليموس من الرجال فلم ترض المصريون بذلك ولكن خافوا حصول فشل فاتفقوا على أن يزوجوه
بكليوباترة ويكونا معا في الملك فتزوجها وبعد قليل قتلها فغضب أهل المدينة وحقدوا عليه ما فعل ومن خوفهم من
سلا لم ينتقموا منه عاجلا وما زالوا منتظرين الفرصة حتى مات سلا بعد أيام قليلة فقاموا عليه فهزمهم الى مدينة صور
سنة ٦٥ ومات فيها بعد زمن يسير وجعل في وصيته الديار المصرية للرومانيين ومع هذا لم تتعجل الرومانيون وضع أيديهم
عليها واسباب ذلك غير معلومة لكن يقال ان الامة المصرية تلك المدة كانت آخذة في الضعف والرومانيون كانوا
منتظرين تمام ضعفها اسما وهي المتصرفة في أمر الدولة المصرية وبيدها الحل والعقد فكانت آمنة من نقلها من يدها
جازمة بأن مصر تؤول اليها حتى انه لم يكن للبطالسة الا الاسم والدليل على ذلك أن تولية البطالسة كانت برأي الرومانيين
وأغلب أموال مصر تذهب اليهم على سبيل الرشوة وكانت افراد العائلة الملوكية المصرية تتسابق في العطايا فكان

مطلب بطليموس الاصغر

مطلب كليوباترة

الرومانيون يتبصرون لاكثر عطاء فترك بطليموس غير ابنته بيرنيس التى مر ذكرها ولدين من السفاح فاحضروا أحدهما وقلدوه الملك ولقب باوليت (النايائى) وجعلت جزيرة رودس للثانى وكانت الى ذلك الحين لم تنفصل عن حكومة مصر ولكن حكم الرومانيون بانفصالها وأسسوا ذلك الحكم على وصية اسكندر وارسلوا من طرفهم كاتون لاتمام هذا الامر فلم يقبل المصريون هذا الانفصال بل جعلوا رودس تابعة لمصر كما كانت وسعى بطليموس بالمال عند الرومانيين حتى تم له ذلك وتعاهد معهم وعد من أحبابهم بواسطة حبيبه قيصر وبومبيوس فانه دفع لهما ستة آلاف طالان هدية وهى عبارة عن مليون وخمسمائة ألف بينتو وضربها على البلاد المصرية فضجر واضجر اشديدا ونتج من ذلك خروج الأهالى عن طاعته وطردهم له وتولية بنته بيرنيس بدله فذهب الى رومة وأقام بها زمنا حتى استمال قلوب أكثر أمرائها بالمال وطال عليه الحال هنالك وابنته غير غافلة فانها تزوجت باكبر القسس بمملكة البون وتمكنت فى مكانها ولما رأى والدها ان اقامته برومة غير مفيدة ذهب الى الشام ودفع أموالا الى رئيس الجيش الرومانى ووعده بعشرة آلاف طالان ان هو ساعده فساق الجيوش على مصر فقابلتهم جيوش مصر واقتتلوا اقتتالا فى تلك الواقعة زوج بيرنيس ورجع بطليموس الى ملكه وجلس على التخت وأخذ يظلم ويتعدى ويجمع ما وعد به من المال وقتل ابنته بيرنيس وبقيت الديار المصرية فى الهوان الى أن مات سنة ٥١ قبل الميلاد وترك ولدين وبنتين وكان قد أوصى قبل موته بان الملك من بعده يكون للبكرى من أولاده وأكبر بناته وحيث انه كان متعاهدا مع الرومانيين وتحت كنف ديو بوس ترجاه فى تنفيذ ذلك وجعل أولاده تحت رعاية الامة الرومانية فلما مات اتحد ابنه البكرى مع أحبابه وأقاربه واتفقوا على طرد أخته كليوباترة من حكومة مصر فانحاز لها طائفة من الامراء والاعيان وتحزبوا وقاموا على أخيها فاشتعلت نيران الفتن فى جهات مصر وفى تلك المدة كانت نيران الحروب مشتعلة بين بومبيوس وقيصر رئيس الجمهورية وفى الواقعة الاخيرة كان المهزوم بومبيوس ففر الى مصر وبالنظر للالفة التى كانت بينه وبين بطليموس المتوفى ظن انه يامن على نفسه فى الاسكندرية وبناء على هذا وصل بمراكبه الى الطينة وكان هناك بطليموس فبادر سله وأكرمهم فاطمأن خاطر بومبيوس لكن فى الحال احضر بطليموس اشيلاس أحد رجاله وأمره بان يتوجه اليه ويكون معه وأمره بقتله عند انتهاز فرصة فتوجه اليه وقابله فكان الرومانى آمناليس محترسا وخرج من سفينته وركب زورقا بمفرده ورغبه الخروج الى البر فقبل أن يصل انفرد به اشيلاس وقتله ولما بلغ قيصر أن بومبيوس قصد جزيرة رودس ظن أنه يتوجه بعد ذلك الى مصر فسبقه اليها لينتظره هنالك وأخذ معه ثمانمائة من الخيالة سوى البيادة ولما وصل صعد بعسكره الى مدينة الاسكندرية فلما رآه أهلها الابواب ملكهم غضبوا وهجموا على عساكره فقتلوا منهم جملة فى طرق المدينة فعظم ذلك على قيصر وتحفظ على نفسه الى أن تحضر العساكر التى أمر بحضورها من جهة آسيا للقصاص من أهل الاسكندرية ولاخذ حقوق الرومانيين منهم بناء على وصية بطليموس المتوفى وفصل النزاع بين الاخ وأخته فى الحكومة وأمر بترك القتال وطرد العساكر واحضار الاخ وأخته ليفصل بينهما فلم يرض بذلك فوتان وكيل بطليموس حتى يصير رشيدا وظن انه يقدر على طرد قيصر وعساكره وأرسل سرا الى العساكر التى بالطينة ليحضروه ولما حضروا وبلغه قدرها علم أنه لا يقدر على مقاومتها فتحصن بالمكان الذى كان به مع عساكره وحبس نفسه منتظرا حضور العساكر الشامية لنجدته وأما اشيلاس فوقع بينه وبينهم واقعات كثيرة حرق فيها جزء عظيم من الكتبخانة الكبرى التى جمعها البطالسة فى المدد الماضية وأما كليوباترة فلم تتأخر عن شئ يوصلها الى قيصر وبذلت له المال وعرضت نفسها عليه وكانت ذات جمال فتعلق بها وواقعها فحملت منه وأتت بغلام وسمته قيصروم فمال اليها قيصر ودافع عنها وكان لكليوباترة هذه أخت تسمى ارسنوى وكانت متحدة باحد الامراء فحصل منه تحت ظل اسمها أمور غيرت قلوب الاهالى فعرفوا ان مقصودهما زيادة اشتعال النار لتخلو لهما الدار ومن طول مدة الحروب تعطلت تجاراتهم وكثرت المصائب وزاد اشتعال نار البغضاء بين بطليموس وأخته وصار قيصر يقلب عليهم جميع انواع الحيل التى لم تفده شيأ وأخيرا صار الاتفاق معه على أن يطلق ملكهم بطليموس فرضى بذلك وأطلقه فلم يسع بعد الاطلاق فى اخماد نار الفتن بل ازدادت وكانت العساكر التى طلبها قيصر حضرت فقصدها قيصر بعساكره لينضم لها فتوسط بينهما بطليموس ليمنعهما من الانضمام فوقعوا واقعة قتل فيها كثير من الطرفين وهزمت العساكر المصرية وقتل

مطلب رجوع بطليموس الى ملكه

بطليموس غريقا سنة ٤٧ قبل الميلاد وبقى قيصر متصرفا فى مصر جميعها بما فيها الاسكندرية وأقام كيلوباترة ملكة
مع أخيها فارضيت وطلبت منه أن يرسله الى جزيرة رودس ويتزوج باخته ارسنوى فارسله بعد زواجه ثم بعد مدة
قتل فقامت زوجته وأعلنت بالحرب مع قيصر فحاربها وغلبها وأخذها أسيرة الى مدينة رومة وطيف بها فى طرق
المدينة فماتت غيظا وبقيت كيلوباترة وحدها على سرير ملك مصر من ابتداء سنة ٣٧ قبل الميلاد بدون منازع
وأعقب ذلك موت قيصر فاتهموها بانها ساعدت من قتله فطلبها انتوان رئيس الجمهورية للمرافعة والمدافعة عن
نفسها فقامت وتحلت باحسن ما عندها من الحلى والملابس وركبت فى مركب مزينة بالذهب ومجاديفها من الفضة
وقلوعها من الحرير وسارت فى نهر سيدنوس وكانت الفرش التى معها من أقمشة الذهب ولما دخولها صنعت وليمة
فاخرة وتجملت بجميع ما يزيد فى جمالها ثم دعت انتوان فلما حضر ورآها أخذت بقلبه من أول وقوع بصره عليها
ورغب فى تزوجها وان كان متزوجا باوكتافى أخت اوغسطس فكان ذلك داعيا لقيام الحرب بينهما محتجا اوغسطس
بانه ينتقم لاخته وكان قد أشركه انتوان معه فى الرآسة فحصلت معركة انهزم فيها انتوان ففر الى مصر ليكون مع
صاحبته كيلوباترة ويكتفى بها فلم يمكنه اوغسطس ولحقه فلم يتخلص انتوان منه الا بقتل نفسه ولحقته كيلوباترة
أيضا لانها لم تتحصل على صيد اوغسطس بشرك مكايدها واستعملت الطرق التى استعملتها مع قيصر وانتوان فلم
تنجح وخافت على نفسها أن يأخذها مع الاسرى الى رومة فقدمت الهلاك على العار واستحضرت حية ووضعتها فى
سلة فيه تين على ما قيل وعمدت اليها بيدها فلدغتها وماتت فى وقتها وبموتها انتهى ملك البطالسة ودخلت مصر تحت
حكومة الرومانيين وصارت مديرية كباقى المديريات يحكم فيها وال من طرف الجمهورية الرومانية هذا وان كانت الفتن
فى المدد الاخيرة لم تنقطع وسببها اذرية البطالسة وعداوتهم لبعضهم التى هى نتيجة الوراثة وكانت الرومانيون دائما
تتداخل فى أرض مصر ووصلت لان تجعل أمر تولى الوارث للملك بمعرفتها لكنها غير مانعة من تقدم العلوم والمعارف
بل مازالت مدينة الاسكندرية متقدمة فى العلوم فى مدة كل منهم وكان التقدم سائرا نحو الاوج ولما انضمت الى
الرومانيين وصارت تابعة لدولتهم وقفت العلوم واضمحل حال مصر ورجعت الى أسوإ ما كانت عليه فى زمن الفرس
*وكانت اعياد المصريين وسواهم فى زمن البطالسة على قديم عادتهم وكان المستعمل فى نقش الآثار والهياكل هو
الكتابة المقدسة ولما كثرت الاروام بتحت البطالسة كانت عقائد الروم داخلة معهم فى الديار المصرية سيما فى
الاسكندرية وباختلاطهم بالمصريين تولدت عقائد جديدة تخالف عقيدة الاصليين فبذلك تبدلت الحكم المصرية
بغيرها وصارت أوهاما وشعوذة لايمكن الوقوف على صحيح القواعد التى هى أساس الديانة المصرية فى الازمان القديمة
وفى مدة قياصر الرومانيين بلغ الظلم غايته واحتقروا الديانة المصرية حتى ضاعت من أصلها وابتدئ فى تخريب
العمارات ونقلها الى أوروبا من ابتداء استيلائهم فنقلوا الهياكل والاحجار المكتوبة والمسلات التى كانت مدن القطر
الشهيرة متحلية بها كطيبة ومنف والاسكندرية وظهرت فى رومة وفى القسطنطينية الآثار التى اعتنت بتشييدها
الفراعنة امام معابدهم (المدة الرابعة) وهى سنة ٣٩٣ فى هذه المدة دخلت الديار المصرية فى حيازة القياصرة بدون
أدنى مشقة ومع ذلك كانت الفتن الداخلية باقية فتسبب عنها تخريب بعض مبانى الاسكندرية سيما دار الكتب فانها
تلف منها مقدار عظيم بعضه بالحرق وبعضه بالنهب وذلك من أنفع الكتب ونادرها التى كانت البطالسة جمعتها مدة
سلطنتهم بالديار المصرية ولحق العلم وأمكنة تدريسه من الاهانة ما لحق غيره وانحطت درجة مدرسة الاسكندرية التى
كانت هى المشار اليها باطراف البنان مدة اعتناء البطالسة بها ورعايتهم لها وبقى الاضمحلال يزداد طول المدة الرابعة
الى سنة ٣٦٤ فانقسمت المملكة الرومانية ولكن بقيت الاسكندرية حافظة لبعض مزاياها فكانت هى الثانية بعد
رومة لان رومة تقدمت عليها واستولت على سكانها وبظهور الديانة المسيحية واقرار القياصرة لاهلها عليها واحاطة
قياصرة القسطنطينية برعايتها أخذت مدينة الاسكندرية تنتقل عن حالها القديم وكثر التغير فى جميع أمور أهلها
بظهور المدرسة المسيحية المؤسسة فيها على المدرسة القديمة وباستمرارها على سيرها فى نشر العلوم والفوائد انفردت
بالشهرة واشتهرت بذلك الاسكندرية بعض شهرة لكن الفتن كانت دائمة فى خلال تلك المدة وكانت أمور العلم مضطربة
وازداد الاضطراب بغارات زنوبيا ملكة تدمر على ديار مصر سنة ٢٦٥ بعد الميلاد وسبب ذلك ان أودنيات صاحب

تدمر

تدمر كان ساعد جيوش الرومانيين مساعدة عظيمة حين حربهم اسابور ملك الفرس فكافأه على ما بذله عند من الرومانيين وجعل ملكا على تدمر سنة ٢٦٤ ميلادية ثم توفى بعد مدة وترك ولدين ذكرين فلم تكتف والدتهما زنوبيا بملك تدمر بل طمعت فى مملكة الرومانيين المشرقيين جميعها واقبت ولديها بالقيصرية وتلقبت بلقب القرالجة وطمعت فى جميع الولايات المشرقية مع أنها كانت تحت يد الرومانيين وجهزت جيوشا وأغارت بها على مصر ووضعت يدها عليها ووقع بينها وبين القيصر أورليان وقعات انتهت على أخذ مصر من يدها وطردها فتبعها القيصر المذكور فى بلادها واستولى على تدمر نفسها وهدمها سنة ٢٧٠ فباشتغال دار الحروب الداخلية والخارجية توقفت أسباب الثروة والرفاهية بالديار المصرية وحيث كانت اسكندرية ميدان حروب الاحزاب تخرب أغلب مبانيها وأزيل أغلب آثارها وفى تلك المدة كان تمام ظهور الديانة العيسوية فانها ظهرت مدة قيصر الروم اغسطس ثم اشتهرت وانتشرت بمملكة الرومانيين التى من ضمنها مصر وأول من حضر للديار المصرية ونشر بها الديانة المسيحية القدس مارك تلميذ القدس القديس بيرو وكان حضوره سنة ٤٣ ميلادية ونشر بها الانجيل الذى كان ألفه بروما تحت نظر القدسين وتبعه خلق كثير من المصريين والاسكندرانيين فأسس لهم كنيسة عرفت بكنيسة اسكندرية وبسبب أن أعين المخالفين لهذه الديانة هم الامة بتمامها ومنهم القياصرة كانوا ينظرون اليها نظر احتقار واهانة فصارت من عهدها عرضة لجميع أنواع الاهانة والذل فى كل جهة وصدرت أوامر من الدولة بضبطهم وقتلهم فتركوا المعمور وفروا الى الصحارى وسكنوا المغارات المنحوتة فى الجبل المقطم وجبال الاقاليم القبلية واختاروا تلك الحالة على ترك اعتقادهم وبعضهم بنى ديورا وأقام بها وتعرف جميعها الى الآن بديورانطون والذى سل سيف الهوان على النصارى وبالغ فى أنواع تعذيبهم أكثر من غيره من القياصرة القيصر ديوكليتيان خصوصا فى أرض مصر وسيأتى شرح ذلك ان شاء الله

المدة الخامسة

تعالى (المدة الخامسة) وهى سنة ٢٧٧ كان فيها تقسيم الدولة الرومانية ونتج من ذلك فوائد كثيرة للقطر المصرى سيما اسكندرية منها اضمحلال الدولة الرومانية المغربية بقيام الامم المتبربرة عليها ومنها اشتغال الاروام بالعلوم والتقدم فلم يمنعهم عنها تهاون القياصرة واهمالهم لها وتصديهم للمجادلات الدينية ومنها تسلطن المعارف البشرية فى مملكة المشرق ومنها حفظ مدينة اسكندرية لدرجة عظيمة فى التقدم مشتهرة بها بين المدن وأما الديانة العيسوية فكانت آخذة فى الانتشار فى مملكتى المشرق والمغرب وعظم شأنها بمدينة اسكندرية ومن كثرة الجدال الذى كان يحصل بين علمائها وبينهم وبين أضدادهم تمكنت قواعدها وعظم حزبها باسكندرية ومصر ومن تسلط يد العدوان والقسوة على المتدينين بها فى جهات المغرب هاجر كثير منهم لمصر وسكنوا صحاريها وبنوا بها الديور فنشأ عن ذلك وعن عداوتهم للديانة المصريين تهديم المعابد وتخريب الهياكل وتعذيب رجالها بأنواع العذاب فتضعضعت أركانها وزال بذلك أكثر مبانيها الفاخرة التى كانت تباهى بها مدن الاقطار خصوصا اسكندرية فانه حصل بتخريبها ازالة الآثار القديمة منها فمن ذلك يعلم ان أكثر التخريب سببه لهذه الديانة الناسخة للديانة المصرية العتيقة والوثنية المتولدة عنها فى زمن البطالسة وقياصرة الروم الاول فأغلب ما حصل فى القطر من الامور التى تغيرت بها أحواله وأحوال أهله ينسب اليها فان التغير الذى به دمرت المبانى وخرجت الاهالى عن طباعها وعوائدها وأخلاقها لا ينسب الا لها وبقيت الديار المصرية تتقلب على لظى المظالم المتنوعة الى أن ظهرت فرقة دينية انفصلت عن كنيسة رومة والقسطنطينية وأخذت تتقوى واستقلت بالاسكندرية وبعدها بقليل سرت الى باقى الديار المصرية ونشأ عنها جميع المصائب لمدينة اسكندرية ومع ذلك لم تنحط فى جميع هذه المدة عن درجتها التجارية وما سنذكره من الآثار هو ما بقى منها بعد المدد الثلاث التى تعاقبت على الاسكندرية أى مدة البطالسة والقياصرة الاول وقياصرة القسطنطينية وقبل ذلك نورد ما وقع من الديانة العيسوية بالديار المصرية فنقول ان الديار المصرية حين القسمة صارت من نصيب ديوكليتيان فكان له مملكة الشرق وكان حاكم هذه الولاية قبل القسمة أميرا رومانيا اسمه اشيل وكان يطمع فى القيصرية ولما لم ينلها رفع لواء العصيان فى مدينة اسكندرية وتلقب بقيصر بين الاهالى والعسكر وبقى متمتعا بهذا اللقب خمس سنين الى أن صارت الدولة المشرقية من نصيب ديوكليتيان فحضر بالجيوش

الى اسكندرية يريد الانتقام من حاكمها فدخلها وقبض على الحاكم وقتله ونهب بيوت الاهالى وجميع البلاد التى دخلت تحت لواء العصيان وعم النصارى بجبروته زيادة عن غيرهم فان مأمورى الحكومة جمعوا منهم أناسا كثيرين نحو ثمانين ألف نفس وساروا بهم الى مدينة اسنا وقتلوهم هناك عن آخرهم بامر القيصر والكنيسة الموجودة هناك بنيت محل المعركة لتخليد ذكرها وهذه الوقعة كانت سنة ٢٨٤ من الميلاد وجعلتها نصارى مصر مبدأ تاريخ لهم ثم بعد موت ديوكليتيان المذكور وعالير الذى أخذ القيصرية بعده زالت السحب عن سماء الديانة العيسوية وسوعدت كل المساعدة بشمول أنظار القيصر قسطنطين من وقت جلوسه على تخت قيصرية المشرق ومع هذا فقد تشعبت الديانة فى هذه المدة الى مذاهب وفرق بسبب الاختلاف الذى حصل بين رجالها فى بعض قواعدها ونشأ من ذلك تعدى الفرق على بعضها واهلاك خلائق كثيرين ونتج منه فشل عظيم بالديار المصرية وغيرها وكان عدد الفرق فى مبدأ القرن الرابع من الميلاد خمسا وخمسين ولكن لهذا التاريخ كانت جميعها متحدة فى الاصل ولو اختلفت فى الفروع ومعظم الاسباب التى نشأ عنها تفرق تلك الديانة الى فرق وشعوب دخول قيصر الروم قسطنطين فى دين النصرانية وجعل هذا الدين وحده هو دين الحكومة القيصرية دون غيره من الاديان فنى ذلك العهد كثرت المجادلات الدينية وتضعضعت أركان الدولة واضمحلت قوتها وكان عاقبة ذلك طمع الاقوام المتبربرة فيها التى وفدت من الجهات الشرقية والشمالية وأول من قاسى مشاق هذه الشعوذات الديار المصرية لانه ظهر فى اسكندرية رجل يقال له اريوس وفى كون أصله من القيروان أو من اسكندرية خلاف وكان قد بلغ درجة عالية فى العلوم وعرف بالفصاحة فى زمن اسبين وكان لين العريكة طلق اللسان عذب الالفاظ فبسبب هذه الامور تحصل فى زمن هذا الحاكم على أن يكون قسيسا فى كنيسة من كنائس اسكندرية وبقى فيها الى موت اشيس ثم قام وطلب أن يكون بطريقا باسكندرية لموت البطريق الذى كان فيها فاختلف الناس فى ذلك ثم اختاروا اسكندر وقلدوه البطريقية فبغضه وعاداه من ذلك الحين وصار ينسب اليه ما يشينه فى كل مجلس مع كونه متصفا بحميد الصفات وحسن العقيدة فلما لم يجد اريوس بدا من نيل أغراضه غير أسلحة عدوانه وأخذ يذم عقيدته وينسبه للجهل وكان فيما يدرسه اسكندر للقسس ان الابن يساوى الاب وان مادة الاثنين واحدة فعلى هذا يكون التثليث وحدة بلا خلاف فنقض اريوس هذا عليه وقال ان كان للولد علوق فبالضرورة يكون له أول وقد مر زمن لم يكن فيه موجودا فيكون وجوده بعد عدم فلم تكن مادته مادة الاب وفى مبدأ الامر نصح اسكندر اريوس لعله ينتهى فلم يزدد الا طغيانا ودخل معه فى رأيه ومذهبه كثير من الاهالى فلما رأى اسكندر منه ذلك طرده من وظائفه فنشأ من ذلك أن قام كل حزب على الآخر فكان ذلك فى كل مدينة وقرية من القطر المصرى وصار لا يسمع غير محاورات ومناقشات فى هذا الشأن وصار كل بيت أو مجمع كأنه مدرسة لا يسمع فيه الا المباحثة فانتج ذلك كون عامة الخلق الذين عادتهم ان يميلوا مع الغالب صاروا تارة مع هذه الفرقة وتارة مع الاخرى وحيث ان الحزب لا يتقوى الا بميل الحكومة لمذهبه فكانت الاهالى عرضة للاساءة ودخل الفشل جميع البيوت وقامت أفراد العائلات على بعضها وعادى الاخ أخاه والاب ابنه وعمت هذه البلوى جميع الديار المصرية من أقصى الصعيد الى اسكندرية فلما بلغ ذلك قسطنطين أمر بانعقاد جمعية من رؤساء الديانة لفصل الكلام فى المسائل الخلافية وكان ذلك فى سنة ٣٢٥ من الميلاد فاجتمع من الاحبار جمع عظيم بمدينة ازنيق التابعة لولاية بروسه وسألوا فى المسئلتين الموجبتين للاختلاف الاولى فى أى يوم يكون عيد الپاك (عيد الفصح) والثانية هل مادة الابن غير مادة الاب كما يزعم اريوس وحزبه أو هما من مادة واحدة كما تعتقد الطائفة الاخرى وكانت جميع الاساقفة وأحبار الامة النصرانية مجتمعة ما بين مشرقيين ومغربيين وحضر اريوس وشرح مذهبه وأقام البراهين عليه فكان تارة يستدل بعبارات الانجيل وتارة يسبح فى بحور الفصاحة ويغوصها ويستخرج منها درر المعانى ويكلل بها تاج مذهبه حتى بهر عقول الحاضرين وكان بالمجلس شاب من تلامذة بطريق اسكندرية والمقربين عنده يقال له عطاناز فقام وأخذ يقيم الادلة على بطلان ما ادعاه اريوس ويتكلم على كل دعوى بما ينقضها من أسها سواء كانت معقولة أو منقولة حتى تحول جميع من

بالمجلس عن مذهب اريوس فيه وحكموا بفساد عقيدته وجعلوا لعنه ولعن من اتبعه ضمن الصلوات فى جميع الكنائس وأما عيد الفصح (عيد الفصح) فقرروا وقته يوم الاحد الذى يعقب الهلال الجديد الذى يهل بعد الاعتدال الربيعى ونشر ذلك فى جميع أرجاء المملكة الرومانية وكان الظنون ان تطفأ بذلك نار الفتن فلم يحصل لان طائفة اريوس لم تترك معتقدها بل بقيت عليه وتمكنت فيه واشتغلت بنشره وترغيب الناس فيه وترجيحه فثارت الفتن فى الديار المصرية وصار أهل اسكندرية فريقين فريق على مذهب عطاناز وكان قد بلغ رتبة البطريقية وفريق على مذهب اريوس وأهل هذا المذهب كانوا دائما ينظرون فى الاسباب التى تقوى مذهبهم ويحتالون على استمالة قلوب الامراء والاعيان وأرباب الكلمة فبلغوا بذلك الى قبول كلامهم لدى القيصر وتكلموا فى حق البطريق بأمور مخلة فغضب عليه ونفاه الى ناحية طريف من بلاد الاندلس فأقام بها ستا وأربعين سنة يتقلب بين أنواع الاساءة ومع هذا لم يزل متمسكا بمذهبه مدافعا عنه الى أن رضى عنه القيصر قسطنطين سنة ٣٣٦ ورده الى وطنه فلم يقنع بذلك بل دبر فى ازالة البطريق عن وظيفته بجاه هادم اللذات فمنعه عن اتمام ما أضمر عليه فى تلك السنة وبقيت فرقته بعد تثير الفتن والشقاق وكان فيهم كثير من أصحاب الكلمة فبذلك لم تزل هذه الفرقة تزداد مدة ثلاثة قرون متوالية وكانت الديار المصرية تتقلب فى ثياب الشعوذات الدينية وخصوصا بدخول القياصرة ضمن هذه الفرق واشتراكها معها ومن حين انقسام المملكة الرومانية بين ولا تنيفيان وأخيه والنص سنة ٣٦٣ وانفصال مملكة قسطنطين من مملكة رومة واشتهارها بالمملكة الشرقية اتسعت الفتن باستتباع كل من الاخوين فريقا وعادى كل منهما أرباب المذهب الآخر فكان بمصر والنص وهو تابع مذهب اريوس فانحط قدر مذهب عطاناز وعد أتباعه خوارج كفارا وقست عليهم الحكام وأمراء الدين ومن تفرقهم واختفائهم فى بلاد الريف لحق الاهالى ضرر لا مزيد عليه فانه كان لا يمر أحد ببلد الا اتهمه أهلها بانه من أتباعه وعاقبوه بالضرب والقتل ونهب المال فصار هذا لم يسمع بمثله فى مدة عبادة الاوثان ولا فى غيرها وفى عقب فتنة من الفتن صدرت أوامر من القيصر طيوروز سنة ٣٨٨ من الميلاد بهدم جميع المعابد القديمة بمدينة اسكندرية وأخذ ما فيها من حلى الذهب والفضة واعطائه للكنائس والفرق التى ظهرت بعد فرقة اريوس وهى فرقة نستيريوس ومن اعتقادها ان جوهر عيسى عليه السلام مركب من جوهرين الهى وبشرى وان العذراء ليست والدة له وفرقة انتيشيس وهذه تجعل الجوهر الالهى والبشرى واحدا فى المسيح عليه السلام وفرقة مونواطيليط وهذه لا تجعل للمسيح غير ارادة واحدة وقد انضم لها القيصر هيرا كليوس وانتصر لها وجعلها المعتمدة فى جميع جهات مملكته وألف كتابا فى ذلك ونشرها بين الناس وشغل جميع أوقاته فى ذلك وترك أحوال المملكة وسياستها وهو وان كان أصله من طائفة العسكر وخلص الملك من يد الظالم فوكاس وتولى مكانه الا أنه كان يكره الحرب بطبعه فاهمل أمر الجيوش حتى تلاشت قوة المملكة وطمع فى ملكه خسرويه ملك الفرس وزحف بعساكره وأخذ من ملكه عدة ولايات منها مصر والشام وبلاد فلسطين وذلك سنة ٦١٦ فخاطبه هيرا كليوس فى الصلح ورضى أن يفرض له على نفسه جزية فلم يقبل خسرويه منه ذلك وزحف على بيت المقدس وأخذه ونقل خشبة الصليب منه الى بلاده وطلب من هيرا كليوس ورعاياه أن يتركوا الديانة العيسوية ويتدينوا بديانة الفرس فغضب هيراقليوس وجرد جيوشه وتلاطم مع خسرويه فكسره وأخذ منه الخشبة ورجع الى بلاده واشتغل بالشعوذة أكثر من الأول وأهمل الحكومة فصارت المملكة الرومانية مضطربة فى جميع جهاتها بسبب الفتن الداخلية والحروب الواقعة بينها وبين الفرس الى أن ظهر دين الاسلام بجزيرة العرب وابتدأ نوره يكشف غياهب الجهل عن عقول سكانها فاجتمعت كلمة المسلمين وصاروا يدا واحدة على نصر الحق واعلاء كلمة الدين فعلا الحق على الباطل واستولى الاسلام على فارس والروم فمن عهدها انضعضعت أركان دولة الفرس والرومانيين وفى زمن قريب أزيلت الفارسية بالكلية وبقيت الرومانية على ولايات قليلة واستولى الاسلام على أرض النصرانية والديانة الوثنية واستولت المملكة الاسلامية على المملكتين المذكورتين ثم بعد زمن يسير سطع نور الاسلام فى المشرق والمغرب كما سنورده فى محله ان شاء الله تعالى (المدة السادسة) وهى سنة ٦٢٩. وفى جميع المدد الماضية كانت

المدة السادسة

اسكندرية تخت ملك الديار المصرية وان كانت التقلبات الزمنية جلبت اليها تغيرات كثيرة وصيرتها مبدانا للفتن متنوعة لكنها مع ذلك كانت أول مدينة فى القطر الى أن ظهرت الديانة المحمدية بأرض الحجاز وأخذت تمتد حتى علا قدرها وسار مسير الشمس فخرها وطمست معالم الديانة العيسوية بل زالت بالكلية من جميع جهات المشرق ودخلت الديار المصرية تحت تصرف العرب فانتقل الفخر الذى كان للاسكندرية الى مدينة الفسطاط التى أسست على شاطئ النيل ومن ذلك الحين أخذت الاسكندرية فى النقص والخراب وصارت لا تذكر الا كما يذكر غيرها من المدن ولما دخلها عمرو بن العاص سنة ٦٤٢ ميلادية كان الخراب عم سراياتها الملوكية وأعظم شوارعها المسمى بروشيوم كان بلقعا لا يرى فى جانبيه غير تلال من أنقاض البيوت ومع ذلك فكانت معدودة من ضمن المدن العظيمة وكانت أسوارها قائمة محيطة بها من كل جهة على غاية من المتانة ومما يدل على ذلك انها صدت الجيوش الاسلامية ومنعتهم عن دخول المدينة مدة ولكن بظهور الفسطاط وعدم اقامة الحاكم بها تلاشت مبانيها وهدم سورها الذى بنته العرب عوضا عن السور القديم ولم يعمر الا فى القرن العاشر زمن أحمد بن طولون بناء على ما ذكره المكين ثم ان ما بقى بها من المبانى والآثار الموروثة عن الديانة العيسوية تسلطت عليه رجال الديانة المحمدية فخربوه كما أن الديانة العيسوية خربت ما كان للديانة المصرية من المعابد وغيرها وترتب على ذلك محو أكثر آثارها حتى صار لا يسمع به الا فى الكتب وبعد انفصال الديار المصرية صارت مملكة المشرق عرضة لتسلط الديانة المحمدية ومن غارات جيوش الاسلام المتوالية انفصل أكثر من نصف المملكة الرومانية المشرقية عنها وانضمت حدودها ومع ذلك لم تزل مملكة متسعة الاطراف الى القرن الثامن من الميلاد وأما المملكة القيصرية المغربية فقد آل أمرها الى تقسيمها ممالك صغيرة بعد اغارات كثيرة من المتبربرين الوافدين عليها من جهة الشمال فكانوا دائما فى محاربات ومناوشات لا تنقطع واستمر ذلك قرنين كاملين فحصل فيهما لتلك المملكة مصائب لا تحصى واضمحل حالها وتضعضعت أركانها حتى أتى زمن شارلكان وصار لها بعض اعتبار ومع ذلك فهى فى طفولية وتوحش لان أهلها كانوا بمعزل عن التجارة مع أنهم أحق بها من غيرهم لاقامتهم بالسواحل وكان مركز التجارة ومتجرا لاهل المشرق والمغرب الاسكندرية وباختصاصها بهذه المزية كانت متميزة ودائما تتجدد فيها المبانى الفاخرة وتزداد بها المدارس والعلوم ولحقها من عناية الخلفاء العباسيين بعض شرف سيما المأمون وبقيت أعظم مدينة بالقطر الى سنة ٨٦٨ ثم انفصلت عن الديار المصرية وخرجت عن تخت المملكة بخروج عاملها أحمد بن طولون عن طاعة مولاه واستمرت الديار المصرية فى هذا الانفصال والاستقلال مدة تقرب من مائة سنة وتفصيل حوادث هذه المدة موجود فى كتب شتى مطولة فليراجعها من يريد ذلك وأما نحن هنا فلسنا نذكر الا المختصر الطفيف لفهم منه سلسلتها وما نشأ عنها وحيث ان أعظم شئ وأهمه منها هو ظهور الديانة المحمدية بظهور نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها انتج منها جميع حوادث هذه المدة فيجب علينا أن نذكر سيرته بأخصر كلام فنقول ولد عليه الصلاة والسلام سنة ٥٧٠ من الميلاد وتربى فى حجر جده عبد المطلب ثم بعد سنتين من عمره مات جده فكفله أبو طالب عمه وبقى عنده الى أن اشتد وقوى فصار يسافر معه فى تجارته ثم تاجر لخديجة بنت خويلد وكانت من أغنى الناس وسافر بتجرها الى الشام فأعجبها استقامته وحسن معاملته فتزوجت به وعمره اذ ذاك خمس وعشرون عاما وعمرها أربعون وأتت منه بثلاثة ذكور ماتوا فى حداثة السن وأربع بنات تزوجن برؤساء المسلمين ولما بلغ عمره عليه الصلاة والسلام أربعين سنة بعثه الحق جل جلاله لهداية الخلق الى طريق الحق فتبعه أبو بكر وابن عمه على وزيد بن حارثة وزوجته خديجة ولحقهم غيرهم فأنكرت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه معتقدهم وهموا بقتالهم فهاجر الى مدينة يثرب التى بينها وبين مكة ٧٥ فرسخا فى الجهة البحرية من مكة وهاجر بعض أتباعه الى بلاد الحبشة فقام أهل المدينة مع النبى ونصروه وغير اسم المدينة فقال لا تقولوا يثرب انما هى طيبة ثم صار الناس يقولون المدينة المنورة واتخذ المسلمون الهجرة مبدأ تاريخ الاسلام ويسمى بالتاريخ الهجرى وحيث كانت هجرته عليه الصلاة والسلام ليلة الجمعة ستة عشر شهر يوليه الافرنجى سنة ٦٢٢ من الميلاد جعل هذا اليوم مبدأ تاريخهم والسنة الهجرية اثنا عشر شهرا قمرية فمن هنا تكون السنة الهجرية أقل من

الشمسية

الشمسية بأحد عشر يوما ويكون الاثنان وثلاثون سنة شمسية قدر ثلاث وثلاثين سنة قرية فاذن ينبغي لمن أراد أن يستخرج السنة الهجرية من التاريخ الميلادى أن يطرح من التاريخ الميلادى ما مضى منه قبل الهجرة وهو ٦٢٢ ثم يضيف الى كل ٣٢ سنة مما بقى منه سنة فما بلغ فهو التاريخ الهجرى مثلا لو أردنا أن نعرف السنة الهجرية الموافقة لسنة ١٨٧٣ ميلادية نطرح منها ٦٢٢ سنة التى مضت قبل الهجرة فيبقى معنا ١٢٥١ نضيف اليه ٣٩ سنة وهى عدد احتواء ١٢٥١ على ٣٢ فما بلغ فهو التاريخ الهجرى وقد اتخذ عليه الصلاة والسلام المدينة مركزا وصار يعلم الناس ويهديهم ودخلت الناس فى دين الله أفواجا وقدر سبحانه وتعالى أن يكون مبدأ نصرة دينه واعلاء كلمته يوم هجرته من مكة فكان ذلك هو الاساس لعدول خلق كثيرين عن معتقدهم القديم واتخاذهم دين الاسلام دينا وكان عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحين يخاطب الناس ويبلغهم كلام الله ولكن كان أكثرهم ينكر عليه ولا يصغى اليه فجرد المسلمون السيف لاعلاء كلمة الله وانتصار الدين القويم فرفعت كلمة الله على أقوى أساس وتمكن المسلمون بما حصل لهم من النصر المتتالى وكثرة الداخلين فى الاسلام ممن كانوا يعبدون الاوثان وغيرهم فلم يلبثوا غير يسير الا وقد ظهر من صحارى جزيرة العرب رجال ذوو علم وبأس واجتمع منهم جيوش اسلامية سطت بقوتها وحسن تدبيرها على الممالك المجاورة من ممالك الشرك فعظمت سطوتها واتسعت دائرتها وظهرت المملكة الاسلامية وتسمى بالمملكة العربية لا يسمع فيها مشرقا ومغربا غير التوحيد وما يختص بدين الاسلام وتألفت قلوبهم وزال الشقاق والخلف من بينهم وفى السنة الثانية من الهجرة حصل بينه عليه الصلاة والسلام وبين قريش وقعة كان لحزبه عليه الصلاة والسلام فيها النصر من الله ومع هذا فكان عدد جنوده ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وعدد جنود الاعداء ألف رجل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وبعدها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المشرفة وتمكنت قواعد الاسلام وخضع المخالفون وانقادوا ومن عهدها أقبلت جميع القبائل المنتشرة فى أرض الحجاز ودخلوا فى الاسلام وكسرت عصى المخالفة وصار الجميع تحت اللواء المحمدى وكبرت عصابة الاسلام وقويت شوكته وسمع به فى أطراف البلاد المجاورة لارض الحجاز وارتج تخت الرومانيين وخاف القيصر هيراقليوس على بلاده من المسلمين فتدارك الامر واجتهد فى استمالة الاسلام الى معاهدته وترك لهم جهة من الجهات التابعة لحكومته من بلاد العرب وكانت هذه الجهة تجنح للفرس حتى انهم ساعدتهم عليه فى المحاربات فارسل النبى عليه الصلاة والسلام لامراء تلك الجهة رسوله يدعوهم الى الاسلام فقام من بينهم حاكم بوسترا واتحد مع حاكم مدينة موتة من مدن الشام خلف نهر الاردن وقتلوا الرسول فغضب النبى صلى الله عليه وسلم لفعلهم وأرسل لهم ثلاثة آلاف مقاتل تحت امرة مولاه زيد وتقابلوا مع عساكر الرومانيين عند مدينة موتة المذكورة وكانوا أكثر منهم عددا والتطم الفريقان وحصل بينهما مقاتلة عظيمة فمات كثير منهما ومات أيضا جملة من رؤساء المسلمين منهم زيد رضى الله عنه فقام مقامه خالد بن الوليد فحصل منه ما يبهر العقول فانه بعد أن كان يظن ان المسلمين مهزومون جمع المسلمين وقوى قلوبهم وهجم بهم على عساكر الرومانيين هجمة بدد فيها شملهم وولوا الادبار وتم النصر للمسلمين وغنموا ثم رجعوا الى المدينة ومعهم السبى والغنيمة وهذه كانت افتتاح الوقعات التى جرت بينهم وبين القياصرة فى جهات آسيا وافريقا وجزء من أوربا وتمامها بزوال ملك القياصرة من بلاد المشرق ووضع الاسلام يده على الدولة الرومانية لكن بعد ثمانية قرون كلها مضت فى حروب هلك فيها من الفريقين ما لا يحصى ومن جملة الولايات التى توجه لها نظر المسلمين ولاية مصر وكان حاكمها المقوقس المصرى الاصل من طرف قيصر وكان له شهرة عظيمة فى الرفعة والاعتبار وكان من فريق أوتيشيس وكان يكره الروم لانكارهم على أهل فريقه وابطالهم اعتقادهم فى جميع ديار مصر والرومان وغيرها وكان الطمع وحب الاستبداد عنده يغلبان على الامر الدينى لكنه اغتنم فرصة قيام الفتن على المملكة الرومانية فى بلاد العرب ولقب نفسه بلقب امارة مصر وصار يأمر وينهى فى ديار مصر ومن مخافة تقلب الايام أراد أن يعاهد المسلمين فلم يقبل النبى منه غير الدخول فى الاسلام وكتب كتابا الى النبى صلى الله عليه وسلم يعترف له فيه بالرسالة ويطلب منه الامهال زمنا ليتمكن مما يريده وكانت الحروب من المسلمين قائمة فى جهات كثيرة ما عدا

مطلب فى الوقائع التى جرت بين المسلمين والقياصرة

مطلب معاهدة قيصر

مصر فانهم تركوها فى ذلك الوقت وبعد ذلك توجهت همتهم الى محاربة مناوشين الاغارات عليها فنظر عليه الصلاة والسلام ان هذا لا يتم الا بالاستيلاء أولا على ديار الشام لانه ليس لمصر غير طريقين الاولى طريق البحر الاحمر وليس للمسلمين فى ذلك الوقت مراكب والثانية طريق البراتى فى الصحارى التى بين مصر والشام فأخذ فى أهبة الدخول بالعساكر الى أرض الشام ولكن لم يتم هذا الامر لوفاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة فى السابع عشر من شهر يونيه الافرنجى سنة ٦٣٢ الموافق لليلة الاثنين من آخر صفر سنة عشر من الهجرة وعمره ثلاثة وستون سنة فاتفقت الامة الاسلامية على تولية أبى بكر رضى الله عنه فقام بأحوال المسلمين وسار على أثر صاحب المعجزات ففتح الله فى أيامه على المسلمين عراق العرب وبلاد الشام وأخذت مدينة دمشق سنة ٦٣٤ واتسع الاسلام واشتهر ذكره فى الآفاق ومات رضى الله عنه يوم فتحت دمشق فتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقب بأمير المؤمنين واستمر حرب الشام سنة ٦٣٥ وأخذت مدينة بعلبك ومدينة قنسرين من المدن الشهيرة وبينها وبين حلب خمسة فراسخ وفى السنة التى بعدها فتحت مدينة درستيون وحماة وشيذار واعيز ومن توالى النصر للمسلمين جبر هيراقليوس على ان يتنبه من غفلته ويتوجه بنفسه مع جيوشه لمحاربتهم فذهب الى سواحل الشام وأقام بمدينة اعزمدة ثم انتقل الى انطاكية ولما بلغه اخذ دمشق يئس من السواحل الشامية فتوجه الى القسطنطينية وجمع فيها ماتفرق من عساكره فى المشرق والمغرب فكان جيشا جرارا وأمر عليه رئيسا من رجاله اسمه منويل فسار بهم حتى تقابل مع المسلمين عند مدينة برموك سنة ٦٥٦ فحصلت بينه وبين المسلمين وقعة قتل فيها من الفريقين عدد عظيم وآل الامر بنصر المسلمين النصر التام الذى خلت الديار الشامية بعده من جيش النصارى ودخلت جميعا فى قبضة المسلمين ثم سار المسلمون الى مدينة القدس ومعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فدخلوها بلا حرب فى شهر مايه الافرنجى سنة ٦٣٧ وبعد دخول هذه المدينة فى حوزة الاسلام دخل باقى البلاد الشامية فى الاسلام كما دخل جميع بلاد العرب فيه بعد دخول مكة لان كلا من هاتين المدينتين له شرف على البلاد المجاورة له ومن قديم الزمان يتبركون بهما ويحجونهما فى مواسم معلومة فكان هذا هو الداعى لقصدهما فى الفتح أولا فان الحكم لا يتمكن فى هاتين الجهتين الا بالاستيلاء على هاتين المدينتين ولما تم فتح الديار الشامية كلها للمسلمين سنة ٦٣٨ أزيلت جميع الموانع عن قصد مصر فخاف المقوقس من اغارة المسلمين على مصر فاتفق مع بطريق اسكندرية قيروس وكتب الى أمير المؤمنين كتابة طلب فيها ان لا يحارب مصر وجعل له فى مقابلة ذلك مائتى ألف دينار يدفعها سنويا وأرسل بعض هذا المبلغ مع الكتاب فبلغ ذلك هيراقليوس فغضب على المقوقس وأرسل العساكر لتدافع عن مصر وتمنع عساكر المسلمين من الدخول فيها فشاع ذلك حتى بلغ أمير المؤمنين فأمر رضى الله عنه عمرو بن العاص وكان وقتئذ عاملا على الجهات الشامية الملاصقة لوادى النيل ان يتوجه الى مصر وأرسل معه أربعة آلاف من المسلمين فقام وسار من وقته الى أن وصل حدود مصر وتقابل مع العساكر الرومانية هنالك فاصطدم الفريقان وفاز المسلمون بالنصر ودخل عمرو بالمسلمين الديار المصرية فلما وصلوا شاطئ النيل حصل هنالك وقعة أخرى ونصر على النصارى نصرة خلت له بها البلاد وسهلت الطرق فسار حتى وصل مدينة باب الاون وكانت مكان مصر العتيقة الآن وكان بها قلعة منيعة تعرف فى كتب العرب بقصر الشمع فحاصرها المسلمون وحصروا من فيها حصرا شديدا والمقوقس وان كان وقتئذ يدافع لكنه كان مائلا الى الصلح مع المسلمين حتى انه فاتح عمرا فى ذلك فرضى عمرو بما اقرره المقوقس من أنه يدفع عن كل قبطى دينارين غير الهرم والنساء والاطفال وبعد ما تم الكلام بينهما وعقد الشروط ذهبت العساكر الرومانية الى اسكندرية وتحصنت فيها لانها هى التى بقيت فى حكمهم وحدها وجميع الجهات المصرية بحرية وقبلية صارت فى يد المسلمين وكان أخذ اسكندرية أهم شئ عند المسلمين لانها لو بقيت تحت يد الرومانيين لكانت معسكر رجالهم التى ترسل من القسطنطينية وتكون منبع الغارات على مصر فلما رأى المسلمون ذلك قام عمرو برجاله وحاصرها محاصرة عنيفة مدة أربعة عشر شهرا حتى فتحها فى اليوم الحادى عشر من شهر ديسمبر الافرنكى سنة ٦٤١ وكان المدد قطع عنها من مدة موت هيراقليوس فاحاط الكرب باهلها من الحصار وجنحوا

مطلب خلافة أبى بكر الصديق

مطلب خلافة عمر بن الخطاب

مطلب فى فتح مصر

مطلب فى فتح اسكندرية

للصلح ولما دخلها المسلمون منعهم عمرو عن نهب الاهالى والتعرض لهم بسوء وكان بالمدينة كتبخانة لم يوجد مثلها فى الاقطار لما اشتملت عليه من نفائس الكتب العلمية والكنوز العقلية جمعها ملوك مصر السالفون وادعى مؤرخو الفرنج انه كان بالمدينة قسيس يعرف باسم جان تعرف به عمرو وأحبه لعلمه فرغب هذا القسيس أن يغتنم فرصة هذا الحب وطلب منه ان يعطيه كتب الفلاسفة فجنح عمرو لتنفيذ غرضه لكنه خاف ان لا يأذن له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحرر له خطابا يخبره فيه بما طلبه القسيس من الكتب بالكتبخانة الموجودة هناك فكتب له أمير المؤمنين ان كانت تحتوى على ما فى القرآن فلنا حاجة بها والا فلا فائدة لنا فيها وعلى كلا الحالين ينبغى حرقها فلم يسعه غير الاطاعة والامتثال وأمر بحرقها فحرقت وهذه الرواية الافرنجية عارية عن الصحة لان عمر رضى الله عنه برىء من ذلك فان احتراق الكتبخانة المذكورة كان قبل اشراق نور الاسلام ولم يكن عمر مولودا اذ ذاك وان الذى أعدم هذه الكنوز العقلية النفيسة هو جول القيصر وسبب ذلك انه كان محصورا فى المحلة التى كانت بها الكتبخانة ولما أحاطت به الاعداء من كل الجهات لم يجد له منجى سوى انه أضرم النار فى جميع المنازل القريبة للكتبخانة فحرقها واحترقت الكتبخانة معها ثم انه بعد مضى مدة من الزمن قد أهدى الملك انطوان الى كيلوبتره نحو أربعمائة ألف مجلد من كتبخانة برجام وأنشأ فى السرابيوم كتبخانة جديدة سميت بنت الاولى وهذه الكتبخانة الجديدة قد احترق أيضا معظم كتبها فى أثناء الفتن التى ظهرت بمدينة اسكندرية ثم انعدمت بالكلية فى عهد الملك ديتوز حيث سطت عليها أيدى الرعاع المتعصبين ومزقوا جميع ما كان فيها من الكتب المشتملة على المؤلفات الوثنية وفعلوا بها مثل ما فعلوا بالمعابد العتيقة والهياكل القديمة المصرية فبناء على ذلك لم يكن لهذه الكتبخانة وجود بالكلية حين افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه ويعلم مما سبق كيفية انفصال مصر من حكومة القسطنطينية وصيرورتها ولاية تابعة لمملكة العرب ومن ذاك الحين صار تاريخها ملحقا بتاريخ المسلمين كما كان فى السابق ملحقا بتاريخ الرومانيين وهذا الانفصال قد خلص قلوب أهلها من أوحال الشرك والوساوس الشيطانية وملأها بأنوار الحق المبين بدخولها فى الاسلام كما تخلصت من أهوال تقلب الاحوال الزمانية عليهم فصارت أمورها مبنية على منهج العدل والانصاف اللذين هما أساس الدين المحمدى وقطعت يد الظلم وكسر عصا الجور والعدوان وذلك كله فى الصدر الاول وان كان قد حصل بعد ذلك شغب كثير وفشل بين المسلمين نشأ منه اضمحلال حال ديار مصر سيما فى الحروب التى تولدت عن ذلك كما يعلم ذلك من تاريخ سلسلة حوادثها المتتالية فانه من حين فتح المسلمين مصر فى سنة ٢٠ من الهجرة التى هى سنة تولية عمرو بن العاص عليها الى سنة ١٣٢ التى هى سنة انتقال الخلافة من بنى أمية الى العباسيين تولى عليها ثمانية وعشرون عاملا تناوبوها اثنتين وثلاثين مرة لان بعضهم كان يعزل ثم يعود كعمرو بن العاص فانه حكم مرتين ومدته فيهما احدى عشرة سنة وكعبد الملك بن رفاعة الفهمى فانه حكم مرتين أيضا ومدته فيهما ثمان سنين وكحفص بن الوليد فانه حكم ثلاث مرات ومدته فيها أربع سنين ويظهر من طول مدة بعض العمال الاول ان الاحوال ابتداء كانت غير مضطربة وانما اعتراها ذلك فيما بعد ويظهر أنه بتقادم الزمن كان الاضطراب متزايدا فانا نجد أنه تبدل على هذه الديار من سنة ١٣٢ التى هى ابتداء خلافة العباسيين الى زمن فصل مصر عن بيت الخلافة فى زمن أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ ستون عاملا فى ظرف مائة واثنتين وعشرين سنة فتكون مدة العامل نحو عامين فكان العزل متقاربا بل ربما حصل فى العام الواحد تبادل عاملين أو ثلاثة ومن هذا يعلم ان قلة الامن هى الباعثة على كثرة اضطراب أحوال البلاد من عدم استقامة الادارة العامة وعدم طول اقامة الحكام ذوى العدل بين أهلها التطاول أيدى أهل البغى عليهم بكثرة الحروب والقتل الى أن دخلت الفرنساوية أرض مصر وانجلوا عنها وحصلت العناية الربانية واستولى مولانا العزيز محمد على باشا عليه الرحمة والرضوان على الديار المصرية فزالت تلك الاكدار وتغيرت هذه الاحوال كما سنقصه عليك فى محله * وفى رحلة وابن الفرنساوى نقلا عن ابن مرعى ان الذى تولى الملك من الاتراك ٢٤ ومن الجركس مثلهم فالكل ٤٨ وان مدة حكمهم جميعا ٢٦٣ سنة فتكون مدة الواحد بالتوسط ٥ سنين ونصفا تقريبا ومن غريب الاتفاق ان الذين ماتوا بالقتل من التركمان ١١ والذين عزلوا

مطلب عدد من تولى مصر من العمال

مطلب عدد من تولى مصر من الاتراك والجراكسة

سنة وبالعكس فى الجركس فان الذين ماتوا بالقتل منهم ٦ والذين عزلوا ١١ وتولى من حين استيلاء السلطان سليم الى دخول الفرنساوية ٢٧ باشا فى مدة ٢٨٧ سنة فلو جمعت حكام مصر من ابتداء حكم البطالسة لوجدتهم ٢٠٠ حاكم كل منهم له سير مخصوص وفى تلك المدد كان الغالب عدم النظر لرفاهية الاهالى وعمار بلادهم وان حصل ذلك واستقامت الاحوال فلا يكون الا بعض سنين ثم يتغير ومن كثرة الفتن الداخلية واهمال المصالح العامة تعطلت أسباب الثروة والصحة وقلت الفلاحة وتطاولت الايدى على جميع جهات القطر بالقتل والسلب فقل بهذه الاسباب الامان على النفس والمال ومن ترك تطهير الترع والخلجان حرمت أغلب الجهات من ماء النيل ونشأ عن ذلك غلو أسعار الاقوات بل وانعدامها فى بعض السنين وتسلطنت الامراض وسكن الوباء بارض مصر حتى صار عوده دوريا منتظما فى تلك الديار ونزل بالناس من المصائب ما يبث الجبال فهاجر الخلق من بلادهم وملئت الطرق بجيف الاموات من مهاجرى المصريين وصار هذا الامر شائعا فى جميع بقاع الارض ووصفه مؤرخو العرب والترنج بأوصاف تفتت الاكباد وتشيب منها الولدان وللمقريزى رسالة جمع فيها مرات الغلاء والقحط من دخول العرب مصر الى سنة ٦٠٠ هجرية تقريبا فبلغت ثلاث عشرة مرة وفى رحلة ولين الفرنساوى نقلا عن كتاب مرعى بن يوسف الحنبلى الموجودة نسخته بكتبخانة باريس ان عدد مرات القحط والوباء من ابتداء فتح مصر الى سنة ٨٤٣ هجرية الموافقة سنة ١٤٤٠ ميلادية احدى وعشرون أو ست وعشرون على قول العلامة خليل بن شاهين الظاهر وزير السلطان الاشرف وأسباب هذا الغلاء غالبا اهمال الحكام تدبير ماء النيل وتوزيع المياه على الاراضى وكذا اتجار الحكام والسلاطين فى الاقوات فينشأ من اهمال النيل عدم زرع جميع الاراضى فلا يكفى ما يخرج من المحصول جميع أهاليها وينشأ من الاتجار فى القوت غلو الاسعار غلوا فاحشا فكانت أسباب البلايا كثيرة متنوعة تتفنن فيها ولاة الامور وربما كانوا يبتدعونه من المظالم وسوء التدبير ولولا الخوف من التطويل لذكرنا ما حصل للديار المصرية فى كل زمن ولكن هذا للقارئ أنموذج يعلم منه أحوال تلك الازمان وما كانت تقاسيه الناس من حكامهم والمقصود انا نقارن ذلك بزماننا فنجدنا الآن فى أرغد عيش بالنسبة لمن كان فى تلك الازمان وليس ذلك الا بهمة الخديوى المعظم فانه لا يشغله شاغل عن التفكر فى الاحوال الموجبة لرفاهية الرعية فبحول الله وقوته وعناية الحضرة الخديوية لا نخاف من حصول مثل ما كان فى تلك الازمان لان الاكثار من الترع والخلجان والجسور واحكام تقسيم المياه بالقناطر فى الجهات البحرية والقبلية صيرى جميع الاراضى ممكنا اذا وصل النيل ستة عشر ذراعا بل يمكن باقل من ذلك اذ تمت عمارة القناطر الخيرية وبوجود سكك الحديد فى البر والسفن الجارية فى البحر الملح والحلو صار نقل ما يحتاج اليه من محصولات البلاد البعيدة فى أى وقت سهلا وأول غلاء حصل بمصر فى الاسلام سنة ٨٧ هجرية وكان أمير مصر وقتئذ عبد الله بن عبد الملك بن مروان وبعد ذلك فى زمن الاخشيد ثم فى زمن أبى القاسم أبى الفوارس بن الاخشيد سنة ٣٣٨ وبعدها بثلاث سنين كثرت الفيران فى أعمال مصر وأتلفت جميع الغلال والكروم ولم يرو النيل البلاد وغلا السعر واشتد الامر الى سنة ٣٤٣ وطلب القمح كل ويبتين ونصف بدينار فلم يوجد واستمر هذا العذاب تسع سنين متتابعة وأمير مصر على بن الاخشيد وفى سنة ٣٥٦ عظمت البلوى بعد موت كافور لانه كان مجتهدا فى تدبير الاحوال ثم قامت الجند على الامراء فهلك خلق كثيرون ونهبت الاسواق وأحرقت مواضع كثيرة من المدينة واختلفت العسكر فتبع أكثرهم الحسن بن عبد الله بن طغج وهو يومئذ بالرملة وكاتب أغلبهم المعز لدين الله الفاطمى وصار الهول عظيما واستمر الى أن دخل جوهر القائد سنة ٣٥٨ وبنى مدينة القاهرة ولم ينقطع الغلاء الى سنة ٣٩٠ فاشتد الوباء وكثرت الموتى وعجز الناس عن دفن موتاهم فكان من مات يطرح فى النيل والطرق واستمر هكذا الى سنة ٣٦١ ثم نزل السعر بعض النزول ثم غلا بعد ذلك فى أيام الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٧ فبلغ النيل ستة عشر ذراعا وفى سنة ٣٩٥ لم يتم النيل ستة عشر ذراعا الا فى آخر شهر مسرى وعم الكرب وتغيرت أصناف المعاملة وكثر فيها الغش حتى وصل الدينار أربعا وثلاثين درهما فى سنة ٣٩٧ واشتد الكرب على الناس فصدرت الاوامر بضرب دنانير جديدة وفى يوم واحد وزعوا عشرين صندوقا منها على الصيارف بقصد جمع الدنانير القديمة وأمهلوا الناس ثلاثة أيام وتلف للناس أموال كثيرة لان الدرهم الجديد صار يبدل باربع دراهم قديمة ونودى بان

مطلب أول غلاء حصل فى مصر

سعر الدينار الجديد ثمانية عشر درهماجديدة فخسر الناس خسارات كثيرة وعلا سعر الغلال وجميع أصناف المأكول حتى عز وجودها فضرب الحاكم الطحانين والخبازين وقبض على مخازن التجار وسعر أصناف الحبوب واستمر الغلاء الى سنة ٣٩٩ فاجتمع الاهالى بين القصرين وشكوا الى الحاكم فركب حماره وخرج من باب البحر ووقف هنالك ثم قال أنا متوجه لجامع راشدة وانى أقسم بالله ان عدت ووجدت موضعا غير مستور بالغلة يطؤه حمارى لاضربن عنق من يقال لى ان عنده شيء منها وأحرقن داره وأنهبن أمواله ثم توجه وتأخر هنالك الى قريب المغرب فلم يبق أحد من أهل مصر والقاهرة عنده غلة الا وحملها من بيته أو مخزنه وجعلها كيمانا فى الطرق وأمر بحصر ما يحتاج اليه الناس فى كل يوم فحصر وعمل به كشف عرض عليه فأمر بعرضه على أصحاب الغلال وخيرهم بين أن يبيع كل بقدر ما يناسب تجارته بسعر معلوم قدره لهم وبين أن يختم على غلالهم الى حين دخول الغلة الجديدة فنزل السعر وباعوا ما قدره لهم وفى خلافة المستنصر غلت الاسعار سنة ٤٤٤ غلاء شديدا وقصر النيل وخلت المخازن السلطانية من الغلال فحصل كرب شديد زاد على ما كان فى الازمان السالفة وكان من العادة الجارية فى ذلك الوقت ان السلطان يتجر فى الغلال فكان يشترى له منها كل سنة بمائة ألف دينار ليتجر فيها فدخل عليه وزيره أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازرى رحمه الله وكان قد أمر بترخيص الاسعار وعرفه بما من الله عليه به من رخص السعر وتوالى الدعاء من الناس للسلطان وذكر أن فى التجارة فى الغلال مضرة على المسلمين وربما نزل السعر بعد شرائها فلا يمكن بيعها بأقل مما اشتريت به أو تتلف بالمخازن والاولى التجارة فيما لا كلفة على السلطان فيه ولا مضرة بالناس وفائدة التجارة فيه اضعاف فائدة التجارة فى الغلة ولا يخشى عليه من انحطاط السعر ولا من غيره وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فامضى السلطان له رأيه والغلاء الذى حصل فى أيامه أيضا سنة ٤٤٧ زاد على ما سبقه ولم يكن وقته بالمخازن السلطانية الاجرايات من فى القصور ومطبخ السلطان وحواشيه فقام الوزير أبو محمد وكتب الى عمال النواحى بحجز الغلال وأخذها للديوان وتربيح التجار فى كل دينارين دينارا وبعد ذلك أرسل المراكب فاحضرت جميع الغلال من البلاد وأرسل الى مصر سبعمائة اردب والى القاهرة ثلثمائة فحصل الرخاء الى أن قتل الوزير فصار بعده لا يرى للدولة صلاح ولا استقامة حال واختلت الامور ولم يستقر لها وزير تحمد سيرته أو يرضى تدبيره وخالط الناس السلطان وكاتبوه مكاتبات كثيرة وكان لا ينكر على أحد مكاتبته فتقدم كل شقاق وحظى لديه الاوغاد وكثروا حتى كانت رقاعهم أكثر من رقاع الرؤساء الاجلة وتنقلوا فى المكاتبة الى كل نوع حتى كان يصل الى السلطان كل يوم ثمانمائة رقعة فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الخلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدتهم فكان الوزير منهم من توليته الى خلعه لا يفيق من التحرز ممن يسعى به وكانت الفترات بعد عزل من يعزل منهم أطول من مدة وزارته فتعددوا الواجبات وتفننوا فى المصادرات فاستنفدوا أموال الخليفة وأخلوا منها خزائنه واحوجوه الى بيع عروضه فاشتراها الناس نسيئة وكانوا يعترضون ما يباع فيأخذ من له درهم واحد ما يساوى عشرة دراهم ثم زادوا فى الجراءة حتى تصدروا الى تقويم ما يخرج من العروض فاذا احضر المقومون أخافوهم فيقومون ما يساوى ألفا بمائة فيأخذونها ويعلم المستنصر وصاحب بيت المال بذلك ولا يتمكنان من اجراء ما يجب عليهم فتلاشت الامور واضمحل الملك وعلموا انه لم يبق ما يلتمس اخراجه لهم فتقاسموا الاعمال وأوقعوا التساهم على ما زادت فيه الرغبات وكانوا يتنقلون فيها ويتداولونها على حسب غلبة بعضهم لبعض ودام ذلك بينهم خمس أو ست سنوات ثم قصر النيل فغلت الاسعار غلوا يدهشهم وفرق ائتلافهم وأوقع الله تعالى بينهم العداوة والبغضاء فقتل بعضهم بعضا حتى بادوا وعفت آثارهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ثم وقع فى أيام المستنصر أيضا الغلاء الذى فحش أمره وشنع ذكره ومكث بمصر مدة سبع سنين وسببه ضعف السلطنة واختلال أحوالها واستيلاء الامراء عليها وتوالى الفتن بين الاوغاد وعدم علو النيل وعدم من يزرع ما شمله الرى وكان ابتداء ذلك سنة ٤٥٧ فعلا السعر وتزايد الغلاء وأتى عقبه الوباء حتى تعطلت الاراضى من الزراعة وعم الخوف وخيفت السبل برا وبحرا وجاعت الناس وعدم القوت حتى بيع رغيف خبز فى سوق القناديل من الفسطاط بخمسة عشر دينارا وأكلت الكلاب والقطط حتى قلت وبيع الكلب بخمسة دنانير وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا

وكانت طوائف تجلس باعلى بيوتها ومعهم حبال فيها كلاليب فاذا مر بهم أحد ألقوها عليه وأخذوه في أسرع زمن وشرحوا لحمه وأكلوه ثم آل أمر المستنصر الى أن باع كل ما في قصوره من ذخائر وثياب وسلاح وغيره وصار يجلس على حصير وتعطلت دواوينه وذهب وقاره وكانت نساء القصور يخرجن ناشرات شعورهن ويصحن الجوع الجوع يردن المسير الى العراق فيسقطن عند المصلى ويمتن جوعا واحتاج حتى باع حلية قبور آبائه وجاء الوزير يوما على بغلته فأكلتها العامة فشنق طائفة منهم فاجتمع الناس عليهم فأكلوهم وأفضى الامر الى أن عدم المستنصر نفسه القوت وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث اليه كل يوم قعبا من فتيت من جملة ما كان لها من البر والصدقات في ذلك الغلاء حتى أنفقت مالها كله في سبيل البر وكان يجل عن الاحصاء ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعثه اليه وذلك في اليوم والليلة مرة واحدة ومن غريب ما وقع ان امرأة من أرباب البيوت أخذت عقدا لها قيمته ألف دينار وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقا فكان كل يدفعها عن نفسه الى أن رحمها بعض وباعها به زنبيل دقيق بمصر ولما أخذته أعطت بعضه لمن يحميه من النهب في الطريق فلما وصلت باب زويلة تسلمته من الحمالة ومشت قليلا فتكاثر الناس عليها ونهبوه فأخذت هي أيضا مع الناس من الدقيق مل‌ء يديها ولم يتيسر لها غيره ثم عجنته وسوته فلما صار قرصة أخذتها معها ووصلت الى أحد أبواب القصر ووقفت على مكان مرتفع ورفعت القرصة على يديها بحيث يراها الناس ونادت باعلى صوت يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذي سعدت الناس بايامه وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى صار ثمن هذه القرصة ألف دينار فلما بلغه ذلك أحضر الوالي وتوعده وهدده وأقسم له ان لم يظهر الخبز في الاسواق ويرخص السعر والا ضرب عنقه ونهب أمواله فخرج من بين يديه وذهب الى الحبس وأخرج قوما استحقوا القتل وأفاض عليهم ثيابا واسعة وعمائم مدورة وطيالس سابلة وجمع تجار الغلال والخبازين والطحانين وعقد مجلسا عظيما وأمر باحضار واحد من القوم الذين استحقوا القتل فلما مثل بين يديه قال له ويلك ما كفاك انك خنت السلطان واستوليت على مال الديوان حتى أخربت الاعمال ومحقت الغلال فادى ذلك الى اختلال الدولة وتلاشي الاحوال وهلاك الرعية ثم قال للجلاد اضرب عنقه فضربت في الحال ووقع على الارض بين يديه ثم أمر باحضار آخر منهم فقال كيف قدرت على مخالفة الامر واحتكرت الغلال وتماديت على ارتكاب ما نهيت عنه الى أن تشبه بك سواك فهلك الناس اضرب عنقه فضرب في الحال واستدعى آخر فقام اليه الحاضرون من التجار والطحانين والخبازين وقالوا أيها الامير في بعض ما جرى كفاية ونحن نخرج الغلة وندير الطواحين ونعمر الاسواق بالخبز ونرخص الاسعار على الناس ونبيع الخبز كل رطل بدرهم فقال ما يقنع الناس بذلك فقالوا الرطلان بدرهم فاجابهم بعد التياوالي ووفوا بالشروط وتدارك الله الخلق باللطف وأجرى النيل وسكنت الفتن وزرع الناس وانكشفت الكروب ثم حصل الغلاء بعد ذلك أيام الخليفة الآمر باحكام الله ولم تطل مدته فلم تعم بليته كما حصل بعده في أيام الخليفة الحافظ لدين الله بوزيره الافضل بن وحش ولكن الحافظ تدارك الامر بنفسه الى أن من الله بالرخاء وجاء بعده الغلاء في مدة الفائز ووزارة الصالح طلائع بن رزيك وهكذا كان الغلاء والوباء شعارا أكثر هؤلاء الخلفاء فلم يجلس أكثرهم على تخت هذه الديار الا وجلس بجانبه بلوى من البلايا وحصل في زمنهم خراب أكثر البلاد وتعطل أكثر الاراضي عن الزرع ولم يختلف الحال بزوال ملكهم بل تبدل في صورة غير الصورة ولبس ثوبا غير الثوب وحصل في زمن الايوبيين مثل ما حصل في زمن الفاطميين ولم يلتفت الكثير منهم الى أحوال الصحة والرفاهية والسير على نهج السلف في الحكم والادارة وبقيت البلاد عرضة للضرر الذي كان مستوليا قبل فكان الظلم والجور وتعدي الحكام وغاراتهم وعدم الزرع والقحط والوباء والامراض ومصائب أخر مما غرسته الطوائف الواردة على الديار المصرية الى أيام استيلاء مولانا العزيز محمد على باشا على الديار المصرية ولم يعمل أحد ممن تقدم في هذه الديار عملا تستحق الذكر وفي رسالة العلامة المقريزي التي ألفها في حوادث سنة ٥٩٠ هلالية أنه حصل في هذه السنة جوع عم الخلق في القرى والارياف فتركوا بلادهم وانتقلوا الى القاهرة ودخل فصل الربيع فهب هواء تبعه وباء وفناء وعدم القوت حتى أكل الناس أطفالهم شواء وطبخا ثم نهوا عن ذلك فلم يفد فكان يوجد بين ثياب المرأة وكذا الرجل كتف طفل أو فخذه أو شيء من لحمه ويدخل بعضهم بعض حارات فيجد القدر على النار فينظرها فاذا فيها

لحم

لحم طفل وأكثر ما وجد ذلك في بيوت الاكابر وأغرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك ثم اشتد الامر حتى
صار أكثر غذاء الناس من لحم بعضهم ولم يمكن منعهم لعدم القوت من جميع الحبوب والخضراوات فلما كان آخر الربيع
انحسر الماء عن المقياس الى بر الجيزة وتحول وتغير طعمه وريحه ثم أخذ في الزيادة قليلا قليلا الى الثاني عشر من مسرى
فزاد اصبعا واحدا ثم وقف أياما وأخذ بعد ذلك في الزيادة القوية وأكثرها ذراع الى أن بلغ خمسة عشر ذراعا وستة
عشر اصبعا ثم انحط من يومه فلم تنتفع به البلاد لسرعة نزوله وكان أهل القرى قد فنوا حتى ان القرية التي كان أهلها
خمسمائة نفر لم يبق بها غير اثنين أو ثلاثة ولم تعمل الجسور ولا مصالح البلاد لعدم البقر فانها فقدت حتى بيعت البقرة
بسبعين دينارا وملأت الجيف جميع الطرق بمصر والقاهرة وغيرهما من بلاد الاقاليم والذي زرع على قلته أكله
الدود ولم يمكن زرع غيره وكانت التنانير لا يوقد فيها بغير خشب البيوت وكانت جماعة من أهل الستر يخرجون ليلا
ويحتطبون من المساكن الخربة فاذا أصبحوا باعوها وكانت الازقة كلها بمصر والقاهرة لا يرى فيها من الدور المسكونة
غير القليل وكان الرجل بالريف في أسفل مصر وأعلاها يموت وبيده المحراث فيخرج آخر فيصيبه ما أصاب الاول واستمر
النيل ثلاث سنين بدون أن يطلع منه غير قليل حتى بلغ الاردب أو المد من القمح ثمانية دنانير فاطلق العادل للفقراء شيئا
من الغلال وقسم الفقراء على أرباب الثروة وأخذ منهم اثني عشر ألفا وجعلهم في مناخ القصر وأفاض عليهم القوت
وكذلك فعل جميع الامراء وأرباب السعة وكان الواحد من أهل الفاقة اذا امتلأت بطنه بالطعام سقط ميتا فكان
يدفن منهم كل يوم العدة الوافرة حتى ان العادل في مدة يسيرة دفن نحو مائتي ألف وعشرين فان الناس كانوا يتساقطون
في الطرق من الجوع ولا يمضي يوم واحد الا ويؤكل عدة من بني آدم وتعطلت الصنائع فلما أغاث الله الخلق بالنيل لم
يوجد أحد يحرث ولا يزرع فخرج الاجناد بغلمانهم وتولوا ذلك بأنفسهم ومع ذلك لم يزرع أكثر البلاد لعدم الفلاحين
والحيوانات وبيعت الدجاجة بدينارين ونصف ومع ذلك كانت المخازن مملوءة من الغلال وكان الخبز متيسر الوجود يباع
كل رطل منه بدرهم ونصف وزعم كثير من أرباب الاموال أن هذا الغلاء كسني يوسف عليه السلام وطمع أن يشتري
بما عنده من الاقوات أموال أهل مصر ونفوسهم فأمسك الغلال وامتنع من بيعها فلما جاء الرخاء لم ينتفع بشيء منها
بل رماها الانتان فتلفت وأكثر أرباب المال أصيبوا فبعضهم مات عقب ذلك شر ميتة وبعضهم أصيب في ماله ان ربك
لبالمرصاد وهو الفعال لما يريد ثم بعد ذلك جاءت دولة الاتراك فكانت المصائب أشنع وأفظع وتسلطت بأسلحة أحد
وأقطع فكان الغلاء والقحط في سلطنة كتبغا سنة ٦٩٤ في بلاد مصر وهجم عليها من سكان برقة ٣٠٠٠٠ نفس من
الجوع لقلة المطر ببلادهم وجفاف العيون فهلك جلهم جوعا وعطشا ووصل القليل منهم في جهد وقل وتأخر الوسمي
ببلاد الشام حتى فات أوان الزرع واستسقوا ثلاثا فلم يسقوا ثم اجتمع الجميع وخرجوا للاستسقاء وضجوا وابتهلوا
الى الله سبحانه وتعالى فأغاثهم وسقاهم والنيل بمصر وقف عن الزيادة فتحولت الاسعار وتأخر المطر عن بلاد القدس
والساحل حتى فات أوان الزرع وجفت الآبار ونضب ماء عين سلوان وكان مبلغ النيل في تلك السنة أعني سنة ٦٩٤
ستة عشر ذراعا وسبعة عشر اصبعا ونزل سريعا وكسر بحر أبي المنجى قبل أوانه بثلاثة أيام خوفا من النقص فبلغ
اردب القمح مائة درهم والشعير ستين درهما والفول خمسين ورطل اللحم ثلاثة دراهم فأخرجت الغلال من المخازن
وفرقت في المخابز ورتب لكل صاحب جراية ست جرايات في شهرين وكان راتب البيوت وأرباب الجرايات كل يوم سبعمائة
وخمسين اردبا ما بين قمح وشعير ومن اللحم عشرين ألف رطل وكان قد ظهر خلل في الدولة لقلة المال وكثرة النفقات
فتعددت المصادرات للولاة والمباشرين ووزعت البضائع بأغلى الاثمان على التجار ودخلت سنة ٦٩٥ والناس في شدة
من الغلاء وقلة الوارد لكنهم كانوا يمنون أنفسهم بمجيء الغلال الجديدة وكان قد قرب أوانها فعند ادراك الغلال هبت
ريح مظلمة من نحو بلاد برقة هبوبا عاصفا وحملت ترابا أصفر كسا زرع تلك البلاد فأتلف أكثرها وعم ذلك التراب
اقليم الجيزة والغربية والشرقية وزرع الصعيد الاعلى وفسد زرع الصيف كالارز والسمسم والقلقاس وقصب السكر
وكل ما يزرع على السواقي فتزايدت الاسعار وبعد تلك الريح جاءت حمى عمت الناس فغلا سعر السكر والعسل وما يحتاج
اليه المرضى وعدمت الفواكه وبيع فرخ الدجاج بثلاثين درهما ووصل سعر أردب البر مائة وتسعين والشعير مائة
وعشرين والفول والعدس مائة وعشرة ورطل البطيخ درهمين وحبة السفرجل ثلاثة دراهم وتزايد القحط في بلاد

القدس والساحل ومدن الشام الى حلب فوصلت غرارة القمح سعرها مائتين وعشرين درهما والشعير نصف ذلك ورطل اللحم عشرة دراهم والدجاجة أربعة أمثالها وكان ببلاد الكرك والشوبك وبلاد الساحل لما رصد للمهمات والبواكير ما ينوف عن عشرين ألف غرارة فحملت الى الامصار وأجدبت مكة فبلغ اردب القمح بها تسعمائة درهم والشعير سبعمائة فرحل أهلها حتى لم يبق بها من الناس الا اليسير وعدم القوت ببلاد اليمن وكثر بها الوباء فباعوا أولادهم واشتروا بهم قوتا وفروا الى حلل بني يعقوب فتلاقوا مع أهل مكة وضاقت بهم الارض بما رحبت فافناهم الجوع جميعا ماعدا طائفة قليلة وحصل القحط ببلاد المشرق وفنيت دوابهم وهلكت مراعيهم وأمسك المطر عنهم واشتد الامر بمصر وكثر بها الناس من الآفاق فعظم الجوع حتى كان الخبز ينهب من الخبز والحوانيت وكان العجين اذا خرج به صاحبه ليخبزه نهب قبل أن يصل فكان لا يصل الا اذا كان معه عدة يحمونه من النهابين ومع ذلك فكان من الناس من يلقي نفسه عليه ليأخذ منه بلا مبالاة بما أصابه من ضرر الضرب فلما تجاوز الامر حده أمر السلطان بجمع الفقراء وذوي الحاجات وفرقهم على الامراء فأرسل الى أمير المائة مائة والى أمير الخمسين خمسين حتى وزع على أمير العشرة عشرة فكان منهم من يطعم من خصه من الفقراء ثريد لحم البقر ومنهم من يعطي كل واحد رغيفين ومنهم من يعطي كعكا ومنهم من يعطي رقاقا فخف ما بالناس ولكن عظم الوباء في الارياف وفشت الامراض بالقاهرة ومصر وعظم الموتان وكثرت طلبة الادوية حتى ان عطارا بباب حارة الديلم باع في شهر واحد باثنين وثلاثين ألف درهم وبيع من حانوت شخص يعرف بالشريف عطوف من سوق السيوفيين بمثل ذلك وكذلك حانوت بالوزيرية وآخر خارج باب زويلة باع أيضا بمثل ذلك وطلبت الاطباء وبذلت لهم الاموال وكثر ما تحصلوا عليه فكان الواحد منهم يكتسب في اليوم الواحد مائة درهم ثم أعيا الناس كثرة الموتى حتى بلغت عدة من يصل اسمه الديوان السلطاني في اليوم الواحد ما يزيد عن ثلاثة آلاف وأما الطرحى فلم يحص عددهم بحيث ضاقت بهم الارض وحفرت لهم حفر وآبار وألقوا فيها وجافت الطرق والنواحي والاسواق وكثر أكل لحم بني آدم خصوصا الاطفال فكان يوجد عند رأس الميت لحم ابن آدم الميت ويسك بعضهم فيوجد معه كتف طفل أو فخذه أو شيء من لحمه وخلت الضياع من أهلها حتى ان القرية التي كان بها مائة نفس لم يوجد بها غير نحو عشرين وأغلبهم يوجد ميتا في مزارع الفول لا يزال يأكل منه حتى يموت ولا يستطيع الحراس ردهم لكثرتهم ومع ذلك وجد المحصول بعد الحصاد أضعاف المعتاد ولقد كان للامير فخر الدين الطنبغا المساحي من جملة زرعه مائة فدان من الفول لم يمنع أحدا من الاكل منها في موضع الزرع ولم يمكن أحدا أن يحمل منها شيأ زيادة عن أكله فلما كان أوان الدرس خرج بنفسه ووقف على أجران المائة فدان المذكورة فاذا تل عظيم من القشر الذي أكلت حبه الفقراء فطاف به وفتشه فلم يجد فيه من الحب شيأ فأمر به أن يدرس لينتفع بتبنه فلما درس جاء منه سبعمائة وستون اردبا فعد ذلك من بركة الصدقة وفائدة أعمال البر والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وكثرت أرباح التجار والباعة وازدادت فوائدهم فكان الواحد من الباعة يستفيد في اليوم ثلاثين درهما وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع واكتفوا بذلك مدة الغلاء وأصيب جماعة كثيرون ممن ربح في الغلال من الامراء والجند وغيرهم مدة الغلاء اما في نفسه واما في ماله فلقد كان لبعضهم ستمائة اردب باعها بسعر كل اردب مائة وخمسون درهما بل بعضها باعه بأزيد فلما ارتفع السعر عما باع به ندم على بيعه الاول حيث لم ينفعه الندم فلما صار اليه ثمن الغلال أنفق معظمه في عمارة زخرفها وبالغ في تحسينها حتى اذا فرغ منها وظن انه قادر عليها أتاها أمر ربها فاحترقت وأصبحت لا ينتفع بها أصلا * ولما ضربت الفلوس لعبت الناس فيها فنودي أن يستقر الرطل منها بدرهمين وزنة الفلس درهم وهذا أول وزن الفلوس واشتد ظلم الوزير الصاحب فخر الدين الخليلي لتوقف أحوال الدولة من كثرة الكلف فأرصد متحصل المواريث للغداء والعشاء وأخذ الاموال الموروثة ولو كان الوارث أبا أو ابنا فاذا طالبه الوارث بما يستحقه كلفه اثبات نسبه واستحقاقه فلا يكاد يثبت ذلك الا بعد عناء طويل ومشقة فاذا تم الاثبات أحاله على المواريث وهكذا كان يفعل بتركة كل من مات فتضجر الورثة من الطلب فتترك المطالبة واشتد الامر على التجار لرمي البضائع بالاثمان الزائدة والقيم الكثيرة وكثرت المصادرات وعظم الامر واشتد الجور على أهل النواحي وحلت التقاوي السلطانية من الضياع واشتد الامر على أهل دمشق ونابلس وبعلبك وغيرها فكانت تلك الايام في

مطلب أول وزن الفلوس

غاية

غاية الشدة وهذا كله وجدته مسطورا برسالة المقريزى ونقلت بعضه حرفيا ليعلم القارئ فظاعة تلك الايام وسوء
تدبير حكامها ولم تنته الشدة على أهل مصر بانتقال الملك من الدولة الايوبية الى التركية بل زادت زيادة فاحشة
أضرت بالبلاد والعباد واستمر ذلك الى عهد قريب منا وفى جميع هذه المدد كان القحط والوباء متعاقبين وحصل منهما
خراب البلاد فى الاقاليم البحرية وهاك بيان ما حدث منهما فى الاقطار المصرية الى سنة ١٢١٣ التى كان فيها دخول
الافرنج ديار مصر * سنة ٦٩٤ حصل طاعون وقحط وفتن وحرب فى زمن محمد بن قلاوون الملقب بالملك الناصر
* سنة ٧٤٨ حدث وباء شديد فى زمن السلطان حسن وهلك فيه كثير من الناس * سنة ٨٤٢ حدث وباء عظيم فى زمن
جكمك الملقب بالملك الظاهر * سنة ١٠٠٧ حدث طاعون عظيم وقحط أليم فى زمن على باشا السلحدار * سنة ١٠٢٧
حدث طاعون شديد فى زمن الوزير جعفر باشا فخربت البلاد وأقام أربعة أشهر وكان أغلب من يموت عمره من ١٥ الى
٣٥ عاما وعدد من مات فيه ٦٠٠٠٠٠ نفس * سنة ١٠٢٨ حصل غرق عظيم تلاه وباء أليم وقحط مهين * سنة ١٠٢٩
حصل غلاء ووباء شديدان فى زمن ابراهيم باشا * سنة ١٠٣٤ طغى النيل وخافت الناس الغرق والقحط ولكن الله سلم
وزرعت الناس وأخصب الزرع لكن حدث وباء * سنة ١٠٣٥ ومات أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نفس من القاهرة
ولتسكين روع الخلق خرج الباشا على الصياح فكان الميت يمر بالحارة ولا يسمع به وكان الباشا يستحوذ على
التركات * سنة ١٠٣٩ جاء سيل عظيم الى مكة المشرفة فخرب أغلبها وهدم حوائط الكعبة فكتب السيد مسعود
شريف مكة المشرفة الى الباشا والى مصر ومن طرفه كاتب الاستانة فامر ببناء الكعبة وأرسل من مصر جميع
ما يلزم من عملة ومهمات وصرف على ذلك مائة ألف قرش وقرش ذلك الوقت يعدل أربع فرنكات * سنة ١٠٤٩
قصر النيل فزادت الاسعار وتلاه وباء وكثر السارقون وقطاع الطريق فكان لا تمضى ليلة الا وتنهب فيها حارة من
الحارات وذلك زمن الوزير مصطفى باشا البوستانجى * سنة ١٠٥٠ فى زمن منصور باشا حصل طاعون لم يسمع بمثله وكان
ابتداؤه ببولاق ولم يظهر بالقاهرة الا بعد شهرين والذين ماتوا وصلى عليهم ٩٠٠٠٠٠ نفس كما قال أبو السرور وكثر
الموت حتى صارت الموتى تدفن بدون صلاة وخرب بهذا الطاعون ٢٣٠ بلدة من الجهات البحرية * وفى سنة ١٠٦٠
قصر النيل ولم يبلغ غير ستة عشر ذراعا فشرق ثلث الاراضى القبلية ولم يرو غالب أرض الوجه البحرى وعلا السعر علوا
فاحشا وتعطلت الاموال الميرية وكثرت المظالم وفشا النهب * ثم من سنة ١٠٦٣ الى سنة ١١١٢ تداول على حكومة
مصر ٢٢ من الباشاوات فكان الامر بين قتل ونهب ولم أعثر على أمر يخص الاهالى * سنة ١١٤٢ حصل طاعون
شديد يعرف فى كتب الافرنج بطاعون كاوى وذلك زمن شياخة ذى الفقار على القاهرة ولم أر أعظم منه وسبب تسميته
بهذا الاسم على ما ذكر المؤرخون ان فقيرا زنجى الاصل كان يجرى فى الحارات وينادى كاوى كاوى وبعد ذلك رمى
نفسه فى النارنقات ثم حدث طاعون زمن شياخة عثمان بك واستمر مدة مع قحط شديد ولكن تدارك
عثمان بك أمر الناس فلم يحصل لهم كبير عناء ومن بعد هذا التاريخ حصلت حروب متوالية وفتن على سوقها قائمة
متتابعة لا تنقطع لا داخلا ولا خارجا * سنة ١٢٠٥ حدث طاعون فظيع سماه أهل مصر طاعون اسمعيل بك وذكر
المؤرخون انه لم يحصل مثله فى الايام السابقة فانه كان يموت بالقاهرة كل يوم زيادة عن ألف نفس وتغيرت الحكام فى
اليوم الواحد أربع مرات من هوله وشدته فانه كان يتعين الحاكم منهم فيموت من يومه فيتعين بدله وهكذا ومات فيه
اسمعيل بك وأهل بيته وذريته وأتباعه وخلا بيته مرة واحدة وتلا ذلك قحط شديد وغلاء عظيم لم ير مثله بسبب ان
ابراهيم بك ومراد بك احتكرا غلال الصعيد وصارا يتجران فيها فى الخارج هذا ولم أذكر من حوادث تلك الايام غير
المهم منها والا فاتركته أكثر مما ذكرته والآن قد أزال الله سبحانه وتعالى جميع ذلك وخلصنا من مهاوى هاتيك
المهالك حتى صرنا لا نسمع به فلاى سبب كان يوجد فى الماضى ولاى سبب لم يوجد الآن ولاى شئ لم يكثر فى أرض مصر
زمن الفراعنة ومن أتى بعدهم وفشا فى مدة العرب ومن عقبهم وكيف بعد أن كان تعداد أهالى مصر ثمانية ملايين كما
قال استرابون وقبلهم صار يتناقص حتى وصل لثلاثة ملايين حين دخول الفرنسيس وكيف انتقل حتى صار الآن
خمسة ملايين ولم يزل يزداد سنة فسنة فهل يعرف لذلك سبب غير سوء التدبير والجهل بسياسة أمور الامة فى تلك
الازمان وزال ذلك كله والحمد لله فى الازمان الحالية فانا نعلم ان الطاعون كان يظهر فى القطر كل خمس أو أربع سنين

مرة والآن ذهب من أصله بسبب ترتيب مجالس الصحة وازالة الامور الضارة كالبرك والمعاطن واحكام المدافن
واختيار المقابر فى المواضع اللائقة خصوصا حين ابتدئ فى تلقيح الجدرى للاطفال نخلاص منه كثير وأخذ تعداد الامة
يزداد كل سنة مع أنه كان فى السابق يموت الاغلب ويبقى القليل وكذلك لو سردنا الامراض التى كانت قاطنة ببيوت
الاهالى تحصدهم حصد الزرع لوجدنا ان أغلبها ذهب ونجى الله الخلق منه وليس هنالك سبب غير عناية الحكومة
المحمدية العلوية وتوفيق الله اياها الاجراء ما يصلح العباد فكم من مرة مررت وأنا صغير بطرق القاهرة وكنت أفزع من
النظر للمبتلين والمجذومين المنتشرين فى أزقة البلد والطرقات فانظر ما الذى صار حتى أنا لا ارى منهم الآن أحدا
هل لذلك سبب غير ضبطهم ومعالجتهم بالمستشفى المنتظم فى كل بندر ومدينة فمن عبر الآن فى أزقة القاهرة لا يرى شيأ مما
ذكره أحد السياحين من أنه رأى فى العشرة من أهل مصر ثمانية ما بين أعمى وأعور أو على عينه نقطة أو به رمد فهل
ينبغى لنا تكذيب السياح المذكور بل الذى نقوله ان الناس تشبثت بمعالجة أمراض العيون وكثر الكحالون واتسعت
طرق تلطفت بها أمراض العيون ولا ينكر أحد ما كانت الناس تعانيه فى الارياف من أمر معالجة المرضى فانه كان
يندر وجود طبيب بالجهات البحرية وكان أمر المعالجة موكولا للحلاقين وعجائز النساء أما الآن فقد صار بكل مديرية
اسبتالية وأجزاخانة وأطباء وترجمية وبكل قسم طبيب فمن ذلك الترتيب الحسن صفا الهواء من العفونات التى كان
يحملها من مناقع الماء والبرك والمعاطن وتخلص أهل القرى من القاذورات وتظفت أماكنهم وأجروا بين
مزارعهم ترعا وأنهارا وغرسوا أشجارا فما يزرع الآن بأرض مصر أكثر مما كان يزرع بها زمن البطالسة والرومانيين
فان الاصناف المعتادة أخذت فى الزيادة باتساع أسباب دائرة النمو والفائدة كالاكثار من الجداول والانهار
والجسور والمساقى التى أوصلت مياه النيل الى أطراف أراضى البلاد جميع فصول السنة وكانت قبل لا تصلها
الا نادرا وذلك كله ايس الامن وجود المهندسين وتفننهم فى رى ما كان يتعسر أو يتعذر ريه فكان النيل وقت فيضانه
لا يعم البلاد مع انه يغرق بعضها ووقت النقصان تحرم منه فمن ينظر الى حسن سير ولاتنا فى هذه الازمان وسير
الولاة السابقين يجد أنا وصلنا الآن الى درجة عظيمة فى الثروة وصرنا بها من ضمن الامم المتمدنة خصوصا بالتفات الخديو
اسمعيل فانه بذل مجهوده فى توسيع دائرة المنافع العامة وهذا بخلاف ما كانت عليه الحكام فى الازمان الماضية
التى ذكرتها لك آنفا * ولنورد لك انموذجا لتكون على بصيرة فى أمور الولاة بحيث اذا حكمت لهم وعليهم بشئ
يكون حكمك عن تصور فان الحكم على الشئ فرع عن تصوره فنقول انه فى سنة ٩٧١ من الهجرة كان الوالى
على مصر على باشا الصوفى فبدلا عن أن يحضر اليها ويولى أمورها من شاء من أمرائها وأهلها أحضر معه جملة من
حلب وظفهم فى قبض الاموال وضرب النقود فنزل سعر العملة من كثرة الغش الداخل فى العيار وضرر ذلك لا يخفى
وفى زمنه كثر السارقون وقطاع الطريق لاسيما حول القاهرة فاضطر الى بناء حائط من قنطرة الحاجب الى الجامع
الابيض خوفا من السارقين والاشرار أن يدخلوا البلد فانهم كانوا لا يكترثون بشئ لا ليلا ولا نهارا وتولى بعده على
مصر محمد باشا وكان مشهورا بالظلم وسفك الدماء فكان لا يمشى فى البلد الا ومعه الطوباش أى الوالى فيقتل بذنب
وغير ذنب فمتى أشار الى أحد وقعت رأسه وكان له جواسيس تخبره عن أصحاب الثروة وأرباب الاموال فيحبسهم
ويطلب منهم مبالغ يقررها عليهم وينوع لهم العذاب حتى يسلبهم أموالهم واستعمل المصادرة وضرب الجرائم وفى
سنة ١٠٠٧ كان الوالى على مصر الوزير على باشا السلحدار وكان أيضا غشوما ظلوما سفاكا للدماء لم يعهد انه خرج
فى البلد مرة ورجع الى بيته بدون سفك دم فانه كان يقتل العشرة أو الاكثر ثم يدوس رممهم بفرسه ليعتاده وكان
يأمر بترك القتلى فى الطرق الايام العديدة وفى زمن الوزير حسين باشا المتولى على مصر سنة ١٠٤٤ كثر الظلم وفشا
الغدر حتى صار يضرب به المثل ولما حضر أحضر معه جملة من الدروز ثم سلطهم على نهب الاموال فكانوا يدورون
فى البلد وينهبون الاموال جهارا حتى أغلق الناس حوانيتهم وتعطلت الاسواق وقل الامن فى جميع الرعية على
المال والنفس وتفنن ذلك الباشا فى جوره واستحوذ على نقود التركات فكان أكثر من يقتله يستولى على ماله ووضع
يده على ايراد الاوقاف ومرتبات الارامل والفقراء ولنقتصر على ذلك لئلا يطول الكلام ونخرج عما نحن بصدده
فمن أراد استيفاء أحوال تلك الازمان فعليه بملخص تاريخها فى آخر هذا الكتاب ليعلم ان جميع الباشوات الذين تولوا

مصر

مصر كان مطمح نظرهم ومسرح فكرهم الحصول على المال بدون التفات الى أحوال الخلق وقل من وجه منهم نظره لهذا الامر وأيضا لو فرض أن لبعضهم رغبة وميلا لفعل الخير لا يتيسر له ذلك لامور منها أن القوانين فى تلك الايام كانت موكولة الى الديوان العالى لا استقلال للولاة بشئ منها فلم يكن لهم من الحكم الا الاسم ومنها أن البلد كانت بيد أمرائها ومشايخها فمن وافقهم أحبوه وأبقوه ومن خالفهم عزلوه ونفوه ومنها انه كان كل من يأتى الى مصر من الولاة لا يستغنى عن بطانة من الاستانة وتكون له مستندا يستند اليها فى أوقات شدته فكان مضطرا الى مواساة بطانته فمن أين يحصل على ذلك بل على مؤنته لو لم يتعلق الى كل من كان له فى البلد كلمة ولو اشتهر بالفجور أو كان أحد الظلمة ومنها ما استقر فى أذهان ولاة ذلك الزمان وربما شاهدوه بالعيان أن الوالى قد يولى فلا يصل الى ديوانه الا وقد لحقه الامر بعزله ورجوعه الى مكانه فلذلك كان من يلى مصر لا يستقر ولا يهدأ له سر حتى يدور مع الايام حيث دارت ويوافق أعيان البلد فى كل ما به عليه اشارت ويداهن العدو والحبيب ويجامل البعيد والقريب ليطمئن على وظيفته ويحصل على ما يلزم لمؤنته وهناك ما هو أدهى من ذلك كله وهو علمه بأن روحه بيد البيكوات الذين كانوا بمصر وقتئذ اذ كان من عوائدهم انهم اذا غضبوا على وال أرسلوا اليه من يهدده فان رجع الى رأيهم ووافقهم على أغراضهم والا أرسلوا اليه الصوباشى فيذهب اليه فى هيئة غير معتادة راكبا حمارا فاذا رآه العامة بهذه الحالة عرفوا ما هو بصدده واجتمعوا حوله وتبعوه الى القلعة فيكون لهم هناك ضجيج وغوغاء فاذا دخل على الوالى قبل الارض بين يديه ثم سلمه الامر وطوى طرف البساط الذى هو جالس عليه فيقوم من فوره وينزل اما الى منزله أو الى السجن أو القتل فكان كل من ولى مصر من هذا القبيل ولا ينجو منهم من يد البيكوات ومشايخ البلد الا القليل لانه ان أرضى البيكوات أغضب الدولة وان أرضى الدولة أغضب البيكوات وان أرضاهما أغضب الاهالى ولا تسل عما يكون خلال ذلك مما يغضب المولى جل جلاله فأين ما كان فى ذلك الزمان مما نراه الآن فقد أمن الخلق واتسعت أسباب الرزق خصوصا أيام أفندينا اسمعيل وفقه الله لكل أمر جليل جميل

(المدة السابعة) ٢٠٢ سنة من ذلك الزمن نزلت مدينة الفسطاط عن درجتها وانحط قدر مدينة الاسكندرية انحطاطا كليا وانفردت مدينة القاهرة بما كان لهاتين المدينتين من المزايا العلمية والسياسية وصارت تتزين بالمبانى الفاخرة الى أن حصل حرب الصليب فى منتصف القرن الحادى عشر الذى بعده اختلاط الاوروباويين بالشرقيين وظهر صلاح الدين سنة ١١٧١ فانه فى القرن الحادى عشر من الميلاد كانت أوروبا فى أرض الخمول ولا دخل للمعقول فى أحوالها وكانوا جميعا فى انقياد تام للديانة تقتبس طباعها وأخلاقها وادارة أحوالها من رجالها وكانت كلمة القسوس هى الكلمة النافذة لا يخالفها الملك ولا أحد من الرعية ولما اتسعت دائرة الاسلام وتتابع نصره وتمكن ببلاد المشرق انحصر النصارى ببلاد المغرب وكانت أهالى القسطنطينية حينئذ على وجل من قيام الساعة لا يتكلم فى مجالسهم الا بقرب انقضائهم فمنهم من ينسبه الى طوفان عام ومنهم من ينسبه الى حريق عام وكانوا جميعا قائلين بزوال هذا العالم موجهين أفكارهم نحو الديانة طالبين من الله الرحمة ثم قصدوا بيت المقدس من كل ناحية وفيهم رجل فرنساوى اسمه عندهم بيراى الحجر تردد على بطرق بيت المقدس مرارا واتفق معه على أن يوصل مكاتيب يكتبها للبابا وملوك أوروبا أن يتعاهدوا على طرد المسلمين من القدس فتوجه الى البابا وعرض عليه الكيفية فاستحسنها * وفى سنة ١٠٥٥ حصل الاتفاق من كبار الديانة على محاربة المسلمين ولما أعلنوا بالحرب صارت الناس تطلب الدخول فى المجاهدين تطوعا منهم وباع أغلب الناس ما يملكه ليصرفه فى سبيل الله ثم لما جاؤا وتصادموا مع المسلمين نجحوا أول مرة وانتصروا على المسلمين واستولوا على بيت المقدس وانتصب جودفروى أحد الرؤساء على أرض القدس وذلك سنة ١٠٩٩ ثم طمع النصارى فى المسلمين ورغبوا فى الاستيلاء على باقى بلاد الاسلام لضعف الخلفاء وتساهلهم فى حفظ البلاد وذلك مدة العباسيين والفاطميين فقام أمورى الاول ملك القدس وقصد الديار المصرية سنة ١١٦٨ بجيش عظيم واستولى على بلبيس وتوجه نحو القاهرة فصالحه الخليفة العاضد رغم أنفه لعجزه عن المدافعة وقرر على نفسه مليونا من الدنانير ورغب الدخول فى المدينة للحصول على الدراهم فخاف أهل القاهرة خوفا شديدا فاتفق أمراء الدولة مع الخليفة على أن يحرروا مكاتيب الى الملك نجم الدين يطلبون منه النجدة فارسل لهم صلاح الدين على جيش عظيم وكان صلاح الدين حاز شهرة عظيمة فى محاربة نور الدين مع النصارى لكن

بعد قدومه بالعسكر رأى العاضد أن ابعادهم عن مصر خير له فتم أمر المصالحة مع النصارى وصرف الجميع عن بلاده ثم اضطر ثانيا الى طلب المعونة من نور الدين لان أموري وملك القسطنطينية كانا اتحدا معا وأرسلا جيشا عظيما في البحر الى ثغر دمياط فارسل له نور الدين يوسف صلاح الدين فلما حضر ثانيا جلاهم عن الديار المصرية بعد محاصرة دمياط شهرين فكافأه العاضد على ذلك بجعله أكبر وزرائه ورئيس جيوشه ولقبه بالملك الناصر فلم يكتف بذلك صلاح الدين بل اخذ يبدي ما هو كامن في ضميره وما أسر اليه سيده واول شيء اظهره ابطال اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة وتعويضه باسم الخليفة العباسي الثالث والثلاثين من بني العباس واكرام من بقي من نسل العباسيين الذين بمصر فخصهم بجميع مزايا الابهة والشرف في الامور الدينية فقط وبقيت لهم هذه المزايا فيما بعد ومن ذلك الحين صار لا يسمع بذكر شيعة علي وجعلت الامامة للشافعية وفي اثناء جميع تلك التغييرات كان العاضد مريضا ثم مات فاغتنم صلاح الدين فرصة موته وجعل الملك باسم سيده ومحا ذكر الفاطميين من الديار المصرية واستولى على أموالهم وذخائرهم وبعد ذلك رأى في نفسه القدرة على الاستقلال فاستقل بحكومة مصر وأسس بها العائلة الايوبية ومات نور الدين سنة ١١٨٣ فطمع في مملكته وأغار عليها واستحوذ عليها جميعها وجرد أولاد سيده نور الدين من ملك أبيهم ثم في سنة ١١٨٨ توجه الى بلاد القدس وحاصرها وتغلب عليها وطرد ملكها منها وسطا على ملك النصارى بالبلاد الشامية وبلاد فلسطين وجلاهم عنها وشاع ذكره واشتهر أمره ببلاد أوربا والمشرق وخافه الخلق اجمعون لشهامته وحسن تدبيره ونظره في الامور وهو الذي لهج المؤرخون بمدحه من بين من جلس على تخت هذه الديار قبله وبعده ومع ذلك لما مات لم يوجد في خزائنه الا سبعة وأربعون درهما ودينار واحد ولم يخلف ملكا ولا عقارا ولكن لا تخفى فعلاته التي فعلها بسيديه الاول نور الدين وأولاده والثاني العاضد وأولاده لانه لما توفي العاضد استحوذ على القصر بما فيه من نفائس الاموال واعتقل اقاربه من نساء ورجال ومنعهم عن نسائهم لئلا يتناسلوا ولكن أين صاحب فضل لم يغلب عليه الطمع * ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * ثم مات سنة ١١٩٣ فقسمت دولته بين ولديه العزيز والافضل وعلت كلمة الايوبية في الديار المصرية ولكنها لم تبق على ذلك الا زمنا يسيرا فالذي كان على تخت مصر من أولاده هو الملك العزيز وأما الملك الافضل فكان على الديار الشامية والاول مات ولم يترك ذرية فصار الافضل على الولايتين وجعل تخت مملكته القاهرة ولم تطل مدته بل طرده عمه الملك العادل وقام مقامه وهو الذي بحاله عشقته أخت ريشار وكان حصل الاتفاق بين صلاح الدين وأخيها على زواجها به لكن توقف المسلمون ومن ذلك العهد صارت أولاده تتوارث ملكه الى زمن الملك الصالح الملقب بنجم الدين ثم حصلت وقعة سنلويز المشهورة وهاك بعض تفاصيلها في سنة ١٢٤٤ حصل لجيش النصارى في ضواحي غزة هزيمة عظيمة ووصل خبرها بلاد النصرانية فأمر البابا بانعقاد مجلس من امراء الروحانيين وذلك سنة ١٢٤٥ فانحط الرأي على تجريدة سابقة على المسلمين وفي تلك المدة كان ملك قسطنطينية وملك المانيا وملك ايتاليا في ارتباك تام فلم يمكنهم ان يرسلوا جيشا فانفرد بهذا الامر ملك فرانسا فجمع العساكر ووكل على المملكة والدته سنة ١٢٤٨ وسار بهم في البحر وكان معه اخوته الثلاثة وجميع رؤساء دولته وفي شهر سبتمبر وصل جزيرة رودس فأقام هنالك الى فصل الصيف من السنة القابلة وهي سنة ١٢٤٩ ثم قام فوصل دمياط بعد خمسة عشر يوما فاغتنم الصالح نجم الدين الفرصة وحصن مدينة دمياط وجمع ما يلزم من السلاح والذخيرة والرجال وجعل على الساحل جيشا من الخيالة رئيسهم فخر الدين لمنع النصارى من الخروج الى البر وأغلق بوغاز النيل ومع هذا فقد هجمت النصارى وخرجت وانهزم فخر الدين بمن معه ودخل دمياط مرعوبا فاغتنم الاهالي والعسكر فنزوحا هاربين منها فدخلها الفرنسيس بدون ممانع واستحوذوا على ما فيها ولولا غفلة الفرنسيس عن اتباع أثر المنهزمين لدخلت مصر في قبضتهم لانه لم يكن بها حينئذ جيش غير هذا الجيش ولكن قضى الله بذلك لامر يعلمه وأقام الملك ينتظر حضور أخيه بمن معه من العساكر وأما نجم الدين أيوب فبعد ان أفاق من دهشته وتفكر في الامور أقام في مدينة المنصورة وجعل الاستحكامات فيما بين المدينة والبحر الصغير وجمع من جميع جهات القطر ما تعظم به القوة وتتم به المدافعة وفي اثناء ذلك اشتد مرض السلطان ومات فأخفت زوجته شجرة الدر موته خوفا من فتور همة الجيش عن الحرب وذلك باتفاقها مع رئيس الجيش عز الدين ايبك وعقد الكلام بينهما على ان ذلك الاخفاء يستمر الى

مطلب استقلال صلاح الدين بالحكومة المصرية

مطلب وقعة سنلويز المشهورة

حضور

حضور ولدها الملك الملقب بطوران شاه من ديار بكر ثم حضر جيش النصارى من البر الشرقى الى البحر الصغير ورغبوا مجاوزته والعبور عليه فمنعهم المسلمون من ذلك ثم دلهم بعض الناس على جهة يخوضونه منها نظير مبلغ ألف فرنك جعلوها له فساروا الى ذلك الموضع فعلم المسلمون بذلك فمانعوهم واقتتل الفريقان ولم يجد ذلك شيأ بل جاز جيش النصارى البحر وساروا حتى دخلوا المنصورة فدخل أخو الملك داخلها مع جماعة من العسكر وانفرد عن الجيش فتفرق جمعه ولكن قيض لهم من جمع شملهم ولولا ذلك لاخذت مصر وقتها وفى هذه الواقعة نزل أهل المنصورة المقبرة الاسلامية وقاتلوا من دخل المدينة وأفنوهم عن آخرهم وفيهم أخو الملك وكان جيش النصارى متفرقا بعضه فى البر البحرى وبعضه فى البر القبلى فكان المسلمون ينتهزون الفرصة ويحاربون هذا الفريق تارة والآخر تارة ومع ذلك لم يتم النصر لاحد الفريقين فى هذا اليوم وكانت النصارى زحزحت المسلمين عن معسكرهم وفى اليوم الثانى حضر طوران شاه وتقلد باعباء الملك فاصطدم الفريقان صدمة هلك فيها كثير من الفريقين ولم يتم الفوز لاحد من الفريقين على الآخر فى هذا اليوم أيضا ثم ان طوران دبر تدبيرا وهو ان يمنع ما يرد الى جيش النصارى فارسل خلقا الى المراكب التى بها ما كلهم فلحق جيش النصارى من الكرب ما لا مزيد عليه وهجم عليهم الطاعون والامراض فانهزموا فلحقهم المسلمون فجازوا البحر على قنطرة من خشب كانوا صنعوها على البحر الصغير فالتقى الفريقان بفارسكور فاقتتلوا قتالا عظيما انتصر المسلمون فيه على النصارى وأسروا ملكهم ومن معه من الرجال والعساكر وكر المسلمون راجعين الى المنصورة فرحين بما أوتوا وهنالك اشترطوا على ملك النصارى شروطا منها انه يخرج من مصر وان يسلم تطير فلك أسره مائة ألف وزنة من الذهب والوزنة خمسة ليورا باريزى وعلى هذا ذهب جيش النصارى من مصر وسلم دمياط ولما وصل ملك النصارى عكا أرسل ما فرض عليه وانما خرجنا عن الموضوع واطلنا فى تفصيل حوادث هذه الاوقات ليعرف القارئ ما ورد على الديار المصرية ومع ذلك فالغارة الاولى التى كانت فى سنة ١٠٩٦ والثانية التى كانت فى سنة ١١٤٨ لم يحصل منهما انتقال المدينة اسكندرية عما كانت عليه ثم انه يقال ان الفرنساوية كانوا تحت امرة أمورى الاول ملك بيت المقدس الذى أغار على الديار المصرية وحاصرها ولم يتمكن منها المدافعة أهلها عنها وارتد خائبا كما صار له فى هجومه على القاهرة ودمياط ثم انه عقب تلك الغارات هجم صلاح الدين على بلاده فخربها (المدة الثامنة) ٧٩ سنة وهى دولة الايوبيين والاكراد التى اعقبت الفاطميين وكان فى امكان الفاطميين ان يبقوا الاسباب الموجبة لاضمحلال ملك العباسيين ويجعلوا العدل أساس ملكهم ويسيروا على منهج الشرع لتتمكن حكومتهم فى الارض وتبقى وذلك انما يكون بتأليف قلوب الاهالى ولكن لم يلتفتوا لذلك أصلا بل تبعوا فى سيرهم الخلفاء ببغداد وأكثروا من الظلم والزهو واشتغلوا بالمحاورات الدينية واشتركوا مع العلماء فى المجادلات المذهبية وأكثروا من العدوان بقصد الحصول على رجال يدخلون فى مذهبهم وأضلهم الحاكم بأمر الله الذى ادعى الالوهية فاشعل النار بالقاهرة للتسلى فضاق الحال بالخلق وال أمر الخلافة الفاطمية الى ما آلت اليه من الاضمحلال وضعفت شوكتهم وطمع فى الخلافة المقربون منهم وفى زمن الخليفة العاضد آخر سلالتهم تو عده أحد رؤس الجيش وكان قد عزله بأنه يخليه من الخلافة فمن خوفه وعدم أمنه على حاشيته وأهله الكثرة ظلمه استعان بالاجانب وطلب النجدة من نور الدين ملك حلب ولم يتفكر فى العاقبة فارسل له جيشا خاصه مما رضى ان يدفعه للافرنج بعد وقعته معهم فى الشام ونصره على القائمين عليه من رجاله وما علم انه تخلص من عدو ضعيف ووقع فى مخالب من لا طاقة له به فبهذه الكيفية أنشب صلاح الدين رئيس الجيش من طرف نور الدين مخالبه بملك العرب فازاله عنهم وانتقلت حكومتهم الى طائفة من الاكراد والاتراك المعروفة بالطائفة الايوبية وأولهم صلاح الدين فانه هو الذى أتى بجيوشه المركبة من الاكراد والاتراك وازال الفاطميين من الديار المصرية وجلا الافرنج عن الديار الشامية بعد ان كانوا مستولين عليها من زمن مديد وفى زمنه حصلت غارات منهم متعددة ففى الاولى وهى الرابعة بالنسبة لحرب الصليب وكانت تكونت بلاد الونديك سنة ١١٢٢ أخذت مدينة قسطنطينية وتلاها غارة سندلويز سنة ١٢٤٨ على الديار المصرية ولم تضر بالقطر انما اضرت باسكندرية لان الفرنساوية والبندقيين أضرموا فيها النار وتركوها حين علموا انهم لا يمكنهم الاقامة بها وذلك سنة ١٢٥٠ وعلى نسق الفاطميين اتخذ الايوبيون القاهرة تخت مملكة وزادوا فى زخارفها بما أحدثوه فيها من المبانى

العظيمة واتسعت دائرة العلم فيها بعناية صلاح الدين وخلفائه من حين الى حين وأما اسكندرية فانها كانت آخذة فى الانحطاط وحينما كانت مصر تتقلب فى شباك هذه التقلبات كانت جهة شمال آسيا عرضة لامر فظيع لم يسمع بمثله وهو أن جانجيز خان بعد ان آلت له الرياسة على جميع قبائل التتار كان يترقب فرصة الاغارة على البلاد المجاورة وبينها لم يمض عليه زمن الا وحصل مايرومه وأغار على بلاد بلخ بدعواه ان ملكها تعدى على تجار تحت حمايته وسبى أهلها ودمر بلادها وكذلك أغار على الفرس وحصل من ذلك هول عظيم لجميع سكان هذه البلاد وفى هذه الغارة الفظيعة حصل مالم يسمع بمثله وعم النهب والسبى والحرق والقتل جميع مدن هذه الممالك وقراها ولم يكتف بما تين المملكتين بل تعدى الى بلاد الروسيا وغيرها وأوجب الخراب لكافة بلاد هذه الجهات ونتج من ذلك دخول المماليك أرض مصر وزوال سلطنة الايوبيين منها لان التتار بعد ان فعلوا ما فعلوا ساقوا الاهالى على الاسواق المملوءة فى آسيا فلذلك صاروا يبيعونهم بابخس الاثمان فاستحوذ سلطان مصر الملك العادل بسبب اغواء رجاله الاكراد على مقدار عظيم منهم ليجعلهم جيوشا له سيما وقد كان بين الايوبيين وبين هذه الجهات علائق محبة وفى سنة ١٢٣٠ اشترى اثنى عشر ألفا من الشبان فكانوا من الجركس والاباظة والجرج وغيرهم ورباهم وأحسن تعليمهم فصار جيشه بهم أحسن جيوش الاسلام واغاهم والبحرية لانهم أتوا مصر من طريق البحر ومن اعتنائه بهم وقربهم منه قويت شوكتهم وعلت كلمتهم حتى صار لهم الامر والنهى فى المملكة وتصرفوا فى جميع أمور السلطنة وفى أحوال سيدهم ثم استولوا على الملك بقتلهم آخر سلاطين الايوبية وأسسوا دولة عرفت بدولة المماليك وهى (المدة التاسعة) وكان لرئيسهم عز الدين ايبك شهرة عظيمة فى حربه مع الفرنج فى واقعة المنصورة وعلت كلمته عند شجرة الدر ورجال الحكومة وكان ذلك على غير مراد طوران شاه الذى تولى بعد موت أبيه فاجتهد فى ازالة هذه الشهرة عنه مع أصحابه الذين حضر وا معه من ديار بكر ولم ينجح فى ذلك لانه كان مكبا على اللهو محبا للازهو ولما طالب بمال أبيه من والدته شجرة الدر التجأت الى ايبك المذكور فقام عليه وقتله وبعد ذلك بقليل استولى على الملك وأسس دولة بقيت زمنا مديدا تتصرف فى أحوال الديار المصرية على غير قانون معروف فكان كل فعلهم تبعا لهوى النفس والشهوات ومن وقت ظهور هذه الطائفة بارض مصر الى زمن الغورى أى سنة ١٢٦٧ استولى ٤٧ ظالما نتج من توالى أفعالهم تضعضع حال ديار مصر وامتهن العلم وهجرت مدارسه وهاجر منها السعد والعز الذى كان لا يفارقها وافتقر أهلها واضمحل حالهم وخربت البلاد من كثرة الفتن وتوالى الظلم والجور واستمر ذلك الى دخول السلطان سليم هذه الديار سنة ١٥١٧ فتغيرت الحكومة ولم تتغير حالتها حتى دخل الفرنسيس وفى كل هذه المدة كانت البلاد الاوروباوية آخذة فى التقدم واتسعت دائرة التجارة فيها ودائرة العلم بما ظهر من الاختراعات النافعة لاسيما بيت الابرة فانه كان سببا قويا أعانهم على السير فى البحار والتوصل للاقطار البعيدة بخلاف جهة المشرق فانها دفنت نفسها فى أرض الخمول ونامت فى مهاد الجهل فكر عليها الفقر بجيوشه * وفى سنة ١٥٠٤ تفكر الغورى الذى ولاه المماليك على حكومة مصر فيما يقطع به حبال عنادهم ويكسر به شوكتهم التى تسبب عنها استقرار الفتن من ابتداء سنة ١٢٥٠ فارسل منهم جيشا الى الهند قصد به طرد البرتغاليين عنها ورجوع التجارة الى طريق مصر لانها كانت أخذت تسلك طريق غشم الخير ولكن لم ينجح هذا القصد بل انكسرت عساكره البحرية ومع هذا فكانت شهرته سارية فى جميع جهات المشرق وكان فى القدر مثل اسمعيل شاه العجم والسلطان سليم سلطان آل عثمان وهذا السلطان كان يجب أن تمتد غصون شجرته فاغتنم فرصة فرار ولد أخيه واحتمائه بشاه العجم فاعلن له بالحرب وسار له بجيش جرار ولما وصل الى حلب أغراه حاكمها خيرى بيك على محاربة المصريين فقبل منه ذلك * وفى سنة ١٥١٦ كانت واقعة حلب التى مات فيها الغورى وانهزمت العساكر المصرية فكر بعدها السلطان سليم بجيوشه على مصر القاهرة سنة ١٥١٧ ودخلها وأخذ طومان باى الذى ولته العسكر بعد الغورى على مصر وصلبه على أحد أبواب القاهرة وبه انتهت دولة المماليك (المدة العاشرة) ٢٩٩ سنة جاء بعد المماليك على مصر دولة العثمانيين ولم تخالف دولة المماليك ومن مبدإ ظهورها فى صحارى الجهة العليا من آسيا وهى تشن الغارات وتشعل نار الحرب وأول شئ أغارت على مابقى لدولة الرومانيين الشرقية فى سواحل البحر

الابيض

الابيض واستولت عليه فى أواخر القرن الثانى عشر ثم دخلت أرض أوربا فى القرن الرابع عشر وأشعلت نيران الحروب فى نواحيها وفى القرن الخامس عشر استولى السلطان محمد على القسطنطينيه وأزال ملك الرومانيين بالكلية من جهات المشرق ثم بعد ذلك بقليل صارت مصر داخلة فى حكومة آل عثمان وأما أهل البلاد الاوروباوية فأخذوا فى طريق المدافعة عن أنفسهم وبلادهم ووقفوا عند حدود لا يتجاوزونها فنجحوا بسبب ذلك ومن اجتهادهم وغيرتهم على أوطانهم نمت قوتهم العسكرية والسياسية حتى فاقوا على عدوهم وأدخلوا فى ملكهم ما كان للاوروباويين من بلاد أوروبا وفى خلال تلك الفتن والحروب عم الخراب مدينة الاسكندرية ولم يبق شىء منها وصارت فى مدة البيكوات لا اعتبار بها بين المدن الى زمن الفرنساويس والذى أتم خرابها وأزال سعدها اتخاذ الاوروباويين طريق العشم للتجارة وتركهم طريقها فأوقعت بذلك فى أسوا حال وتجردت عن كل مزية * وحيث انجر بنا الكلام الى ذكر تلك الحوادث فلا بأس أن نذكر ملخص تاريخ الحوادث التى تقلبت فيها الديار المصرية من استيلاء الدولة العثمانية عليها ليقف القارئ على أسباب اضمحلال الديار المصرية وسقوط هذه المدينة عن الدرجة التى كانت اكتسبتها فى الازمان السالفة ونبدأ بالاهم منه فنقول (ان السلطان سليم) لما أخذ مصر ورأى غالب حكامها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم رأى أن بعد الولاية عن مركز الدولة ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة وتطلبه الاستقلال فجعل حكومة مصر منقسمة الى ثلاثة أقسام وجعل على كل قسم رئيسا وجعلهم جميعا منقادين لكلمة واحدة هى كلمته ورتب الديوان الكبير وجعله مركبا من الباشا الوالى من قبله ومن بيكين السبع وجاقات وجعل للباشا مزية توصيل أوامر السلطان الى المجلس وحفظ البلاد وتوصيل الخراج الى القسطنطينية ومنع كل من الاعضاء عن العلو على صاحبه وجعل لاعضاء المجلس مزية نقض أوامر الباشا بأسباب تبدو لهم وعزله ان رأوا ذلك والتصديق على جميع الاوامر التى تصدر منه فى الامور الداخلية وجعل حكام المديريات الاربع والعشرين من المماليك وخصهم بمزية جمع الخراج من البلاد ودفع العربان وصدهم عنها والمحافظة على ما فى داخلها وكل ذلك باوامر تصدر لهم من المجلس وجردهم عن التصرف من أنفسهم ولقب أحدهم المقيم بمصر شيخ البلد ثم رتب الخراج وقسمه أقساما ثلاثة وجعل من القسم الاول ماهية عشرين ألف عسكرى بالقطر من المشاة واثنى عشر ألفا من الخيالة والقسم الثانى يرسل الى المدينة المنورة ومكة المشرفة والقسم الثالث يرسل الى خزانة الباب العالى ولم يلتفت الى راحة الاهالى بل تركها عرضة للمضار كما كانت * ومن هذا الترتيب تمكنت الدولة العلية من ابقاء الديار المصرية تحت تصرفها نحو مائتى سنة ثم أهملت بعد ذلك القوانين التى وضعها السلطان سليم من حين استيلائه عليها وكانت هى الاساس ولم تلتفت الدولة لما كان يحصل من المماليك من الامور المخلة بالنظام فضعفت شوكة الدولة وهيبتها التى كانت لها على مصر وأخذت البيكوات تكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية فى الديار المصرية وآل الامر والنهى لهم فى الحكومة وصارت حكومة الدولة صورية غير حقيقية وسبب ذلك اكثارهم من شراء المماليك ولو كانت الدولة العلية تنبهت لهذا الامر ومنعت بيع الرقيق لكانت الامور باقية على ما وضعها السلطان سليم ولكن غفلت عن هذا الامر كما غفلت عن أمور كثيرة ومن ذلك لحق الاهالى الذل والاهانة وهاجر كثير منهم الى الديار الشامية والحجازية وغيرهما وخربت البلاد وتعطلت الزراعة من قلة الزراعين وعدم الاعتناء بتطهير الجداول والخلجان الذى عليه مدار الخصب ونتج من ذلك ومن خوف الدولة العلية من تمكن الباشا فى الحكومة أن تغلبت البيكوات وصارت كلمتهم هى النافذة وانفردوا بالتصرف ومن قرب الطائفة العسكرية منهم بالزواج دخلوا ضمن عيالهم وأهلهم وصاروا من حزبهم فكان مقرر الوجاقات من العلوفات والمرتبات منحصرا فى صندوق واحد لا يصرف لاحد من البيكوات بارادته بل كان التصرف للديوان والظاهر أن ذلك كان على غير رغبة الرؤساء فاجتهدوا فى تغيير هذا النظام ونالوا مرغوبهم وصارت لهم الارض وتملكوا بلادا من بلاد الارياف ومن مساعدة حكام المديريات لهم داخلهم حب المال فتحولوا عن واجب وظيفتهم الاولى وأمكن البيكوات أن يضموهم الى أحزابهم ويستميلوهم على نفوذ أغراضهم بعدما كانوا معدين لردعهم وقهرهم على طاعة السلطان ومن ذلك الحين قويت شوكة البيكوات وضعفت شوكة الباشا واستقلوا بالكلمة وأكثروا من

مطلب تاريخ الحوادث من استيلاء الدولة العثمانية

جمع المال وانوعوا المظالم وصار كل منهم يجعل لنفسه جيشا من المماليك و يوسع فى دائرة سطوته بالاستحواذ على الوظائف لما اتيته فصارت الحكومة المصرية عبارة عن حكومات متعددة بعدد البيكوات وقوة كل بالنسبة لقوة حزبه والرؤس المتفرعة عن رأيه وصارت كلمة الباشا منبوذة لا يعول عليها واستقل الديوان بحكومة الديار المصرية وتصرف فيها بالطريق التى يستحسنها ٭ وفى سنة ١٧٤٦ وصل ابراهيم كيخيا أحد أعضاء المجلس للاستحواذ عليها بكثرة رجاله وجيشه لانه كان من مماليكه ثمانية حكام بالمديريات من ضمن الاربعة والعشرين بيكا وحيث ان الباشا كان يتحصل من بيع الوظائف على مبالغ جسيمة كان ذلك داعيا لابراهيم باشا الى الاستيلاء على كل وظيفة خلت بأى سبب من الاسباب فعلت كلمته على أقرانه سيما بانضمامه الى رضوان كيخيا صاحب الكلمة ومن ذلك الحين سقط اعتبار الباشا المعين من قبل الدولة وصارت أوامر الدولة غير مسموعة و بقى له التصرف حتى مات سنة ١٧٥٧ ثم انتقلت الكلمة لمتقاته ثم بعد طرد رضوان كيخيا وقتله بعصبة المماليك صارت الرياسة لمن غلب وحصلت فتن أدت الى حروب داخل القاهرة وخارجها فلحق الخلق من ذلك ما لا مزيد عليه من الضرر والكرب و بلغت الشدة منتهاها وعم الخراب المدن والقرى واستمر ذلك الى زمن على بيك الذى أصله من الاباظية وكان قد أهداه الجركشى الى ابراهيم كيخيا فحظى عنده لما كان يرى فيه من البسالة فاعتقه و زوجه ورقاه الى رتبة الكشوفيه ثم جعله من ضمن البيكوات حكام المديريات فكان جميع ذلك باعثا له على الطمع وتمنى الرياسة فاخذ فى الاسباب وصار يكثر من البر للاصحاب وغيرهم فالفوه حتى صار له حزب عظيم بعد موت سيده مركب من مماليكه ومماليك غيره فاستعمله فى ايقاد نار الفتن مدة رضوان كيخيا الذى أعقب سيده ومدة عبد الرحمن كيخيا المتولى بعد رضوان كيخيا و بمكره واستمالته القلوب توصل الى نفى عبد الرحمن كيخيا ومنعه من دخول مصر وكان توجه أميرا على الحاج ولكن لم يتمتع بثمرة هذا المكر زمنا طويلا بل رجع عبد الرحمن كيخيا ونفاه الى غزة ٭ وفى أثناء الطريق تحيل ورجع الى الصعيد وهناك اجتمع باصحابه الذين وصلوا له من القاهرة وصار يدبر أمر ايكنه من الملك ولم يكن غافلا عن ذلك فى مدة السنتين اللتين أقامهما بجدة وكان يبذل الاموال فى القاهرة لاستمالة القلوب فكثر حزبه وقوى ودخل القاهرة على حين غفلة وقتل فى ليلة واحدة أربعة من البيكوات ونفى أربعة وتمكن من أمر الرياسة ولم يكتف بذلك بل رغب فى الاستبداد ورفض حكومة الدولة العلية سنة ١٧٦٨ وضرب المالمة باسمه وشاع أمر خروجه عن الطاعة ولم تقدر الدولة العلية حينئذ على رده الى امتثالها لاشتغالها بحرب الموسكو التى كانت نيرانها مشتعلة وذلك سنة ١٧٦٩ والظاهر أن الداعى لعلى بيك المذكور على رفض الطاعة للدولة ما بلغه من عصيان عرب الشام وكان كبيرهم اذ ذاك رجل يقال له ضاهر فاتحد معه البيك المذكور ووافقه على ذلك وصار يجمع الرجال و يغدق عليهم بالمال حتى اجتمع حوله نحو ستين ألف مقاتل وأرسل محمد بيك أبا الذهب فاستولى على مكة والبلاد الشامية وكان ما صرفه على تجريدة مكة خاصة ستة وعشرين مليونا من الفرنكات وهى تعدل خمسمائة وعشرين ألف كيس من الدراهم فما بالك بما صرف على غيرها فاشتد الكرب وقحط الناس سنتين أولاهما سنة ١٧٧٠ ولم يعد عليه من ذلك أدنى فائدة بل كان منبع المصائب التى غرق فى بحرها فان أبا الذهب لما التقى بجيش الدولة فى حلب وغلبهم اجتمع برئيسهم عثمان باشا فوعده ومناه بامرة مصر وأراه أن الالحاق بالسلطنة أقرب لمقصوده من الالحاق باحد أتباعها وذكر له أمورا حولته عن صداقته لسيده وأصل غرس نعمته فقام وعزم على الرجوع الى مصر فلحقه شيخ العرب ضاهر ولامه على ما حصل منه فلم يصغ لقوله وكر راجعا وكان قد بلغ سيده ما حصل فصمم على الانتقام منه فلم يتيسر له ذلك عارا آه من كثرة جيشه فكتم الامر الى أن تلوح له فرصة فلم ير طريقا غير الغدر وان كان وقع فيه فيما بعد لانه لما أصدر أمره بغلق أبواب القاهرة وقتل كل من يخرج من المماليك خرج محمد بيك فلم يتعرض له أحد ظنا منهم أنه خارج لمأمورية من طرف على بيك فتخلص وذهب الى الصعيد ونزل على أيوب بيك فأكرم نزله ولم يدر أن هذا الاكرام ربما يكون خداعا فان أيوب بيك من رجال على بيك وبقى عنده وكان أيوب يخاطب على بيك فوقعت مكاتبته فى يد محمد بيك فاخذه وقطع لسانه ويده وأرسله الى القاهرة ثم جمع المتشتت من المماليك والهوارة رجال همام الذى قتل بسبب قيامه مدة على بيك وقصد بهم مصر فقابله على بيك بجيش من المماليك ولخوفه وعدم اعتماده على

صداقة اسمعيل بيك أمير جيشه خرج بعياله من القاهرة ولما بلغه اتحاد اسمعيل بيك بمحمد بيك فر بماله وعياله ومن بقى معه من المماليك الى الشام واجتمع بالشيخ ضاهر وكتب الى الدولة الموسكية أن تمده فوعدته بذلك ولكن لم يصبر الى أن يأتيه المدد بل رجع الى مصر معتمدا على ما كتب له به رزق كيخيا أمينه من أن المنجمين حكموا بانك لو عدت لمصر تمكنت من حكومتها وكان ذلك باغواء محمد بيك وتدبيره فرجع وحين وصل الصالحية قام عليه ألف خيال كانوا كامنين له بمركب من طرف محمد بيك فشتتوا شمل رجاله وقتل مراد بيك على بيك رغبة فى أن يأخذ امرأته فانها كانت من أجمل النساء وكان طالبها من محمد بيك فوعده بها ان قتل زوجها * ولما قتل انقطع ذكره ولم تنقطع سلسلة الفتن بل أخذت فى الزيادة بتوالى الفجار من المماليك الذين أتوا بعده وأول من فتح أبوابها أبو الذهب لانه من ابتداء قيامه باحوال مصر سنة ١٧٧٣ أخذ فى أسباب اتساع دائرة الخراب حيث التزم بدفع الخراج المعطل مدة ست سنوات ليبين للدولة صداقته ثم انه استأذن الدولة فى محاربة الشيخ ضاهر لينتقم له امنه على قيامه عليها فاذنت له فاستمرت سلسلة المصائب التى زرعها على بيك بديار مصر ولحق ذلك بلاد الشام أيضا فانه لما دخل يافا بعد حصارها أمر بنهبها وقتل أهلها عقابا لهم على المدافعة عن وطنهم وقتل فى هذه الوقعة أغلب أهل المدينة والذى نجا من القتل فر هاربا وتفرقت الناس بالطرق ومات أكثرهم جوعا وعطشا وفى هذه الوقعة تبينت شدة قسوته كما تبينت منه الخيانة قبل فانه على ما يقال لم يكتف بما فعل باهل المدينة من شنيع الامور بل جمع رؤس القتلى وجعل منها هرما ثم سار خلف الضاهر وحاصر عكا وأخذها ونهب وسلب ولولا أخذ الموت له بغتة لالحق أهل هذه المدينة باهل يافا وبموته كفوا عن القتال ورجع فى الحال مراد بيك بالعساكر الى مصر وكان يروم الاستقلال بحكومتها مكان سيده وابراهيم بيك يرغب فى ذلك أيضا وفى مدة الحرب كان وكيلا عن سيده فاستعمل ما تزيد به قوته فكانت الناس تخاف اتساع دائرة الفتن بينهما وحصول الحرب الموجب اتساع دائرة الهموم بالقطر المصرى فحصل اضطراب عام فى القاهرة وسائر البلاد وكانت الناس لا تتكلم سرا ولا جهرا الا فى هذا الامر وأخذوا فى طرق التحفظ على أموالهم وعيالهم ولكن لم يحصل شئ مما ظنه الناس لتساوى قوتى ابراهيم بيك ومراد بيك فاتفقا على المشاركة فى الامر بالتساوى مع ابقاء وظيفة مشيخة البلد لابراهيم بيك واشترطا شروطا فكانت مصر كسفينة فيها رئيسان مختلفان فى الرأى ان طلب أحدهما الشرق يطلب الآخر الغرب فهى تسير بها الريح الشهوات وما تقطعه بالامس ترجعه بالغد لان كلا منهما كان يرغب فى الانفراد ويرى أن ذلك لا يتم الا بموت الخصم طبيعة أو رغما أو تخليته رغبة أو كرها والاول يستلزم الصبر أو القوة والتخلى رغبة لا يتصور لعدم رضا النفس بذلك الا بأحد أمور منها أن الخصم يتخلى من نفسه ويرضى بالتجرد من علائق الامرة والعظمة والسلطنة ويكون تحت الطاعة بعد أن كان آمرا ناهيا متمتعا بنفوذ الكلمة والجاه وحيث ان قوة الحرب تستدعى الاكثار من الرجال وهذا يستدعى كثرة المال وبالطرق المعتادة كميته منحصرة فى حدود محدودة فلا يبقى الا الطريق المعتاد التى أسسها الظلم والغدر والعدوان فكانت هذه الفكرة الاخيرة فكرة كليهما وصار كل منهما يجمع المال بأى طريق سولت له نفسه من الاهالى برجاله ونفسه ويؤلف قلوب من يحب الفتن من باقى العائلات القاطنة بمصر ومدن القطر وبذلك وقعت الاهالى فى عميق بحور شرورهما ومن كثرة الفتن صارت أرض القطر بجميعها ميدانا لحروب متتالية نشأ عنها ترك الاهالى أسباب الحصول على القوت وغرس أسباب الامراض والعاهات بين الاهالى وكثر الموت من شدة القحط والوباء وهرع الى القطر المصرى جميع أهوال الاقطار الاخر * وفى أثناء هذه الفتن قامت فئة من مماليك على بيك ورأست عليها اسمعيل بيك الذى مر ذكره ورغبت فى رجوع الرياسة الى بيت سيدها وبذلت جهدها فى ذلك وصرفت المال وعرضت الرجال فاجتمعت قوتها ولم يقدر ابراهيم ومراد على مقاومتها * وبعد مناوشات فى حارات القاهرة بين الفريقين التجؤا الى القلعة وبعد ذلك توجها نحو الصعيد وبعد أن جمعا ما تفرق من رجالهما ومماليكهما وصار جيشا جرارا حضرا لمصر وتحاربا مع اسمعيل بيك فغلبوه وفر الى الشام ثم جاء مصر من جهة ورنة الواقعة فى الجهة الغربية من اسكندرية ومن هنالك توجه الى الوجه القبلى واجتمع بحسن بيك الذى كان نفى الى جدة قبله وجاء الى الصعيد وأقام هنالك مدة ثوران الفتن وانضم لهما كثير من المماليك المطرودة وغيرهم من الهوارة والاشرار من كل طائفة فحدث من ذلك جيش سوء انتشرت رجاله بالقطر القبلى والفيوم والاقاليم الوسطى

مطلب اتفاق ابراهيم بيك ومراد بيك

وضربوا الجرائم على الاهالى ووضعوا أيديهم فى أرزاقهم وعم النهب للمقيم والمسافر فانقطع الامان وصار لا يدخل القاهرة شئ من الغلال فشق ذلك على البيكوات أصحاب الالتزام لحرمانهم من محصول التزامهم فألحوا على ابراهيم بيك ومراد بيك فى رفع أسباب هذه الاحوال فأمرا بتشكيل جيش من ثلاثة آلاف خيال وضربا على التجار خمسمائة ألف ريال نظير مصرف العساكر فضج أهل القاهرة من ذلك ومن تسخير المراكب وأهلها الجل الحالة انقطع ورود الميرة عن البلد بالكلية فصار لا يرد اليها شئ وغلت أسعار الحبوب وقهرت التجار على البيع وباعت المأكولات بثمن بخس فمن كل ذلك جرت أمور شنيعة ولم تنقطع الا بفرار حسن بيك الى اسوان سنة ١٧٨٣ بعد تشتيت شمل حزبه ورجوع مراد بيك بالعسكر الى القاهرة لكنها لم تدم لان بعض البيكوات المتروكين القاطنين بمصر اغتنم الفرصة فى أثناء هذه الحادثة وحزب حزبا رغب به الاستحواذ على الرياسة واشتعلت نيران الفتن فى القاهرة فكان سفك الدماء فى كل ناحية وآل أمرهم كغيرهم الى الالتجاء لجهة قبلى بعد رجوع مراد بيك لان هذه الجهة كانت مطمح نظر العصاة وميدان المقاتلات وبانضمامهم الى هذين البيكين حسن واسمعيل صارت عصبة قوية وكان مركز الافعال السيئة المنية فأخذت هذه العصبة فى قطع الميرة عن القاهرة ومنعوا المراكب ونهبوا وسلبوا فصالحهم ابراهيم بيك وأعطاهم أراضى وآمنهم فدخلوا القاهرة فلم يوافق هذا التدبير رأى مراد بيك صاحبه بل ظن أن ذلك تقوية لحزبه وخاف منه الخيانة فقام برجال وتوجه نحو الوجه القبلى وجرد جيشا لحرب صاحبه وحضر به فى الجيزة أمام جيش ابراهيم بيك الذى كان بالبر الآخر وأقاما بدون حرب أربعة أشهر وهما فى مكالمات وهذه المدة حصل فيها للناس ضرر عظيم فان العسكر المقيمين بالبر الغربى أضروا البلاد التى على النيل والقريبة منه والذين بالشرق أضروا بمن فى الشاطئ الشرقى ومن ضمن ذلك القاهرة وانقطع السير فى البر والبحر من التسخير والسلب وبطلت التجارة وكثر الموت فى الناس ولم تطفأ هذه الفتن الا وتزداد ولم يتم الصلح وقام مراد بيك بجيشه الى المنية ليجمع من الاهالى الرجال والمال فكانت ولاية مصر بين هذين الظالمين الغشومين أحدهما يظلم فى الوجه البحرى والآخر فى الوجه القبلى فبهذه الحالة كان الانسان أينما توجه وجد المظالم والاهوال الى أن حصل بينهم الصلح وأخذت البيكوات الخمس بعد فرارهم وخروج غايتهم بالقاهرة بعد مصادرتهم فى مالهم * ومن النظر فيما تقدم من أخبار المدد السابقة والتقلبات التى مرت على تلك الديار علم أن مدينة اسكندرية وغيرها من بلاد القطر بعد أن كانت متوجة بتاج المهابة والاجلال رافلة فى حلل السعادة والاقبال وكان وادى النيل مزينا من كل جانب بالمدن الفخيمة ذات المعابد والهيا كل المشيدة العظيمة تلوح على صغير أهلها وكبيرهم لوائح الثروة والابتهاج نالها من شدائد الازمان ما أخرها عن هذه التقدمات كل على حسب حاله وتبدلت سراؤهم بالضراء واختلفت عليهم الاهوال والاهواء الى أن من الله عليها بالعائلة المحمدية العلوية التى نزعت عنها أثياب الاحداد وألبستها حلل الثروة والاسعاد * ولنصف لك الآن المدينة وبعض ما بقى من آثارها تابعين فى ذلك طريق أمير الفرنساوى الذى ساح فى الديار المصرية زمن العزيز المرحوم محمد على باشا سنة ١٨٣٠ فنقول * مدينة اسكندرية بناها اسكندر الاكبر ولم تطل مدته حتى يتم بناءها الذى تصوره فى اليقظة أو فى الرؤيا كما قال بعضهم ان أميروس الشاعر ألهمه صورتها فى نومه وهو حضر تخطيطها الاغير والمتمم لبنائها وتحليتها بفاخر البناء بطليموس سوتير فالاسكندر له الفكرة الاصلية والى بطليموس ينسب تجسيمها وزعم أكثر الناس ان بطليموس أخوه وقد بنى بها معابد ونقل اليها ما تم به رونقها وأحاطها بالاسوار وحصنها بأمنع الحصون وحدودها من الشمال الى الجنوب منحصرة بين البحر وبحيرة مريوط ويستفاد من كلام استرابون ان هذا الجزء من الارض كان أقل مما هو عليه الآن فان الانتقالات التى حصلت لهذه المدينة من الثروة والعز تسبب عنها ارتدام بعض مواضع كانت مغطاة بالماء والبناء فوقها وكان طول المدينة من الشرق الى الغرب قريبا من خمسة آلاف وستمائة متر وعرضها من الشمال الى الجنوب ثلث الطول تقريبا ومن حيث ان موقعها بين البحر وبحيرة مريوط كان شكلها ذا أربعة أضلاع غير منتظم ولذلك شبهه الاقدمون بشكل البرنس المقدونى جريا على العادة القديمة من تشبيه صورة الاقليم أو المدينة بشئ يناسبها وكان على يمينها وشمالها حفرتان فى البحر احداهما بجانبها الغربى وثانيتهما بجانبها الشرقى وبينهما لسان من الارض طوله سبع غلوات يوصل اليها جزيرة صغيرة كان الاقدمون يسمونها جزيرة فاروس

مطلب الكلام على مدينة اسكندرية

والآن

والآن هى رأس التين وهذا اللسان كان قنطرة للعبور وفيه عيون لتوصيل الماء من الارض الى الجزيرة وكان فيه
فتحتان احداهما بجانب الجزيرة والاخرى بجانب الارض وكانتا مستعملتين لمرور المراكب من مينا الى أخرى
والمينا الغربية كانت متصلة بالبحيرة وهذه متصلة بالنيل بخليج وبهذه الكيفية الحسنة سهلت الملاحة فى تلك المدينة
وسائر بلاد القطر فكانت مينتاها مملوءة بالمراكب جميع أوقات السنة حتى قال استرابون انه لم يكن مثلها فى جميع
مين الدنيا وداخل المدينة كان فى غاية الانتظام من حيث التخطيط كما هو عادة المدن التى تتأسس على رغبة ملك أو أمة
من الامم بخلاف المدن التى أوجب اتساعها حوادث الايام ففى الوسط كان يشقها شارع مستقيم يمتد من باب من
أبوابها الى باب آخر وفى وسط ذلك الشارع شارع آخر عمودى عليه وأطول الاثنين كان فرسخا ونصفا وعرضه مائة
قدم وباقى الحارات كان بعضه موازيا لاحد الاثنين والبعض موازيا للآخر فكان رسم المدينة أشبه شئ بالضامة
أو الشطرنج فأين هذا الشكل من شكلها التى اكتسبته فيما بعد فتأمل كيف تغيرت هذه الاستقامة التى كانت
فى الشوارع والحارات وبدلت بغيرها معوجة فى كل ناحية على حسب سير الزمان وتقلباته من طور الى طور ومن حال
الى حال ويقال ان حاراتها استقامت حين كان الزمان مقبلا عليها واعوجت حين أدبر عنها فنحمد الله تعالى ونشكره
حيث ردّ لها الاستقامة حالها الانها الآن متحلية بشوارع مستقيمة وعمارات بهجة وكل عام تزيد عمارتها وبهجتها من
جلوس العزيز محمد على باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان وما تم حسن منظرها وعلو شأنها من أوّلها الى آخرها
الا زمن الخديوى اسمعيل باشا فانه لم يكتف بجعل استقامة الطرق دليلا على استقامة أحكامه بل أدخل ذلك فى خليجها
وميناها وموقع هذه المدينة فيه فائدة عظيمة هى مرور ريح الشمال فيها زيادة على تلطيف حرارة الجوّ فى فصل الصيف
وفى القرن الرابع من الميلاد كانت من أحسن المدن وأبهجها وقد وصفها أشيل تايتوس فى رحلته بقوله قد دخلنا
مدينة الاسكندرية بعد سيرنا فى البحر ثلاثة أيام فمن حين دخولى من باب الشمس تعجبت كل العجب من حسن منظرها
وكنت أرى وأنا سائر فى شوارعها عن يمينى وشمالى عمدا قائمة فوقها قناطر على حافتى الشارع الموصل باب الشمس
لباب القمر لان هذين النيرين هما مقدساها هذه المدينة وفى وسط الشارع ميدان متسع يوصل لجهات متفرقة ما بين
شوارع وحارات كثيرة وكانت الناس تغدو وتروح فى الشارع الكبير والحارات أشبه بقوم مهاجرين وبعد قليل
وصلت الى الباب المسمى باب اسكندر فنظرت مدينة أعظم من الاولى شكلا وصورة ونظاما فكنت أرى صنوف
الاعمدة والبواكى بالميل فطربت من هذا المنظر مثل الطرب الاوّل وكنت كلما وجهت نظرى نحو جهة من الجهات
أرى عجبا يزيدنى طربا وكلما انقلبت قدما زدت فرحا وليست همة الحكام والملوك فى تلك الازمان قاصرة على الحسن فقط
بل كانت تنظر الى النافع والمفيد مع الحسن ولذا كان ماء النيل يصل المدينة من خليج ويوزع داخلها فى مجار متفرقة
فى جميع جهاتها وأحسن أخطاط المدينة الذى كان على ساحل المينا الشرقية وفيه كانت منازل البطالسة وسراياهم
وبقيت كذلك لزمن القياصرة الرومانيين ودار التحف والسراية والكتبخانة العظيمة كانت تشغل بهذه المدينة سعة
عظيمة من أرضها وقال بلين كانت هذه السعة خمس سعة المدينة وقال استرابون ربعها أو ثلثها ولا غرابة فى ذلك فان
هذه السعة كانت مملوءة ببساتين وعمارات كعادة السرايات بالبلاد المشرقية وقريبا من وسط المدينة كان قبر اسكندر
فان بطليموس سوتير استحوذ على جثته وأخذها من بيرديكاس وقت أن كان مارّا بها فى طريق مصر على عربة عظيمة
يسحبها أربعة وستون بغلا فى تابوت من الذهب الابريز ثم ان هذا التابوت أخذ فيما بعد وعوّض بتابوت من الزجاج
وبعد حين ذهبت جثة اسكندر * وفى القرن الخامس عشر من الميلاد كانت أهالى الاسكندرية تفرّج السياحين على
قبر اسكندر لكن من أين لنا انه القبر الحقيق ويقال ان الادريسى جعل قبر اسكندر فى جزيرة بعيدة فى حدود الغرب
وسط بحر الظلمات وهذا أيضا أمر مستغرب جدا لانه يبعد وصوله الى هذا المكان ولا يدرى ما هذه الجزيرة ولا
الاسباب التى أوجبت ذلك وهذا يدل على جهل تاريخ الاسكندر مع أن أمره معلوم من وقت ولادته الى حين موته
يوما بيوم وشهرا بشهر وسنة بسنة وكذلك موته وموضع دفنه وكيفيته ومع ذلك نرى من يتكلم على اخباره يترك
المهم منها ويذكر خرافات لا أصل لها ولا بد أن منشأ ذلك شهرة اسكندر وأفعاله الخارقة للعادة فانهم الى الآن تتكلم
بها الاعجام والاعراب والاتراك ويسمونه بأسماء ما سمى بها وينسبون اليه أفعالا ما فعلها وصفات ما اتصف بها ولو كان

حيا وسمعها الكذبها والقادم من الشرق الى الغرب يمر أولا بمدينة البطالسة أو الاروام ثم يكون بمدينة العرب فعمود
السوارى قائم على التل الذى هو مكان الاسكندرية القديمة وعليه كان معبد سيرابيس وفى الغرب كانت مدينة
الاموات أو المقبرة المسماة سيرابيوم جريا على عادة المصريين فى الزمن القديم من جعلهم مقابر الاموات غربى مدينة
الاحياء لاعتقادهم ان محل اجتماع الارواح المغرب وفى تكلمهم وكتابتهم كانوا يطلقون على هذا الموضع اسم أمانتى
وفى هذه الجهة الغربية من المدينة شاهد استرابون محلات تصبير أجسام الموتى قريب المقابر فكان ما يصنع بمدينة
طيبة نقل الى سكندرية فان المقابر وبيوت التصبير بها كانت بالجهة الغربية منها كما هى كذلك بالاسكندرية وبقى هذا
المكان معدا لدفن الموتى من النصارى بعد زوال الديانة المصرية وقد بنى فيه بطرس بطريق اسكندرية مقبرة ودفن
فيها والى الآن تشاهد السياحون غربى البلد آثارها ثم ان المدينة زمن الازدياد تزحزحت عن مكانها حتى صارت على
المكان المعروف باللسان وملئت الارض التى كانت خارج البلد القديمة والحادثة من تراكم الرمال وتركت مكانها
الاصلى وهذا الانتقال لم يغير صورتها بل بقيت مستطيلة كما كانت قديما وفى زمن حكومة العرب نقصت عن سعتها
الاصلية نحو الثلثين فكانت الحوادث كما زحزحتها عن موضعها زحزحتها عن سعدها حتى فارق الناس أرضها الا انها
بعد أن كانت زمن ديودور الصقلى عامرة بثلثمائة ألف نفس من الاحرار أو ستمائة ألف على فرض أن عدد غير الاحرار
كالاحرار كانت مدينة اثينه بناء على ماذكره لاترون الفرنساوى صار لا يوجد بها غير ستة آلاف نفس فكانت عمنى
الادبار تسوقها ولا تفارقها حتى صار عدد سكانها جزأ من مائة جزء من أصلها الى زمن استيلاء العزيز محمد على باشا
على الديار المصرية فعمرت وازدادت وطلع نجم سعدها حتى بلغ عدد أهاليها فى سنة ١٨٣٠ ستين ألفا والآن فى زمن
الخديو اسمعيل باشا بلغ عدد سكانها اثنين وسبعين ألفا قدر ما كانت تحتوى عليه زمن جده محمد على باشا خمسين مرة
تقريبا وبسبب ما جبل عليه من تتبع أسباب العمار لم تزل سائرة فى طريق السعد والثروة وكل يوم تراها تتحلى بما يزيد
فى فخرها و يتمكن به أساس ثروتها وتمتاز به فى زمن الخديوى عن سائر الازمان السابقة حتى زمن اسكندر لان أساس
سعدها مرتبط بالتجارة وهى مرتبطة بالمينا فكلما تحسن أمرها تحسن أمر التجارة وتقدمت المدينة وليس فيمن
سبق من السلاطين من ذكر المؤرخون عنه أنه تصدى لما تصدى له هذا الخديوى من تنظيم الميان بالارصفة حوله
وداخله وجعله مستوفيا الشروط الأمان على السفن وسهولة شحن البضائع وتفريغها ولاشك ان عين التجارة لا تغفل
عن الفوائد الناتجة من هذا المشروع العظيم وترتقى طبعا بالتدريج الى ان تفوق الدرجة التى كانت قد بلغتها فى الازمان
العتيقة وخليج السويس لا يمنع من ذلك بل ربما كان أيضا سببا فى اتساع مدينة الاسكندرية وزيادتها عن حدودها
الاهلية وامتلائها بالسكان كما كانت قبل بانتشار أسباب العمارة داخل الاقطار المصرية * وفى الزمن القديم كان أهل
اسكندرية جميعا أهل تجارة كالآن وبهذا السبب كانت من أسعد مدن القطر ومما كانت تفتخر به على غيرها معامل
الزجاج وأبسطتها المزخرفة بأنواع النقش فكانت تفوق أبسطة بابل الشهيرة وكان يوجد من ضمن حاراتها حارة تسمى
برازيعى سوقه كانت محلا لبيع أمور الزهو والزخرفة وكان أغلب سكان المدينة أرواما وليس بها من المصريين الا
القليل ولكن كان يغلب على طبعهم الخفة والهزل فنشأ عن ذلك نقمتهم واهانتهم عدة مرات بالحكام الذين تعاقبوا
عليها بسبب الاشعار والقصائد التى كانوا يصرحون فيها بالقاب وأسماء فظيعة لبعض البطالسة وغيرهم وبعد ما كانوا
متصفين بالجراءة والقوة العسكرية وكانت لهم درجة الفوقان على غيرهم فى فن مصارعة الدول وفن الشعر وانشاء
القصائد والخطب مالت طباعهم عن هذه الامور النفيسة الى الامور الخسيسة وذلك من خفتهم وطيشهم وعدم ثباتهم
فكانت سجاياهم تقريبا آخذة من طباع الافريقيين والبزانيون يلتوتون بكتابة المصريين ولسان الروم كان هو اللسان
المستعمل فى المحاكم والدواوين وغيره كان لا ينقش على المبانى والآثار والمعاملة وبقى ذلك الى زمن ديوكليتيان وكذلك
جميع الاعياد والرسوم الجارية فى الدواوين وبيوت الملوك والامراء كانت منقولة عن الروم فبكل هذه الامور كانت
مدينة اسكندرية كانها بلد من الروم نقلت الى مصر لان جميع أمورها ماخوذة عن الروم ولو أن اليهود كانوا كثيرين
بها لان عددهم كان يبلغ نحو مائة ألف نفس لكن كان الجزء الغالب الاروام ولذا كانت طباع اليهود لا تخالط أهلها الا
مع الندرة وأما الطبع المصرى فكان منحصرا فى مدن وادى النيل وأرضه ولم يؤثر فى أهل اسكندرية وفى تلك المدينة

مطلب المسلتين

مسلتان لكيلوباترة احداهما قائمة والاخرى مطروحة بجوارها وكانت قائمة قبل كا ختمها ثم أهديت للدولة الانكليز كما قد أهدى محمد على باشا الى الفرنساوية مسلة من مسلات الكرنك وهى الآن قائمة باحد ميادين باريس تجاه سراى الملك ولكن الانكليز تخوا عنها وتركوها ماقاة بسبب انه كان اعترى كتابتها بعض تلف والمسلة القائمة ارتفاعها ٢٠٤٦ مترا أى ٦٣ قدما من نهاية القاعدة الى آخر الهرم الصغير ومن هذه النهاية الى قاعدة الهرم ١٨٤٦ وطول ضلع القاعدة سبعة أقدام وثلاثة أصابع وجسمها عبارة عن ٧٢٠ مترا مكعبة وتزن ٨٦٢٤٦ كيلوجرام والاخرى مثلها تقريبا * وقال بلين المؤرخ ان ارتفاع كل من المسلتين ٤٢ ذراعا وبمقارنة أجزاء المسلة الى بعضها يرى ارتفاع الهرم الصغير قريبا من عرض القاعدة وهذا العرض منحصر بين التسع والعشر للارتفاع الكلى وقد امتحنت جميع المبانى التى من هذا القبيل فوجدت جميعها على هذه النسبة ومن هنا يظن انه كان للمصريين قواعد لايخرجون عنها فى تفصيل أجزاء مثل هذه المبانى وباعتبار طول الذراع المصرى كما قدمنا ٤٦٢ مترا يكون ارتفاع المسلة الى أصل الهرم ٤٠ ذراعا والى آخره ٤٤ وفى زمن البطالسة كانت المسلتان قائمتين أمام المعبد الذى كان بنى باسكندرية زمن الملكة كيلوباترة باسم القيصر والدابنها وقد عاينه استرابون حين ساح فى بلاد مصر وذلك قبل الميلاد باربع وثمانين سنة فنسبتهما حينئذ الى هذه الملكة لاشك فيها بخلاف خليج اسكندرية ومايسميه الناس بحمامات كيلوباترة فانهما لاينسبان اليها أصلا فان الخليج موجود قبلها والحامات كانت مقابر لاغير * وقد اختلف فى قصد المصريين من المسلات فقال قلين كانوا يجعلون المسلة علما على شعاع الشمس وزعم سكانوس ان المسلة كانت علما على الحياة السرمدية الكاملة الطيبة وفيها تكون الروح بعد مفارقتها الجسم وهكذا من هذا القبيل وفى اللسان العتيق المسلة اشارة الى الثبات لاغير فان كل مسلة تنتهى الى هرم صغير دقيق من أعلاه وفى هذه الصورة تكون المسلة أقرب شبها الهرم قاعدته طويلة وكان الهرم عند المصريين اشارة للبقاء والدوام ولابد أن هذا هو السبب فى جعل مقابر الفراعنة فى الصورة الهرمية والمسلات تقرب منها فى الشكل فلا تدل الا على الثبات ولذا كانت توضع فى المعابد دائما قبل الابواب الجسيمة التى كان يكتب على جوانبها عبارة معناها الباقى على الدوام وحينئذ فالمسلتان أمام كل معبد كحرفين من حروف الهجاء أو كلمتين معناهما ماذكر ومن العادة القديمة فى مصر بناء المعابد باسم الآدميين وكان لهم فيها عبادة فى أوقات مخصوصة أشبه بالاعياد ويجلونهم فيها ويعظمونهم كما يجل الخالق سبحانه وتعالى فمن ذلك معبد منيس مؤسس الدولة المصرية وكان له قسوس مخصوصة وكذا كان للفراعنة الذين بنوا الاهرام وبقيت هذه العادة الى زمن البطالسة واتبعها عقبهم وسار على آثارهم الرومانيون فكانت قسوس مختصة بيرنيس وأخرى مختصة بارسنوى من بنات البطالسة والرومانيون أخذوا عن المصريين عادة المسلات ولكن لجهلهم بما كانوا يقصدونه جعلوها بعيدة عن المعابد وحيث كانت أفكارهم متجهة نحو المقصد النافع كانوا يجعلونها فى مقاصد نافعة مثلا المسلتان المنقولتان فى زمن اغسطس قيصر الروم من اسكندرية وضعت احداهما فى الميدان المعروف بشان دومارس واستعملت كمزولة لبيان الوقت والاخرى جعلت خدا وصارت هذه العادة مستعملة فيما بعد وصارت المسلات توضع فى ميادين الالعاب كما حصل فى ميدان قيصر الروم نيرون فى الوتيكان وفى ميدان اسكندرية وفى ميدان قسطنطينية ومع هذا فقد شوهد استعمالهم المسلات أمام العمارات الشهيرة كما حصل أمام مقبرة قيصر الروم سيزار وأمام معبد أزيس سيرابيس والمسلتان الموجودتان أمام هذا المعبد اللتان ليستا متساويتين فى الارتفاع احداهما عملت زمن سزوستريس والاخرى زمن ابريس ونقوشهما تدل على ذلك ومن هنا ظهر أن الذين وضعوا المسلات المذكورة حفظوا لها الكيفية التى كانت عند المصريين من دون أن يعلم الرومانيون الغرض من ذلك ولذا تراهم استعملوا المسلات للزينة وبابات رومة تبعت القياصرة وصارت تزين المدينة بالمسلات أيضا من غير وقوف على الغرض منها ومسلات اسكندرية غريبة من أرضها أتت اليها من الجهات القبلية فكما نقلت لباريز ورومة فى الازمان الاخيرة كذلك نقلت الى اسكندرية فى الازمان السابقة أى زمن زهوها وزينتها التزيين معابدها وميادينها *

مطلب الكتابة التى بالمسلات

وقد اختلف كثير فى الكتابة التى على المسلات فقال بعضهم انها القوانين الطبية وقال آخرون قواعد فلسفة المصريين والقوانين المدبر بها هذا العالم وهذا الاختلاف انما هو بالنسبة للازمان السابقة وأما

الآن فلا يعوّل الا على مايقرأ ويفهم منها بناء على المعلومات التى اكتسبها أهل عصرنا من معرفة اللسان القديم وبواسطتها لم يوجد مسطرا على صفحاتها الا ما فيه مدح فرعون وقتها او حروبه ونصره ولقبه وما أشبه ذلك ووجد مكتوبا على المسلتين اسمان من أسماء الفراعنة وهما طوطموزيس وسيزوستريس أو رمسيس الاكبر والاول فى الصف الاوسط والآخر فى الصفين المتطرفين ولا بعد فى وجودهما معا وأن أحدهما هو المنشئ لهما والآخر أتى بعده ووضع اسمه عليهما وقد شوهد كثير من هذا القبيل والعادة ان اسم المنشئ يكون فى الوسط وحينئذ فهاتان المسلتان ينسبان الى طوطموزيس فى المدة التى كان التقدم فيها لا مزيد عليه فى أمر العمارة وفيها بلغ النقش والتصوير عند المصريين درجة لم تكن عند السابقين ولم يصل اليها اللاحقون والذى ينبغى التنبيه له ان من ضمن الكتابة المسطرة على أوجه مسلات الاسكندرية عبارة جديرة بالذكر لدلالتها على حادثة عظيمة حصلت فى الازمان الماضية بالديار المصرية وهى هجوم العربان عليها سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد وأقاموا حاكمين فيها ٥٠٠ سنة فاستخربوا البلاد بلا مزيد عليه وعلى المسلات يقرأ بعد ألقاب الفراعنة عند ذكر طوطموزيس الثالث كلمة معناها المشهور بطرده للهيك ومعلوم ان اسم الرعاة الواردين مصر من العرب فى لغة المصريين هو هيكسوس ولابد أن لفظة هيك مختصرة منها والذى يغلب على الظن هو ما ورد عن المؤرخ مانيتون المصرى من أن هذه الكلمة مركبة من كلمتين هيك وسوس الاولى من اللسان المصرى العتيق ومعناها الملك والثانية من لسان العامة ومعناها رعاة فمجموعهما ملك الرعاة فاكتفى بكتابة الكلمة الاولى لدلالتها على هذا المعنى وحيث ان المعروف ان الرعاة كان طردهم من مصر قبله باحد ملوك عائلته يلزم أنهم هجموا عليها مرة أخرى فى خلافة من منها طوطموزيس الثالث ولذا اكتسب الذكر الجميل ونقشت هذه الفعلة ضمن افتخاره وبالتأمل لتاريخ هذه المدة المشحونة بالاهوال يرى ويستدل من الكتابة المنقوشة على مسلات اسكندرية ان امتيازها كان فى زمن طوطموزيس الثالث وذلك قبل الميلاد بسبعة عشر قرنا وان المسلة التى بباريس وأختها الموجودة بالكرنك للآن بعدها بقرنين وهاتان المسلتان ينسبان الى سوزستريس (عمود السوارى) الافرنج تسمى هذا الاثر عمود بومبى والمصريون يسمونه عمود السوارى ويؤخذ من التسمية الاولى ان هذا العمود ينسب عمله الى بومبى المذكور والحال ان هذا الامير الرومانى لم يطأ اسكندرية بل ثبت انه قتل بمدينة الطينة التى على ساحل مصر بدسيسة زوج كيلوباتره الاول وأخيها والكتابة الرومية الموجودة على جلسة العمود تدل على اهدائه الى قيصر الروم ديوكليتيان فهل يقال انه لم يرفع الا فى زمنه وجعل علامة على فتحه مدينة اسكندرية ونصرته على الاسكندرانيين الذين كانوا رفعوا لواء العصيان وعاقبهم بعد نصره عليهم عقابا شديدا سفك فيه كثيرا من الدماء لكن جميع الناس العالمين بتاريخ مصر وآثارها اتفقوا على أن البدن من أعمال المصريين السابقين وأن الجلسة من أعمال الرومانيين ومن هنا يعلم ان العمود نفسه قديم قبل هذا القيصر وغاية ما يقال انه كان قد وقع أو تخلخل فأقامه على القاعدة الجديدة ونقش عليه الكتابة المذكورة لتخليد ذكره فانه بعد فتوته عقب دخول المدينة فى الطاعة أحسن للاروام الذين كانوا بها وفرق عليهم الغلال وأدخل ضمن قوانين الحكومة بعض قوانين نافعة ويؤخذ من التسمية الثانية أنه منسوب الى قيصر الروم سيزوستريس ولكن التاريخ لم يذكر ذلك فهى غير صحيحة كنسبته عند الاروام الى اسكندروس مدينة الاسكندرية والصحيح ان العمود المذكور من آثار الاروام حسب اتفاق كثير من أهل التاريخ وأنه أقيم فى مكانه زمن أحد البطالسة الذى فيه أنشئ المكان المعروف بالسيرابيوم وهو أعظم عمارات الاسكندرية فى زمن عزها وقد وصفه العالم الرومانى افتونيوس السائح فى بلاد مصر واسكندرية فى القرن الرابع من الميلاد بقوله متى دخل المرء قلعة اسكندرية وجد مكانا محدودا بحدود أربعة متساوية وفى وسطه فضاء متسع محاط باعمدة وبعد هذا الفضاء ايوان بعضها لحفظ الكتب المجعولة لمن يريد المطالعة فى العلوم والحكم وبعضها معد لعبادة المقدسين وفى وسط هذا الفضاء عمود عظيم الارتفاع وهو علم يستدل به على هذا المكان لانه تغير عن حالته الاصلية فيحير الانسان ولا يدرى أين يتوجه اذا أراد قصد المحل الا بهذا العمود فهو دليل لمن أراده هذا المكان من أهل البر والبحر وهذه العبارة تدل على أن هذا العمود فى وسط حوش السيرابيوم لانه لم يوجد بالاسكندرية عمود بهذه الصفة الا هو وتدل أيضا على أن موضع السيرابيوم هو الموضع الذى فى وسطه العمود الآن ولا يقال انه كان فى موضع غير هذا الموضع ثم نقل منه اليه لان ذلك

مطلب في الكلام على التمثال الذي فوق عمود السواري

من العمليات الجسيمة التى لا يغفل المؤرخون عن ذكرها والتنويه بمن حدثت فى مدته من القياصرة أو غيرهم والارجح ان العمود المذكور قائم فى موضعه الاصلى ضمن عمارات السرابيوم كما ذكرنا وكون الجلسة حدثت بعد العمود لا يؤخذ منه سوى حدوث حادثة كزلزلة مثلا أثرت فى الجلسة فأصلحها ديوكليتان فى زمنه ورد العمود الى الحالة التى كان عليها أولا وكتب فوق الجلسة مانوه فيه بذكره * وذكر كثير ممن تكلم على هذا العمود فى الاعصر الاخيرة انه كان فوقه تمثال ولكن لم يذكره أفتونيوس فى تاريخه مع أن وقت سياحته كان قريبا من زمن ديوكليتان لان هذا الوقت زمن القيصر قسطنطين والقيصر جوليان وكذا لم يذكر القبة التى ذكرها عبد اللطيف البغدادى فى رحلته انها كانت فوقه أيضا ولا يقال ان التمثال المذكور حدث بعد أفتونيوس أو لم يكن موجودا من أصله حتى انه لم يتعرض له فى كلامه لانه ذكر فى عبارة أغلب المؤلفين فلا بد انه كان موجودا قبل سياحته الا ان يقال ان هذا التمثال أزيل عن العمود مدة سياحته ولذا لم يذكره فى كلامه وهذا التمثال كان للمقدس أبيس وليس تمثال ديوكليتان أو تمثال حصانه بناء على ماذكره بعض المؤرخين من الاسكندرانيين لما اعترفوا بشفقة القيصر عليهم جعلوا حصانه هذا التمثال بعد أن عثر به حين دخوله من أحد أبواب المدينة وكان ذلك سببا فى رفع القيصر عنهم النهب والسلب والقتل بعد ان كان أصدر أمره بذلك عقابا لاهل هذه المدينة على ارتكابهم العصيان والفساد فرأى ان ماحصل من الحصان المذكور كأنه أمر الهى ينهاه عن استمرار القسوة عليهم ويأمره بالشفقة عليهم ويؤكد هذا الاعتقاد ماحققه بعض السلف من ان بطليموس فيلاديلفوس رفع تمثالا عظيما فوق الكثيب الذى كانت فيه القلعة والبلد القديمة التى هى رقودة وكان بها السرابيوم وهو من أحسن العمارات وأجلها وكان ينظر من بعد عظيم لا يصل اليه الانسان الا بعد صعود مائة درجة وقيصر الروم كركلا كان فى أعلى محل منه وقت أن أصدر أمره بالقتل وغيره لاهل الاسكندرية وجميع الفتن التى تولدت من عداوة الديانة العيسوية والديانة العتيقة كان مركزها هذا المكان ولهذا نرى أن هذه البقعة استمرت تسقى بدم الخلق أزمانا عديدة فتارة كانت القوة لحزب ابيس فيقتل جميع النصارى بغاراته وتارة كانت لحزب المسيح فيقتل جميع رجال الآخر الى أن كانت الكلمة للعيسوية فى زمن القيصر طيودوز فهجمت النصارى على هذا المكان وهدمته وأزالته بالكلية ومع ذلك ففى القرن الخامس من الميلاد زمن الفتن كانت أهالى الاسكندرية تحتمى فى بواقيه وفى زمن صلاح الدين كانت عدة من أعمدته الجزء باقية وكانت من ضمن الآثار العجيبة التى وقرها الدهر ولم يعتد عليها وكان هذا المحل قديما مركز الديانة الوثنية والرومية وكذلك الديانة العيسوية فيما بعد فانه بعد زوال عبادة ابيس حدثت الديانة المسيحية فى كنيسة بنيت فى هذا الموضع وكانت تسمى كنيسة جان بابست ويستفاد مما قدمنا ان الموضع القائم فيه عمود السوارى الآن هو المحل الذى كان به السرابيوم والمحل الذى هو فيه هو محل القلعة وقرية رقودة التى كانت فى زمن الفراعنة لاقامة الخفراء والعساكر ويستفاد منه أيضا ان العمود المذكور من أعمال الروم وان الجلسة التى تحته من أعمال المصريين ولا بد انه كان قبل وضع هذا العمود بهذا المحل مسلة أزيلت ووضع هو محلها ويدل على ذلك وجود كتابة عليها مضمونها اشامبليون اسم سيماتيك الثانى من فراعنة صا الحجر الغربية من النيل فلا بد أن هذا الاثر نقل من عمارات هذه المدينة ويستفاد من كلام بعض المحققين ان السرابيوم كان فيه راهبات ورهبان لخدمة المقدسين ووجد شرح بعض قضايا هؤلاء الرهبان على بعض البابيروس المحفوظ الآن بخزانة الآثار وعلم انهم كانوا تحت رياسة أحد كهنة المصريين ومن هنا علم ان الرهبانية التى ابتدعها العيسوية كانت موجودة عند قدماء المصريين وكانت احدى هذه الدعاوى لبعض المقدونيين وكان من ضمن خدم السرابيوم منفيس وفيها يشتكى من الرئيس ومعاملته السيئة له بسبب انه من الروم وفى هذا دليل على احتقار الروم عند المصريين فى الازمان القديمة وكانت الكتبخانة التى حرقت فى زمن القيصر سيزار فى السرابيوم أيضا وكان بها نسخة بالعبرانى من التوراة وفى هذا دليل على ان اليهود كانوا غير ممنوعين من دخولها

أسوار مدينة الاسكندرية

(أسوار مدينة الاسكندرية) قد استدل من البحث الذى أجراه العالم الفاضل محمود بك الفلكى على جدران السور القديم الذى كان لهذه المدينة ان عرضه كان خمسة أمتار وانه كان مبنيا من قطع الحجارة والمونة المركبة من الجير والحمرة وقد تتبع أثره من ابتداء برج السلسلة الذى كان يسمى قديما (رأس لوشياس) الى الحدرة وطول هذه المسافة ... ٣٠٠ متر وقد عثر بين ترعة المحمودية والتلول التى بجوارها على جملة نقط من السور

مطلب في الكلام على أبعاد مدينة اسكندرية

منحطة عن الارض بعضها ثلاثة أمتار وبعضها أربعة وبعضها خمسة وقد ظهر أن السور من برج السلسلة الى الميناء الغربية كان يتبع مسير الساحل وشاهد هنالك آثارا مغطاة بمترين وأكثر من الماء وقد تتبع هذه الآثار ورسم السور المذكور في كل هذا الامتداد ويظهر من الخرطة التى حررها ان السور القديم من جهة رشيد كان بعيدا عن السور الموجود الآن بنحو ١٦٠٠ متر ومن جهة المحمودية بعضه بمائتى متر وبعضه بأربعمائة وكان من جهة البحر بعضه يتبع اعوجاج الساحل وكان أغلب الضلع الرابع منه مستقيما وبعيدا عن جامع الالف عمود بنحو مائة متر وبناء على ذلك وجد أن محيط السور مع الاعوجاج ١٥٨٠٠ متر عدا الرؤس الداخلة فى البحر الى ان أضيفت هذا المحيط ٦٠٠ متر وبلغ فى هذا الرسم أعظم طول للمدينة ٥٠٩٠ مترا وأما العرض فأصغره الذى من جهة النكروبولس *(مدينة الاموات)* قدره ١١٥٠ مترا وأكبره ٢٢٥٠ مترا وبين هذين البعدين كان تارة ١٤٠٠ متر وتارة ١٥٦٠* وتارة ١٧٠٠ * وتكلم كثير من المؤلفين على أبعاد هذه المدينة فجعل استرابون عرضها ما بين سبع استادات وثمانية وجعله فلوبوس ويوسف وفيلون عشر أستادات واتفق الجميع على ان طولها ٣٠ استادة وقال كانتكورس ان المعمار دينكرات جعل محيطها ١٨٠ استادة وجعله اثنين البيزانتى ١١٠ استادة العرض ٨ استادات والطول ٣٤ استادة*وقد استنبط العالم المذكور من ذلك ان الاستادة الرومية ١٤٧٩٥ مترا والميل الرومانى ١٤٧٩٥ وان الاستادة المستعملة فى أبعاد المدينة هى الاستادة الرومانية وقدرها بالمتر ١٦٥ مترا بادلة واستنباطات أوردها وفيما قاله نظر يحتاج بيانه لايراد ما يخرجنا عن الغرض وسنذكر ذلك ان شاء الله فيما بعد بتحقيق هذا المقام ولعل سبب هذا الاختلاف الواقع بين المؤلفين نشأ من تكلمهم عليها فى أوقات مختلفة أورد كل منهم قياسها فى زمنه أو أن ما اعتبره أحدهم لاطول بعد لم يعتبره غيره وهكذا العرض وعلى كل حال فاقوالهم جميعا تفيد أن المدينة كانت أكبر جدا من مدينة العرب وكانت التلول الموجودة قريبا من السور بعد الاستحكامات من ضمن هذه المدينة وفى خطط الفرنساوية انه عملت مقارنة بين مساحة اسكندرية فى الزمن القديم حال سعدها وبين مساحة مدن أوروبا فى ذلك الوقت فوجد أن مساحة باريس ٥٠٩٨٠٥٧٠ توازم مربع *لوندره ٤٣٦٤٠٠٠٠ *براين ٣٤٧٩٨٦٠ *ونيته ٣١٧١٨٥٠ *رومه ١٩٣٦٢٣٠ ومساحة مدينة الاسكندرية بناء على قول كانتكورس من أن محيطها ثمانون استادة يكون ٢٧٠٧٥٠٠ توازم مربع وبناء على قول بولين من أن محيطها ١٥٠٠٠ خطوة التى هى عبارة عن ١١٣٤٠ توازم مربعا تكون المساحة ٦٠٢٧٩١٨ توازم مربعا فعلى كل حال يظهر من هذا الفرق الجسيم ان مساحة المدينة كانت بالاقل تساوى براين ونيته وان أضيفت اليها الضواحى زادت عن ذلك بكثير وقد عثر بها أيضا على أحد عشر شارعا مبلطا تقطعها عرضا وسبعة شوارع تقطعها طولا وأحد الشوارع الطويلة هو المعروف بعضه الآن بشارع باب شرق وكان جامع العطارين من ضمن هذا الشارع وكذلك محل كنيسة سنعطناس وقد صار الآن محل الجامع من ضمن الاملاك الاهلية وبجواره كنيسة الروم ويظهر انه دخل فيها جزء من أرض الجامع

مطلب في الكلام على وصف الشارع المعروف قديما بشارع كانوب

والمسافة التى بين هذا المحل وعمود السوارى ١٢٨٥ مترا والذى بينه وبين المسلة ٨٠٠ متر وبينه وبين باب رشيد ١٨٣٥ مترا وقد يوجد بلاط أرضية الشارع القديم فوق استواء ماء المالح بقدر ٤٧ وتحت الارض الآن بقدر ٣٠ * وقد استدل بالبحث على نقط أخر غير هذه النقط علم منها أن الشارع المسمى قديما بشارع كنوب كان مستقيما وواصلا بين الضلعين المتطرفين من المدينة أحدهما من جهة رشيد وعرضه من الجزء المبلط ١١٤ مترا وطوله ٥٠٩٠ مترا واتجاهه من الشرق والشمال الشرقى الى الغرب والجنوب الغربى وبينه وبين خط الشرق والغرب ١٥ ٤٢ وبين محور هذا الطريق وعمود السوارى ١١٦٥ مترا وبينه وبين المسلة ٥١٧ مترا وعرض الحارات الطويلة الاخر نصف عرض شارع كانوب المذكور وجميعها موازية له وأبعادها الواقعة بينها متساوية وقدرها ٢٧٨ مترا وجميع الحارات العرضية متوازية وعمودية على الشارع الاصلى المسمى بشارع كانوب وبين كل منها وخط الشمال والغرب زاوية قدرها ١٥ ٤٢ وجميعها ممتد من البحر الى المحمودية والابعاد الاصلية التى كانت بينها وبين بعضها ٣٣٠ مترا وكان فيها أيضا حارات أخر متوازية غير هذه لكنها متقاربة فمنها المتباعد بقدر ١١٠ أمتار ومنها المتباعد بقدر ٩٦ مترا وكان من ضمن الحارات العرضية شارع يخرج من برج

السلسلة بسبب انه كان به سراية ملوكية تمر بالميدان الكبير عمودية على شارع كانوب وتمتد الى مينا خارج السور على الخليج وكان عرضها ١٤ مترا مثل عرض الشارع الاصلى وكان على جانبها الشرقى بجمون لتوصيل المياه العذبة الى السراية والصهاريج وكان فى الجهة الاخرى مجرى القاذورات و يظن من كثرة الاعمدة التى وجدت فى امتداد هذا الشارع انه هو الشارع الذى تكلم عليه اشيليس تاتيوس وكان بحافتيه من الجهتين بواك و يظهر من الميزانية التى أجراها محمود بيك أن أراضى المدينة لم تكن مستوية وكانت منقسمة بطبيعة الارض الى قسمين بواد يختلف عرضه ما بين ٦٠٠ و ٧٠٠ مترو ابتداء الوادى المذكور من برج السلسلة ويمتد الى بحيرة مريوط فيكون الساحل فى هذا الوادى منقسما قسمين قسم من جهة أرض مصر وقسم من جهة أرض ليبيا ولا بد أن هذا سبب كون الاسكندرانيين يقولون ان جزأ من المدينة من مصر وجزأ من ليبيا (بجمونات اسكندرية وصهاريجها) يظهر من رؤية الباقى منها الآن انها كانت كثيرة الصهاريج وكانت الخلجان المتفرعة من الخلجان الاصلية لتوصيل المياه الى المنازل والحارات لا تنحصر ولا سيما ما كان منها للبساتين والحدائق وما كان مختصا بامتلاء الصهاريج الموزعة فى جميع أرجاء المدينة لكفاية الاهالى والواردين والمترددين فى جهات القطر وسواحل البحر المالح وحيث ان أهالى اسكندرية كانوا بالاقل ٦٠٠ ألف نفس ولو أضيف قدر هذا العدد عليه نظر اللواردين عليها لكان اللازم لهم من الماء مليونا ونصفا فى مدة السنة وهذا غير ما يلزم للحيوانات والبساتين ولا يكفى لذلك أقل من ٤٠٠٠٠ متر مكعب كل يوم أعنى قريبا من ٦٠٠٠٠ قربة ويوجد الى الآن فى هذه المدينة خمسة خلجان من الخلجان الاصلية التى كانت مستعملة فى دخول مياه النيل لامتلاء الصهاريج التى كانت فى هذه المدينة وكانوا يسدون أفواه البجمونات لامتلاء الصهاريج فاذا امتلأت فتحوها ويعملون لذلك موسما مشهورا والبجمون الاول منها فى استقامة الخليج القديم الى المينا الغربية والثانى يبتدئ من الخليج ويكون فى استقامة الشارع المار بعمود السوارى والثالث يبتدئ من الخليج ويستمر مع الشارع الداخل فى البلد بعيدا عن شارع العمود بقدر ٩٠٠ متر تقريبا والرابع يسير مع الشارع المار ببرج السلسلة والخامس خارج من سور البلد من جهة كنوب على بعد ١٣٠٠ متر منه وعلى بعد ٢٣٥٠ مترا من سيدى جابر والخلجان المذكورة كانت تتبع فى سيرها الحارات فتخرج منها فروع لتوصيل المياه الى صهاريج المدينة وبعض هذه الخلجان كان يجتمع ماؤها ويسير تحت أرض الميدان الكبير ويدخل من هناك فى جزيرة فاروس من خليج واحد كان يمر فوق القنطرة التى كانت توصلها بارض المدينة وقال محمود بيك فى رسالته ان ما عثر عليه من الصهاريج فى مدينة اسكندرية يبلغ ٧٠٠ بعضها مركب من طبقتين والطبقة العليا محمولة على أعمدة من الرخام أو الزلط وفى المواضع المرتفعة من المدينة كانت تبلغ طبقات الصهاريج أربعة ولم تكن جميعها تملأ من الخلجان بل كان يملأ أكثرها بالقرب وفى كتاب بركى الفرنساوى ان جاليس بيك عند اجرائه عمليات الاستحكامات كشف عن ٨٩٦ صهريجا مبنية جميعها بالحجر وواصلة ببعضها وتأخذ ماءها من خليج كبير يشق البلد ويمتد الى بحيرة مريوط ولا بد أنه لم يعثر على جميعها وكانت تنظف كل سنة حتى لا يضر ماؤها بالصحة وقد استدل على ٣٠٠ صهريج داخل المدينة الجديدة ردم أغلبها ولم يبق منها الآن الا القليل بعضه فى حيازة أهل الملك وبعضه فى حيازة الحكومة وكان الموجود منها فى زمن الفرنساوية ٣٠٨ ووجد فى واحد منها ٣٠ عامودا فوقها عقود من البناء (جزيرة فاروس) كانت هذه الجزيرة فى الايام الخالية محصنة باسوار وأبراج فى دوائرها وآثار المبانى القديمة التى كانت بها وقت دخول الفرنساوية تدل على أنها كانت عامرة بالسكان منفصلة عن المدينة بالكلية وكان طولها موازيا للساحل من ابتداء المينا الشرقية الى نهايتها من جهة الغرب الموجود بها الآن المنارة الجديدة ٣٦٠٠ متر وعرضها المتوسط ٥٠٠ متر وكان فى نهاية الجزيرة من جهة الشرق صخرة طولها قريب من ٢٥٠٠ متر وكانت المنارة القديمة مبنية فوقها والبعد من وسط هذه الصخرة الى المنارة الجديدة الآن ٣٠٣٠ وكان الماء يحيط بهذه الصخرة من جميع الجهات كما ذكر ذلك استرابون والجزيرة الصغيرة الموجودة نحو الشمال لم تكن فى القديم الا رأسا من الجزيرة الاصلية وشكل الجزيرة يشبه الساق والثلاثة ارتفاعات المرتفع كل منها بقدر عشرة أو أحد عشر مترا تشبه الكعب والسمانة والركبة واحدها يقع فى الشيخ الموازينى والثانية فى المدرسة والثالثة فى رأس التين والشعب

المتد فى البحر بين برج السلسلة والجزيرة من جهة وبين العجمى والجزيرة من الجهة الاخرى فدل ذلك على أن هذه الجزيرة والشعوب المذكورة أصلها من الساحل وانفصلت منه بحادثة حدثت فى الازمان العتيقة وتكلم أميروس الشاعر على ما يتعلق بها قبل المسيح بعشرة قرون وترجمة عبارة أميروس هى هذه هنالك توجد مينا منها تخرج السفن بعد أخذ الماء وبينها وبين النيل يوم ملاحة يعنى ٥٤٠ استادة لان يوم الملاحة قدره هذا المقدار وتطابق هذه المسافة الجزيرة وفم الفرع القانوبى وكانت فى الايام العتيقة من أحسن المواضع وأبهجها وكان بها مواضع كثيرة للنزهة وجهاتها نحو الشمال فيكون هواؤها أيام القيظ رطبا لطيفا وبعضها متوجه جهة الجنوب لسكن الشتاء وكان بها بساتين كثيرة فيها من جميع الفواكه لكنها مشتهرة بالتين ولذا كانت تسمى روض التين وبقى ذلك الى أكثر من نصف القرن الثانى عشر وكان يهاجر اليها فى كل سنة زمن الخريف الطير المعروف بالسمان فتأخذ الناس منه كثيرا حتى اكتفى عن اللحم اه ملخصا من كتاب مالى ولا يعلم كيف كانت هذه البساتين لان أرض جميع جهاتها حجر ولابد أن بعض مبانيها كانت تردم بالطين المنقول كما يشاهد الآن

(المنار القديم) قال المقريزى فى خططه نقلا عن المسعودى أما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم الى أن الاسكندر هو الذى بناها ومنهم من رأى ان دلوكة الملكة بنتها ومنهم من رأى ان العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقال ان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وفى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان صار هدم أعلى المنارة بحيلة عملها عليه ملك الروم ثم بقيت على ما كانت عليه الى سنة ٣٣٢ هلالية وفى سنة ٧٧٧ سقطت رأسها من زلزلة وقال ابن وصيف شاه عند ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وبنوا على البحر مدنا منها رقودة التى كانت قبل الاسكندرية فى مكانها وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب ونصبوا فوقها منارة عليها مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ونقل السيوطى عن ابن فضل الله ان هذه المنارة قد خربت وبقيت أثرا للأعين فزال الباقى فى أيام قلاوون وولده وبناء على قول مؤرخ النوبة ان المنارة المذكورة كانت موجودة الى القرن الثالث عشر كما ذكر أبو الفداء فانه كان موجودا فى سنة ١٣٢٠ ميلادية تكون المنارة المذكورة تخربت فى القرن الحادى عشر ومحل هذه المنارة الآن البرج الزفر الذى هو محل طابية قايتبيك الذى فى النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس وما ذكره استرابون وغيره يؤيد ذلك فقد ذكر ما معناه ان النهاية الشرقية من الجزيرة عبارة عن صخرة محاطة بالماء من جميع جهاتها والمنارة فوقها عبارة عن برج من جملة طبقات مبنية بغاية الاحكام من الرخام الابيض واسم الجزيرة واسمه واحد والذى بناه سوستران محبوب الملوك لاجل أمن الملاحين لان الساحل من جهة اسكندرية منحط ومجرد عن المينا وكثير الشعوب والصخور فكان من المهم جعل دليل مرتفع لاجل دخول الملاحين الواردين وعدم وقوعهم على الصخور والمدخل الغربى ولو كان عسرا لكنه لم يكن فى الاهمية كالشرقى ومنه كان يتوصل الى مينا تسمى أونست من داخلها مينا محفورة بالآدميين مقفولة فالموجودة فى مدخلها المنارة هى المينا الكبرى والاخريان مجاورتان لها ولم يفصلهما عنها الا القنطرة المعروفة باسم هبتاستاد ومن هنا يعلم ان محل المنار القديم محل طابية قايتبيك فى النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس وقال المقريزى فى خططه ان منارة اسكندرية أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة من ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فليبش لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب فى البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا فى أعاليها مرآة عظيمة من نوع الاحجار الشفافة ليشاهد منها مراكب البحر اذا أقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فيستعدون لها قبل ورودها وطول المنارة فى هذا الوقت تقريبا مائتان وثلاثون ذراعا بعد أن كان طولها أربعمائة ذراع فتهدمت من ترادف الامطار والزلازل وبناؤها على ثلاثة أشكال فقريب من النصف وأكثر من الثلث بناؤه مربع الشكل بأحجار بيض وذلك نحو مائة ذراع وعشرة أذرع تقريبا ثم بعد ذلك يكون مثمن الشكل مبنيا بالحجر والجص وذلك نحو نيف وستين ذراعا وحولها فضاء يدور فيه الانسان وأعلاها مدور ورم أحمد بن طولون شيأ منها وجعل فى أعلاها قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهى مبسوطة منخرفة

بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر ومقدارها على جهة الارض نحو مائة ذراع وبلغ ماء البحر أصلها وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلي البحر فبناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وفي الخطط انه في أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض أركان المنارة وسقط فأمر ببناء ما تهدم منها في سنة ٦٧٣ وبنى مكان القبة مسجدا وهدم في ذي الحجة سنة ٧٠٢ من زلزلة ثم بنى في سنة ٧٠٣ وهو باق الى يومنا هذا وبينها وبين مدينة اسكندرية في هذا الوقت نحو ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركبه البحر وهي مبنية على فم مينا اسكندرية وليست المينا القديمة لانها في المدينة العتيقة ولا ترسو فيها المراكب لبعدها عن العمران والمينا هي الموضع الذي ترسو فيه مراكب البحر الى آخر ما قال * وفي سنة ٣٤٤ تهدم من المنارة نحو ٣٠ ذراعا من أعلاها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت به الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خميس العدس يخرج فيه أهل اسكندرية الى المنارة من مساكنهم ولابد أن يكون فيها عدس فيفتح باب المنارة وتدخله الناس فمنهم من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون كذلك الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو وقال بعضهم انه قاسها فوجد طولها ٢٣٣ ذراعا وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي ١٢١ ذراعا ونصف والثانية مثمنة وهي ٨١ ذراعا ونصفا والطبقة الثالثة مدورة وهي ٣١ ذراعا ونصف ذراع وذكر ابن جبير في رحلته ان منار اسكندرية يظهر على بعد ٧٠ ميلا في البحر وانه قاس أحد أضلاع المنارة في سنة ٥٧٨ هجرية فوجده يزيد على ٥٠ ذراعا وان الارتفاع يزيد على ٥٠ باعا وفي أعلاها مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه * وذكر قلاووس يوسف في وصف قزائل بمدينة القدس الذي ارتفاعه ٥٠ ذراعا وضلع مربع قاعدته ٤٠ ذراعا أن شكل هذه المنارة يشابه شكل منار اسكندرية وذكر في مواضع أخر أن نور منار اسكندرية يرى في البحر على بعد ٣٠٠ استادة فيعلم من جميع ما تقدم أن محل المنارة هو برج قائدبيك وانه المنارة المذكورة قديما وربما كان سابقا على البطالسة وانه من بناء الفراعنة وأجرى به الروم عمارات وزيادات وكان في غاية الارتفاع لاجل مشاهدة المراكب من بعد بعيد جدا عن المدينة حتى تمكن أهلها من الاستعداد لمقابلة العدو * وفي خطط الفرنساوية في صحيفة ٢٢٥ أن أحد شراح لوسيان ذكر أنها مشابهة لاهرام مصر وان طول ضلعها استادة فان صح ذلك لزم ان تكون الجزيرة في الايام السابقة أكبر مما هي عليه الآن بكثير وذكر مؤرخ النوبة ان ارتفاعه ٣٠٠ ذراع وعلى كل حال فليست أقل من مائة أو مائة وعشرين مترا والا لما ظهرت من بعد ٣٠٠ استادة يعني قريبا من ٤٠٠٠ متر والمنار الجديد الذي بنى زمن العزيز محمد علي باشا في غربي رأس التين من جهة البحر يرى في البحر من بعد ١٣٤٠٠٠ متر مع أن ارتفاعه عن سطح البحر الملح لا يزيد عن ٦٥ مترا وفي خطط الفرنساوية ما يدل على ان المنارة المذكورة كانت من أعظم المباني لان بلين قال ان تكاليفها بلغت ٨٠٠ تالان يعني ١٢٠٠٠٠٠ بنتو وهذا التالان هو تالان اتينه وقيمته ١٠٠٠ ايكو فرنساوي لان الرومانيين كانت تستعمله ولو أراد التالان الاسكندراني لبلغت التكاليف الضعف تقريبا * وعبارة أميروس تفيد أن مينا اسكندرية كانت مطروقة قبل وفود اسكندر على أرض مصر وكان فيها كثير من الصهاريج ومجاري المياه وكانت السفن تأخذ مياهها منها ولا بعد في ذلك لانه لا يعقل وجود مدينة بدون وجود ماء وتردد السفن على المينا يقضي بوجود المنار لهدايتها فحينئذ لا يبعد كونها من مباني الفراعنة * وفي كتاب حكى ان جزيرة فاروس كانت معلومة قبل بناء اسكندرية بستة قرون وذكرها أميروس بهذا الاسم ولابد أنه مأخوذ من اسم المنار لان فاروس بالرومية معناه محل النور واتفق جميع المؤرخين على ان رقودة سابقة على اسكندرية وانها من مدة الفراعنة وكانت بلدا تجارية وحوصرت مرارا بسكان سواحل البحر وكان قبل الآن بثلاثين قرنا يمر بها الصوريون والكنعانيون وكثير من سكان جزائر البحر فلابد أنه كان في المينا شيء يهتدى به وليس ثم غير المنار ونوره ولابد أنه كان في مينا رقودة كما كان في غيرها وان الجزيرة استعارت اسمها منه لانه استعار اسمه منها * وفي كتاب مالي الفرنساوي انه في زمنه يعني سنة ١٧٣٠ ميلادية كان لا يوجد لمنار اسكندرية أثر بالكلية وكان محله قلعة صغيرة فيها برج صغير من مباني المسلمين وكان هو المستعمل في هداية المراكب القادمة على اسكندرية ولما دخل الفرنساوية مصر كان محل المنار سورا والقلعة في جزء صغير منه وكان السور في محل أصغر من المحل

مطلب الجمع الذي كان بالمنارة

الذى كانت به المنارة القديمة كما كان يظهر ذلك من الآثار ويظهر انه كان هناك جامع وكانت تسمى هذه القلعة عند الافرنج القاريون ومن ضمن ماوجد محل المنارة حيضان قديمة من الرخام وعواميد وبعض أسلحة وحلل من الحجر وغير ذلك ‹(الجسر المسمى هيتاستاد)› هذا الجسر كان الطريق الموصل بين جزيرة رأس التين والمدينة وكلمة هيتاستاد مركبة من كلمتين هيتا التى معناها ٧ واستاد التى معناها غلوة فعلم من ذلك ان هذا الجسر كان طوله سبع غلوات وذكر استرابون ان هذا الجسر كان متجها نحو النهاية الغربية من جزيرة رأس التين وكان به فتحتان لدخول المراكب من المينا الشرقية الى المينا الغربية وكان طريقا لجرى ماء النيل الى الجزيرة وجول سيزار قيصر قدرها ٩٠٠ خطوة وجعل هيروتوس هذا الطول ٨٠٠ خطوة فقط وذكر انه كان عند كل فتحة طابيتان طابية من جهة البلد والاخرى من جهة الجزيرة * وقد عين محمود بيك فى البحث الذى أجراه على آثار المدينة القديمة ان محل الطابية التى كانت فى جهة البلد كوم الناضورة وأما الطابية الاخرى فمحلها الآن حمام صفر باشا وقد هجر هذا الجسر من زمن مديد وردم بعضه وبنيت فوقه منازل كثيرة وهى مابين كوم الناضورة وحمام صفر باشا وكذلك ردم جزء من المينا القديمة وبنى فوقه منازل أيضا وبالاطلاع على خرطة اسكندرية يعلم قدر المردوم منها ‹(المينا الشرقية)› هذه المينا هى التى كانت مشهورة فى الايام العتيقة ويسميها الاسكندرانيون الآن المينا الجديدة وكان يسميها من قبلهم مانيوس بورتوس يعنى المينا الكبيرة وكان مدخلها ضيقا وبه شعوب وصخور كثيرة منها مايظهر على سطح الماء ومنها ماهو مغطى به وكان فى داخلها سرايات كثيرة للملوك بعضها مبنى على الصخور الطبيعية وبعضها بنى فوق صخور حادثة وكان ساحلها من ابتداء برج السلسلة الى آخر السبع غلوات مزينا بالسرايات الفاخرة والمبانى البهجة والعمارات المبرية ويعلم مما ذكره فلاويوس يوسف انه على شمال الداخل فيها جسر فى غاية المتانة والصلابة وعلى يمينه جزيرة فاروس (رأس التين) ولذا كانت السفن التى تدخلها فى غاية الامن وسعتها ٣٠ استادة وهذا يطابق محيطها الآن وقدره قريب من ٥٠٠٠ متر وقد عثر محمود بيك أثناء بحثه عن آثار اسكندرية القديمة على بواق من الجسر المذكور تحت سطح الماء بقدر ٣ بل ٤ أمتار وتلك البواقى متجهة من برج السلسلة الى جهة مدخل المينا وتمتد الى مائتى متر تقريبا ويظهر ان الحفر الموجودة الآن فى مدخل المينا كانت من ضمن الجسر المذكور فان كان كذلك كان طول الجسر من ابتداء برج السلسلة نحو ٩٠٠ متر فى الطول و٦٠٠ فى العرض ومن هنا يعلم ان المينا كانت مقفولة من جميع الجهات ماعدا الفم الذى كانت السفن تدخل منه الذى هو من جهة المنار وعرضه ٦٠٠ والظاهر انه كان منقسما الى قسمين أحدهما صغير وهو الذى كان من جهة المنار وقدره ١٠٠ متر تقريبا والآخر عرضه ٢٠٠ وكانا منفصلين بصخرة وهى الآن تحت الماء بقدر ٧ أمتار وفى كتاب مانى الفرنساوى أن الفتحة الكبرى كانت بقرب المنار وتنتهى بصخور بنى فوقها قلعة ومنارتان والفتحة الثانية كانت بعد هذه وكان على نهايتها من جهة برج السلسلة منار ثالث انهدم ولم يبق له أثر فى وقتنا وكانت المراكب تمر بين الثانى والثالث من المنارات ولكنه لصغره وكثرة صخوره كان لايستعمل الا للمراكب الصغيرة والآخر هو الذى كان يكثر استعماله وكانت الفتحات المذكورة تقفل بسلاسل من الحديد وقد عثر محمود بيك أيضا على آثار المينا الصغيرة التى غربى برج السلسلة ومتصلة به وكانت معدة لمراكب الملوك وعلى جزيرة داخل المينا بعيدة عن نصف الساحل بقدر ٣٠٠ متر وموضعها غربى مينا الملوك على بعد ٤٠٠ متر منها وشكلها شكل حدوة الحصان والآن صارت كغيرها تحت سطح الارض بقدر ٣ أو ٤ أمتار وظن أنها الجزيرة التى كانت فوقها سراية التيمونيوم وكان يتوصل منها الى البر بجسر فى منتصف المسافة التى بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات وكذا على آثار غير هذه من آثار المبانى والسرايات التى كانت داخل المينا والمسافة الكائنة بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات طولها ٢٢٠٠ مترا وكان به السرايات الملوكية ومبانى البحرية وكانت احدى السرايات المسماة بالسراية البرانية محل برج السلسلة ولعل سبب تسميتها بذلك خروجها عن المينا وعلى مقتضى ما ذكره پلين انه كان مسلتان عند سراية السرابيوم التى بنتها كليوباترة الملكة ومحلها الآن محل المسلة القائمة وهذه السراية كانت باقية زمن استرابون وكان احدى المسلتين عند دخول الفرنساوية قائمة والاخرى ملقاة على الارض وقيس ارتفاع القائمة من القاعدة الى آخر الهرم الاعلى فوجد ٦٢ قدما أعنى ٤٦ و٢٠ مترا وعرض ضلع القاعدة ٧

اقدام

أقدام وثلاثة أصابع وحسب مكعبها فوجد ٧٠ مترا مكعبا وعشرين من مائة ووزنها ١٨٦٢٤٦ كيلو
جرام و٦٣٢ سنتجرام وهاتان المسلتان من آثار الفراعنة ونقلا الى اسكندرية زمن البطالسة وكانا زينة أمام السراية
الملوكية فى مواجهة المعبد وكان بقرب السراية من جهة الشرق ما بين برج السلسلة والمسلة برج عظيم السعة
مستدير مركب من ثلاث طبقات ويسمى عند الافرنج بالبرج الرومانى ولابد أنه البرج المعروف ببرج المسلة
والسرايات الأخر كانت بين هذه السراية وبرج السلسلة والتياترو والسراية التى أقام بها قيصر حين دخوله مصر
ومحاربته مع مارك انطوان كانت فى مقابلة جسر التمنوم من جهة المدينة منحرفا قليلا الى الشرق ومن السرابيوم
الى جسر السبع غلوات كانت السوق المعروفة فى كتب الروم باسم النبريوم وكان به معبد نبتون ويظهر أنه كان
معبد البيع أصناف التجارة الواردة والصادرة وانه كان بالمدينة أسواق غيره وهذا السوق كان أشبه شئ بالبورصة
الآن وفى خطط الفرنساوية ان أمزيس أحد فراعنة مصر كان جعل عدة أسواق من هذا القبيل فى المدن
المعتادة تجارة الاروام فيها وكان ذلك قبل دخول الفرس أرض مصر وكان يجلس فى هذه الاسواق عرفاء وقضاة
لفصل القضايا وكان بقرب السوق المذكور مخازن البضاعة المعدة للبيع فى السوق المذكور ثم بعد ذلك الترسانة
وكان أمام جسر السبع غلوات ميدان متسع من جهة المدينة على ماذكره هيرينوس وقال استرابون بعد أن
ذكر المينا الكبيرة وما اشتملت عليه ان مينا أونوست فى الجهة الثانية من جسر السبع غلوات وكان بها مينا حفرها
الآدميون تسمى سيبوتوس وحولها ترسانات وفى آخر هذه المينا فم خليج كان موصلا الى الملاحة ثم الى بحيرة
مريوط وكان خلف الخليج المذكور جزء صغير من المدينة ثم خطط انسكروبوليس (مدينة الاموات) ثم قال وفيها
كثير من البساتين والقبور ومنازل لتصبير الاموات والخليج الذى تكلم عليه استرابون أثره يوجد الآن جهة
المكس بعيدا عن البلد بخمسة آلاف متر وخمسمائة تقريبا ووجد من جهته البحرية آثار أرصفة تعين المينا التى
كانت فى البحيرة وهو الذى جعله جلبر يسك خندقا من الجهة الجنوبية الغربية لاستحكامات الاسكندرية وقال
محمود بيك ان ميناسيبتوس التى معناها الصندوق بقرب جسر السبع غلوات وان مينا أونوس بعدها ولكن
يخالفه ماذكره ميسو مالى الفرنساوى فى كتابه على مصر المؤلف سنة ١٧٣٥ ميلادية حيث قال ان أول مينا تقابل
القادم على مصر من الجهة البحرية هى ميناسيبتوس التى هى شرقى برج العرب البعيدة عنه بقدر ٤ أو ٥ فراسخ
وليست منفصلة عن مينا أونوست الا بقدر ميلين أو ثلاثة وكان الخليج المعد للملاحة بينهما ولم تكن هذه المينا
مستعملة الا فى النادر بسبب انها عرضة لتسلط الرياح الشمالية ولذا لا تدخلها المراكب الا عند عدم امكان
الوصول الى مينا أونوست فان بجزيرة رأس التين تحفظها من تسلط الرياح وعبارة استرابون تفيد أن الخليج يخرج
من ميناسيبتوس وان مينا أونوست بعد المينا الشرقية وميناسيبتوس من ضمنها وهى بعدها أيضا وأظن أن هذه المينا
كانت جهة المينا التى كان يقف بها وابور المرحوم سعيد باشا عند باب العرب والمينا المستعملة الآن هى مينا
أونوست المذكورة ويوجد مدخلها بين الارض والنهاية الغربية لجزيرة رأس التين وهو عسر العبور لضيقه وكثرة
شعوبه لكن متى جاوزته السفن كانت فى مينا متسعة عظيمة آمنة وكانت فى الزمن القديم متحدة مع المينا الشرقية
ثم انفصلتا بجسر السبع غلوات فى زمن الروم فصار ما فى جهة الغرب المينا القديمة وما فى جهة الشرق المينا الجديدة
وهى المستعملة الآن وبعد أن كانت هذه المينا مختصة بالسفن الواردة من الجهات الاوروباوية والمينا القديمة
مختصة بسفن المسلمين صارت المينا القديمة مشتركة بين سفن المسلمين وغيرهم وجميع العمارات البحرية المختصة
بعمارة المراكب والجهادية وديوان البحرية والحوض الذى عمل فى زمن المرحوم محمد على باشا فى الجهة الشرقية
البحرية منها وصار الشروع زمن الخديوى فى عمل مواصى تمتد فى وسطها بأرصفة فيه وفى دائر المينا من ابتداء فم
المحمودية الى الحوض فقفل فمها من جهة البحر بجسر من الاحجار لسهولة تفريغ البضائع الواردة والصادرة وزيادة
الأمن ومنع الموج وتسلط الرياح فى داخلها ليكون جميع السفن على غاية من الأمن وبهذه الوسائط مع الحوض
الجديد الذى صنع فى زمن الخديوى لاصلاح المراكب عوضا عن الحوض القديم صارت هذه المينا من أعظم المين
ويرى فيها كل يوم عدد كثير من السفن التجارية وغيرها الواردة من جميع الاقطار ولا يوجد شئ من الآثار القديمة

حول الميناء بل كل ما هو هنالك الآن حادث والرياح الكثيرة الهبوب فى السنة هى الرياح الشمالية البحرية وتيار المياه
فى الميناء من الغرب الى الشرق وهما اللذان مع تمادى الايام كانا سببا فى ردم جزء عظيم بنى فوقه الناس ودخل ضمن
أرض المدينة الجديدة وكان عند دخول الفرنساوية لا يوجد بها محلات لعمارة السفن فاحدثوا لذلك محلات وقنية
فى محل الترسانة الحالية (العمارات الملحقة بالسرايات) من ذلك مدفن البطالسة وقبر اسكندر وكانت الاروام
تسمى ذلك سوما يعنى (الجسد) وكان فى وسط المدينة بناء على ما ذكره تيتوس وقد استدل محمود بيك فى مباحثه
على أن كوم الدكة يوافق ذلك لان كوم الاسكندرانيين يسمونه كوم الديماس ومن جملة مبانيه السرداب والحمام
ويظهر أن ذلك احد السراديب التى كانوا يدفنون بها موتاهم ويؤيد قوله انه عثر هنالك على قبور شتى فيها كثير من
العظام وان أصحاب المنازل المبنية هنالك عثروا على كثير من ذلك واعتقد أهل الاسكندرية ان نبى الله دانيال دفن
بالاسكندرية فى أسفل كوم الدكة واتخذوا قبره مزارا ولكن لم يقل أحد من المؤرخين لا من العرب ولا من غيرهم بان
هذا النبى دفن بها ومن المعلوم انه مات فى ميدا زمن كيروس قبل بناء الاسكندرية بثلاثة قرون وتقضى زمنه فى مدينة
بابل ولذلك قال محمود بيك انه لم يدفن بالاسكندرية والقبر الذى يعزى اليه يمكن أنه قبر الاسكندر وليس ذلك ببعيد
وذكر ليون الافريقى وكان فى القرن الخامس عشر أنه رأى أهالى الاسكندرية تعظم قبر الاسكندر كتعظيمهم للنبى
وفى سنة ١٥٤٦ ذكر مرمول انه شاهده فى وسط المدينة قريبا من كنيسة سان مارك ومدفن البطالسة
السابق الذكر كان ملحقا بالسراية وكذا المزيوم وهو عبارة عن محل يجتمع فيه عدة من العلماء وكان به دار كتب
احترقت عند وضع سيزار أو قيصر النار فى سفن الاسكندرانيين وبناء على ما ذكره استرابون كان به محل تنزه وذلك
للجلوس يجتمع فيه العلماء لتعاطى الطعام وكان لهؤلاء العلماء ايراد مشترك ورئيسهم فى الاصل كان من الكهنة وكان
توليته بأمر الملك ثم صار بأمر القيصرية فتحصل بروسيا الآن بالاسكندرية هو محل المزيوم المذكور وأما
السيرابيوم فمحله على التحقيق عمود السوارى وهو من بناء بطليموس ستير فى قرية رقودة على ما ذكره تاسيت فى محل
المعبد الذى كان للمقدس ازيس وللمقدسة سرابيس معبودة أهالى هذه القرية قديما وذكر المؤرخ المذكور أنه
فى زمن بطليموس أول مؤسس دولة البطالسة حين كان مشغولا بزينة المدينة رأى فى نومه شابا جميل الصورة عظيم
الخلقة فأمره بأن يرسل الى بلاد البون من يأتى بتمثاله ووعده ببقاء ملكه وسعادته ثم بعد ذلك صعد الى السماء فى
وسط سحاب من نار فتعجب بطليموس من ذلك وأرسل الى المعبرين من المصريين وقص عليهم ما رآه فلم يدروا بلاد
البون فارسلوا أحضروا من ناحية ايلوزى بتمولى الاثنين وسألوه فى ذلك فبعد أن استفهم ممن لهم معرفة بهذه البلاد
قال انه فى ضمن الولاية مدينة تسمى سينوب وبقربها معبد يقال له معبد المشترى بلاتون فلم يلتفت بطليموس لذلك
واشتغل بحظوظه فاتى له الشاب وضايقه وقال له ان لم تحضر ما أمرتك به أضعتك وملكك فارسل رسلا من طرفه بهدايا
الى ملك البون لطلب التمثال فحصل منه توقف ولكن بكثرة الهدايا والتهديد سلمه فلما احضر التمثال بنى له معبدا
السيرابيوم وذكر أغلب المؤرخين انه مصرى وذكر جابلونسكى أنه سنوب بقرب منفيس اسمه سنوبيوس كان
بقربه معبد سيرابيس وهو المراد فى عبارة تاسيت وكان المصريون يزعمون أن سيرابيس يشفى من الامراض وكان له
كتاب من القسوس يقيد ذلك فى دفاتر مخصوصة وكان لهذا المقدس معابد كثيرة بمصر أشهرها ما كان بمنفيس
والاسكندرية وكان منها واحد بمدينة كانوب له شهرة عظيمة وكان بقرب السيرابيوم الملعب المعروف عند الروم بكلمة
استاد وكان يلعب فيه على رأس كل خمس سنين ومحله الجناس على ما حققه محمود بيك وكان على الشارع الكبير المار
فى وسط المدينة طولا ومن ضمنه الآن شارع باب شرقى وعلى الشارع الكبير القاطع للمدينة عرضا وزاويته
الشرقية البحرية تقاطع الشارعين وباب شرقى الآن أو باب رشيد يقع فى جهته البحرية بقليل وكان الجناس
المذكور والملعب عبارة عن محل متسع محاط ببوائك محمولة على أعمدة فى طول استاد وكان بوسطه على ما ذكره
استرابون المحكمة والبساتين وقد شاهد ماتى الفرنساوى فى هذا المحل سنة ١٧٣٥ ميلادية عدة أعمدة بعضها قائم
وبعضها ملقى على الارض فى مسافة خمسمائة خطوة وجميعها على خط مستقيم تدل على أحد أضلاع الميدان وفى
مقابلتها بعض أعمدة أخرى تؤيد ذلك وكان أثر بناء من الطوب فى الوسط يدل على بقايا ناقورة فان لم يكن ذلك

الجناس

الجناس فهو الميدان الملاصق له ﴿ ذكر دار الكتب ﴾ قد ذكر أعيان مارسلان عند التكلم على السرابيوم انه كان به دار الكتب لكنها غير دار الكتب الكبيرة التي كانت ملحقة بالسرايات ويؤيد ذلك ماذكره وتروف حيث قال انه كان بمدينة الاسكندرية دار كتب غير الكبيرة ولم يكن ثم غير الموجودة في معبد السرابيوم ولبعدها عن المينا لم تصلها الحريقة التي احترقت فيها السراية وملحقاتها عند محاصرة الاسكندرانيين قيصر وقد قيل ان عدد ما كان بها من الكتب يبلغ ٣٠٠٠٠٠ مجلد وفي زمن كيلوباترة أضيف اليها مائتا ألف مجلد كانت بدار كتب مدينة برجام فأخذها انتوان معشوقها وأهداها اليها وبعد احتراق دار الكتب الكبرى صار لا يوجد بمدينة الاسكندرية غيرها وبعد ان كانت المدرسة ودار التحف من ضمن ملحقات السرايات الحقا بمعبد السرابيوم ومن ذلك الحين اتسعت شهرته الى القرن الرابع من الميلاد ونقل أمير الفرنساوي ان هذا المعبد احترق مرتين مرة في زمن القيصر ماركوريل ومرة في زمن القيصر كومور وفي خطط الفرنساوية ان احراق السرابيوم كان بأمر البطريق بتوفيل بعد توقف كثير من العلماء والاهالي ثم بني محل السرابيوم كنيسة سميت أركاديوم من اسم القيصر اركاديوس المتولي تخت القيصرية بعد القيصر تيودوز الاكبر وجعل فيها دار كتب جمع فيها ما أبقته النار وشيأ كثيرا من كتب النصرانية وهي التي ينسب احراقها الى عمرو بن العاص لكن لم يعلم وجه انتساب ذلك اليه فان هذه الحادثة لم يتكلم عليها أحد من المؤرخين في عصره من النصارى وغيرهم ولم يظهر ذلك الا في القرن الثالث عشر من الميلاد من كتابة تنسب الى أبي الفرج بطريق مدينة حلب مع انه لم يذكرها في تاريخه العام وفي النبذة السنوية لمجلس مصر اللانستيتو أي المجلس العلمي من ضمن ما قيل في جلسة أغسطس سنة ١٨٧٤ ميلادية أن بواص أورو زمن تلامذة ماراي اجستان وماري جيزوم لم يجد شيأ من الكتبخانة حين مروره باسكندرية سنة ٤١٤ من الميلاد يعني قبل دخول سيدنا عمرو بلاد مصر بمائتة وثلاثين سنة فالظاهر أن القول بأن احراق كتبخانة اسكندرية كان بأمر سيدنا عمر محض افتراء اختلقته قسوس النصارى فانه قد حصل احراقها مرارا قبل دخول الاسلام والكتب القديمة الموروثة عن الاعصر الخالية قد محتها أيدي النصارى ﴿ جامع الالف عمود ﴾ ويقال له الجامع الاخضر وجامع السبعين كان الداخل من باب المدينة الغربي يشاهد هذا الجامع المذكور عن يمينه وكان موجودا بتمامه زمن دخول الفرنساوية وكان يتعجب من كثرة أعمدته ونظامه وكان شكله مربعا وانما يسمى بجامع الالف عمود وجامع السبعين لان الاثنين والسبعين حبرا الذين ترجموا التوراة من العبرية الى الرومية في زمن بطليموس فلدانوس كانوا مقيمين به مدة الترجمة ولكن يظهر مما ذكره بعضهم ان الترجمة كانت في جزيرة رأس التين باسكندرية وظن بعضهم انه من المباني القديمة وأنه كان قبل أن تجعله المسلمون جامعا كنيسة من كنائس اسكندرية في زمن قياصرة القسطنطينية باسم الشهيد سان مارك وكان بطريق اسكندرية يقسم بها وقبل ذلك في زمن قياصرة رومة كان محكمة أوديوانا ﴿ اسكندرية بعد الفتح ﴾ لما فتح الله على المسلمين مدينة اسكندرية سنة ٦٤٠ من الميلاد أبقوا أسوارها على ما كانت عليه في زمن الرومانيين وعمروا ما تهدم منها بالمحاصرة التي أقامت أربعة عشر شهرا واستشهد فيها من العرب ما يقرب من ٢٣٠٠٠ نفس لكن بسبب تركهم المدينة واقامتهم بمدينة الفسطاط نقص أهل مدينة اسكندرية مع مرور الزمن وفي القرن التاسع من الميلاد أعني بعد فتح مصر بقرنين أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بني العباس والثاني والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم أحمد بن طولون الاسوار القديمة وبنى غيرها فاما كان جهة البحر والغرب بقي على ما كان عليه مع بعض تغيير وأما ما كان من الجهة الشرقية والجهة القبلية فقد دخل كثير الخراب هاتين الجهتين وذكر بعضهم ان ابن طولون انما عمر الاسوار القديمة فقط ثم في سنة ١٢١٢ اعترى المدينة والاسوار تخرب فاحش فبنى أحد من تولى على تخت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا أخر وهي التي بقيت الى دخول الفرنساوية فعلى ذلك يكون قد بقيت أسوار مدينة الروم قريبا من ٦٠٠ سنة بعد الفتح وجميع المؤن التي بنى بها سور ابن طولون أخذت من الأطلال والاسوار القديمة وكذلك جميع العمارات التي حدثت بعده في أزمان السلاطين من المماليك الى دخول السلطان سليم كلها كذلك من المباني القديمة وبهذا الانتقال كانت مساحة المدينة في زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها في زمن الرومانيين وبقيت على ما وضعها عليه ابن طولون الى زمن دخول الفرنساوية لكنها على حسب

مطلب في الكلام على دار الكتب الصغيرة التي كانت بالاسكندرية مطلب في الكلام على الجامع المعروف بجامع الالف عمود مطلب في الكلام على وصف مدينة اسكندرية بعد فتح المسلمين لها وما فعلوه بها

الازمان والاحوال كانت أخذت فى التخرب وفى سنة ١٧١٨ ميلادية بناء على ماذكره مايى قنصل فرانسا فى ذالك الوقت فى وصف اسكندرية ان التخرب كان قد اعتراها وغيرمعالمها حتى صار لا يوجد فى مدينة العرب أكثر من مائة بيت وتحول غالب الناس الى ساحل المينا وبنوا منازلهم فوق الارض التى حدثت من انحسار البحر فى محل السبع غلوات وهجرت مدينة العرب بالكلية فكانت خرابا بلقعا لا يأوى اليها الا أشقياء الناس وتلك البلد التى حدثت بنيت بانقاض مدينة الاروام وعلى هذا كان الخراب ممتدا من مكان مدينة كانوب الى باب العرب على ساحل البحر ومن جهة الارض الى ساحل البحيرة وخليج اسكندرية وكان لا يزيد عدد اهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس بمن وفد اليهم من سائر الولايات ويظهر من رسم الفرنساوية لهذه المدينة ان محيط أسوار مدينة العرب أربعة آلاف وثلثمائة تواز أعنى قريبا من فرسخين وكان فى زمن الاروام ١١٣٤٠ توازا وكان يمكن مقارنتها بمدينة القاهرة لمعرفة عدد السكان لان عوائد السكن واحدة فى المدتين فنقول انه قيس مساحة اسكندرية فوجدت ٨٠٠٠٠٠ توازمربع وهو أقل من نصف المساحة القديمة وكان محيط القاهرة عند دخول الفرنساوية ٢٤٠٠ ألف مترا و ١٢٠٠ تواز ومساحتها ٢٠٨٨٥٤٠ توازامربعا وأهلها ٢٥٠٠٠٠ نفس فبناء على ذلك يكون أهل اسكندرية فى زمن ابن طولون قريبا من ٨٠٠٠٠ نفس أعنى انه حصل فى ظرف مائتى سنة نقص سبعة أثمان اهلها مع ضياع شهرتها القديمة ومع ذلك فكانت من المدن الكبيرة ولم تحول عنها التجارة حتى يزول كل سعدها ويستفاد مما ذكره أبو الفداء ان كثيرا من حارات البلد لغاية القرن الثالث عشر من الميلاد كان باقيا على وضعه القديم وكذلك المنار ومبانيها العظيمة ونقل عن السلف من المؤرخين ان أسوار المدينة فى غير جهة البحر كانت عبارة عن حائطين أو ثلاثة بينهما أبراج يبلغ عددها الى ماقبل مائة بعضها من طبقتين وبعضها من ثلاث طبقات وكانت تبرز عن سمت الاسوار داخلا وخارجا لاجل كشفهابالحائطين وكان بعض الابراج المذكورة فى غاية من العظم والمتانة حتى كان يرى على حدته كقلعة حصينة ولولا التراخى والاهمال وعدم النظر فى الاحوال ومعرفة تماديها لكان فى الامكان صد الفرنساوية ومنعهم عن الدخول الى أن تستعد الحكومة وترسل لهم من يطردهم لكن يظهر انه فى تلك الاوقات كانت أهمية اسكندرية منحصرة فى ايراد الجمرك لاغير ولذا لم يجد جيش الفرنساوية من يصده ويردعه وأخذت المدينة بقليل من العساكر بدون مكافحة ولا حرب ولا اطلاق مدفع ولما دخل الفرنساوية كان داخل المدينة أشبه شئ بما فى الارياف وكانت حاراتها ضيقة غير مستقيمة والمنازل متلاصقة قليلة الارتفاع وأكثرها أرضى وكان لا يوجد بها غير جامعين للمسلمين وديرين للنصارى وكان ماحول البلد جميعه خرابا وكان اذا وجه الانسان وجهه الى أى جهة يجد بعض قطع الاعمدة والصخور ملقاة على وجه الارض أو مدفونة بها وكان يوجد فى وسط ذلك كثير من كوش الجير تدل على ان الاهالى كانت تحرق مابقى من المنازل القديمة وكانت الارض تحفر لاخراجها منها وترتب على ذلك وجود حفر كثيرة فى أرض المدينة فكم هلك من آثار المدينة العتيقة بهذه الاسباب * والابواب التى كانت فى السور خمسة الاول باب غرب ومنه كان الوصول بين القبارى والمدينة والثانى باب القرافة فى مقابلة جسر السبع غلوات والثالث باب الميدان وكان على المينا الكبرى محل باب القمر فى القديم والرابع باب العمود أو باب سدرة وهو باب الشمس فى القديم والخامس باب رشيد الذى يعرف الآن بباب شرق وجميع هذه الابواب كانت مبنية من أحجار وعمد قديمة وكان فى أعتابها أعمدة كاملة فكان فى عتبة كل باب عمود وفى أعلاه عمود يمتد بعرض العتبة

(ضواحى اسكندرية)

نيكروبوليس يعنى مدينة الاموات وكانت خلف السور من الجهة الجنوبية الغربية ومحلها الآن القبارى مع المكس وكلمة قبارى تحقق ذلك لان معناها الدفن وكانت حدودها من الشمال الغربى الخليج الموصل بين المينا وبحيرة مريوط وكان بين محل الدفن وسور المدينة بساتين ومنازل تنتهى الى خليج يوصل ماء النيل الى المينا بناء على ماذكره استرابون ومحل اتصال هذا الخليج بالبحر يعرف بباب البحر وبعده باب العرب وسمى بهذا الاسم لدخول المسلمين منه وقت فتح اسكندرية وباضافة طول الارض المشغولة بالمقابر الى طول المدينة يحصل ١٠٠٠٠ متر وهو الطول الكلى وباضافة هذا الطول الى نفسه واضافة ضعف العرض اليه وهو ١٥٠٠ متر يتحصل على محيط المدينة القديمة وهو ١٢٣٠٠ متر تقريبا وهو موافق لما ذكره بلين من أنه ١٥ ميلا رومانيا ولم يكن هذا المحل خاصا بالقبور بل كان به أيضا منازل

مطلب فى بيان مساحة مدينة اسكندرية فى أيام الفرنساوية

مطلب فى بيان عدد أبواب اسكندرية التى كانت بسورها القديم

مطلب فى الكلام على ضواحى مدينة اسكندرية

القسوس المعدة لدفن الاموات وبسبب كونها أشرف من جهة على البحر ومن جهة على البحيرة بنى بها كثير من الاهالى منازل وبساتين وكان هذا المحل كثيرا مملوأ بالناس وفيه محلات للبيع والشراء وكان يعمل به كثير من الموالد يجتمع فيها كثير من الناس وبعد الخليج بقدر ٦٢٠٠ متر يوجد العجمى وكان محاذ الرأس المعروف عند الاقدمين شيروزنوس وبينه وبين النهاية القبلية الغربية من جزيرة رأس التين كانت جميع الصخور الموجودة فى فم الميناء ومنها كانت الثلاثة الافواه المعدة للدخول فيها والبعد بين هذا الرأس وبين سور المدينة ٧٠ استادة على ما ذكره استرابون وذلك بالمتر ١١٥٠٠ وفى الجهة الشرقية البحرية من المدينة على بعد ٣٠ استادة كانت نيكوبوليس مدينة صغيرة وكانت الواقعة التى بين قيصر وانتوان هنالك وكان بها سرايات الامراء ومنازل الاعيان والبساتين النضرة الفاخرة ومعنى كلمة نيكوبوليس مدينة النصر واستكشف بها فى هذه الازمان معبد قريب من المحل المعروف عند الاهالى بقصر قيصر والغالب انه من ضمن النيكوبوليس وكان بعد هذه الناحية ناحية أخرى تسمى بوكايس وكانت منازلها منها ما هو على البحر ومنها ما هو على الخليج الحلو وكانت محل تنزه وتفسح وكان الخليج المذكور على يمين الخارج من باب كانوب بناء على قول استرابون وبساحل البحيرة الخليج الموصل الى ناحية شيديا وكانت على خليج اسكندرية المتصل بالنهر الاكبر وقبل أن يصل الى مدينة كانوب يصل الى ناحية بلوزه وهو محل قريب من اسكندرية ومن نيكوبوليس على شاطئ الخليج وكان بها أيضا بساتين وحدائق ومحلات للنزهة يذهب اليها أهل اللهو والفجور من رجال ونساء ومحلها الآن على ما حققه محمود بيك جنينة بستريه والحضرة وكان به كثير من الدكاكين والمضايف وكان يوجد فيه دائما خلق كثيرون من أهالى اسكندرية بالليل والنهار وكان فيه عدة أسواق ومواسم سنوية يهرع اليها خلق كثيرون من جميع الجهات فلو أضفنا ضواحى اسكندرية اليها لوجدنا مساحة ذلك تبلغ ٢٥ كيلومترا مربعا وهو ربع مساحة مدينة باريز الآن فلو فرض أن الاهالى كانت موزعة على أرض اسكندرية كما هى موزعة فى أرض باريس لوجدنا أن عدة الاهالى تنقص عن ٤٠٠٥٠٠ نفس وهذا يحقق ما ذكره ديودور وغيره من أن أهلها فى زمن أغسطس كانوا ٣٠٠٠٠٠ من الاحرار فباضافة الارقاء اليهم يكون ٥٠٠٠٠٠ ان لم يكن أكثر من ذلك والآن أعنى سنة ١٨٧٢ ميلادية باضافة أهالى القبارى والمكس والمحمودية اليهم يبلغ عددهم ٢٠٠٠٥٠ وفى وقت جلوس العزيز محمد على باشا كان عدد الاهالى من سبعمائة ألف نفس الى ثمانمائة ألف نفس وعند انتقاله الى رحمة الله بلغ ذلك ١٠٠٠٠٠ نفس (خليج اسكندرية) هذا الخليج كان محاذيا السور المدينة القبلى على بعد ٣٠٠ متر منه وفمه الآن يجرى شرقى فم المحمودية بقدر ألف متر وكان من داخل المدينة معقودا غير مكشوف وترعة المحمودية التى حفرها العزيز محمد على باشا سنة ١٨٢٠ ميلادية كانها محل الخليج ما عدا الفم فانه فى الميناء وببعض تعديلات جليلة وكان على الخليج القديم ثلاث قناطر بين الحضرة والبلد وعند حفر المحمودية تهدمت وكانت القناطر المذكورة على أبعاد متساوية الاولى من جهة البلد فى مواجهة الشارع الموصل لجسر السبع غلوات والثانية فى مقابلة الشارع الموصل لرأس السلسلة والثالثة قبل ناحية بلوزه على بعد ١٤ استادة ولا بد أنه كان فى مقابلتها شارع كبير يوصل الى الميدان الكبير الذى كان خارج البلد فى الجهة الشرقية البحرية وهو الذى كانت الخلق تجتمع فيه للتفرج على الملاعب المعتادة فى كل خمس سنين بناء على قول مؤرخى الروم أو فى كل سنة بناء على أقوال مؤرخى العرب وهذا الشارع كان يوصل الى المعبد الذى على البحر ومدينة النصر ووجود تلك القناطر وسعة المدينة وكثرة أهاليها يدل على أنه كان فى دائر محيط البحيرة وبينها وبين الخليج أراض وبساتين كثيرة للنزهة فى جميع أوقات السنة والمسافر من اسكندرية فى خليج شيديا بعد أن يجاوز ايلوزى بثلاثة آلاف وخمسمائة متر يرى عن شماله فم ترعة كانت تخرج من خليج شيديا محاذيا الكثبان الرمل التى بنيت عليها نيكوبوليس ثم بعد ذلك تاتى عند مدينة قانوب وكانت قرية شيديا على بعد أربعة وعشرين فرسخا من اسكندرية بناء على ما ذكره استرابون وغيره وكانت كثيرة العمران تقرب من أن تعد من المدن لكثرة أهاليها وكانت مركزا لاخذ الجمرك من المراكب الحادرة والمقلعة ولذا قال استرابون انه كان هنالك قنطرة من المراكب على النهر واسم القرية مستعار من اسم القنطرة ويظهر من قول استرابون هذا أن شيديا كانت على فرع قانوب وعلى بعد ١٦٠ استادة من اسكندرية لان الشى عبارة عن ٤٠ استادة على قول المؤلف المذكور وقد قاس محمود بيك البعد من القرية المعروفة بالنشوة الجديدة الى اسكندرية

مطلب فى بيان عدد أهالى اسكندرية

مطلب فى الكلام على وصف مدينة اسكندرية

فظهر له أن هـذه القرية يوافق محلها محل قرية شيديا وأن بينها وبين اسكندرية ٢٧ كيلومترا فعلى ذلك تكون
التلول الممتدة بقرب القرية فى طول ١٨٠٠ وعرض ٥٠٠ متر وقرية نشوة التى فى وسطها هى آثار هذه المدينة
وان فرع النهر كان فى أسفل هـذه التلول جهة الجنوب ممتدا الى قريب من ٣٠٠٠ متر يعنى قريبا من الكريون
وان خليج الاتكاوية فى محـله ويحقق ذلك ما نقله استرابون عن بركوب من أن النيل كان يأتى الى ناحية كيرو وهى
قريب من ناحية شيديا على بعد ٣٠ ميلا من اسكندرية وكان يخرج من هـذا الموضع خليج اسكندرية والنيل
ينعطف الى الشمـال ويفارق أرض الاسكندرانيين ويكون المحل المسمى كيرو فى العبارة السـابقة هو الكاريون لان
البعد من هـذا المحل الى اسكندرية على الخرطة باتباع اعوجاج الخليج قريب من ٢٩ كيلو ونصفا وهو قريب من
العشرين ميلا التى عينها ركوب فعلى ذلك يظهر من هـذه العبارة ومما ذكره استرابون صحة كون شيديا على النيل
وان محلها النشوة الجـديدة وان ترعة الاتكاوية الآن بعض الفرع المذكور وان مبدأ خليج اسكندرية كان بين
هاتين وذكر المقريزى أنه فى سنة ٧١٠ من الهجرة فى زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اشتغل ٤٠٠٠٠ من
النـاس فى تطهير خليج اسكندرية وبعد تطهيره قيس فوجد ثمانية آلاف قصبة حاكمية من ابتداء فم النيل الى مشتيار
ومن مشتيار الى اسكندرية كذلك وكانت فى القـديم قرية مشتيار مبدأ خروج الخليج من النيل وحيث ان القصبة
الحاكمية ٨٥ و ٣ فالثمانية آلاف قصبة بها هى البعد ما بين اسكندرية والمنشية تقريبا فتكون هذه القرية فى محل
شيديا التى فى عبارات استرابون وشيتار التى فى عبـارة المقريزى وتكون نقطها من نقط فرع كانوب ونقطة الكاريون
ثانية ونقطة كانوب ثالثة وقد اختلف المؤرخون فى موضعها ولكن حقق محمود بيك فى رسالته أنه يقع فى منتصف
جسر أبو قير على بعد ٦ كيلومترات من رأس أبو قير وبقدرها من الكوم الاحمر الذى على الساحل وعلى بعد ٣ كيلومتر
غربى فم بحـيرة ادكو المسمى بفم المعـدية فبناء على ذلك يظهر أن البحر زحف على أرض المدينـة وأن جميع محلها
الآن أو أكثره مغطى بالمياه المـالحة وفم فرع قانوب بنـاء على أقوال المؤرخين وقول الفاضـل المذكور كان فى أسفل
الكوم الاحمر على بعد ٣ كيلومتر من فم المعدية وفى هذا الموضع أعنى محل الكوم الاحمر كان معبد هيركول وكان بينه
وبين جزيرة فاروس بناء على قول استرابون ١٥٠ استادة وهو بالمتر ٢٥ كيلومترا وذكر المؤرخون ان هذا المعبد كان
فى غاية الاحترام حتى كان من يدخله من الارقاء لا يؤخذ منه ولا يتعرض له وبسبب هذه المزية كثرت عنده المساكن
حتى صار حوله كمدينة أو قرية كبيرة ومن ابتداء الفم الى قرية شيديا كثبان كثيرة على أبعاد مختلفة وبجميعها آثار
قديمة تدل على أنه كان عليها بلاد كثيرة عامرة بالخلق ومن هذه الكثبان كوم الذهب وهو على الشاطئ الايسر من النهر
على بعد ٤٠٠٠ متر من الفم فى الجنوب وبعده كيمان مازين وهى كيمان متصلة ببعضها فى طول ١٥٠٠ متر وهى
أيضا على الشاطئ المذكور على بعد ٨٠٠٠ متر من الفم وتل الكاس على بعد ١٥ كيلومترا من الفم و ٣٠ من
دمنهور ولا مانع من أنه محل مدينة انتيل المذكورة فى مؤلفات هيردوت وكانت من المدن العظيمة

(مديرية مريوط)

هذه المديرية منفصلة عن مديرية البحيرة ببحيرة مريوط التى فى جهتها الشرقية ممتدة الى الشمـال والشمال الغربى الى
خد البحر المالح وفى الجنوب والجنوب الغربى الى وادى النطرون ويحر بلا ما بعد أبى قير بقدر ٥ ميريامترات وكان ماء
النيل فى الازمان القديمة يروى أغلب جهاتها وكان بها كثير من المدن والضـياع وكانت كثيرة الاهالى وبها كثير من
أنواع المحصولات وكانت مشهورة بجودة النبيذ وكروم العنب وكانت ترسـل فى كل سنة من نبيذها مقدارا عظيما الى
مدينة رومة وغيرها من المدن ويؤيد ذلك ما ورد عن السلف فى مؤلفاتهم ولنذكر هنا ملخص ما حققه محمود بيك فى
رسالته من غير أن ندخل فى تفاصيل ما ذكره فنقول قد قسم العالم المذكور أرض هذه المديرية الى ٥ مناطق مختلفة
فى الارتفاع وجميعها موازية لساحل البحر الاولى وهى ساحل البحر عرضها ٤ كيلومترات بقرب الشيخ العجمى وواحد
ونصف فقط بقرب أبى صـير وفوق هذه المنطقة مدينة اسكندرية وأبو قير وهى كثيرة الخصوبة تنبت كثيرا من
الخضراوات والبطيخ والتمر ويوجد بها الى الآن كثير من الآثار القديمة التى تدل على أنها كانت معمورة بكثير من
القرى والضياع وكان بها كثير من المبانى الشهيرة وبقيت كذلك أزمانا مديدة والمنطقة الثانية هى المسماة بذراع البحر
وهى ما استتر من وادى البحيرة نحو أبى صـير وبعده ومبدؤها فى مواجهة المكس وفيما بين السواحل والجبل الذى فوقه

الشيخ المعروف بالشيخ على مرغب وعرضها قريب من ٤ كيلومترات فى طول ٢٠ كيلومترا ونصفها الاسفل مغمور بماء
البحيرة فهو فيها الآن كما كان فى الازمان السابقة والنصف الثانى يشاهد فيه كثير من الجزائر فى أرض مستملحة وكان
بجميع هذه الجزائر قرى مسكونة فى الازمان المختلفة متصلة بخراب كثير يمتد الى الشيخ أبى الخير الكائن على بعد ٣٠
كيلومترا من عمود السوارى فى الجهة الجنوبية الغربية وعلى بعد ١٩ كيلومترا من العجمى وبقرب أبى الخير يضيق
الوادى حتى يكون عرضه كيلومترا بين الشيخ المذكور وخراب مدينة مريا أو ماريوط وفى الجنوب الغربى من هذا الشيخ
يتسع الوادى ويكون عرضه كيلومترين ونصفا فى طول ١٣ كيلومترا تقريبا من أبى صير ومن بعده الى ٤ كيلومترات
تقريبا وجميع أرض هذه المنطقة مستملحة لكنها جامدة منحطة عن استواء ماء البحر من ابتداء أبى صير الى ما بعد البحيرة
وفيها كثير من الآثار التى منها خراب متسع فى الشمال الشرقى من أبى صير يمتد فى طول ٩ كيلومترات والخراب الذى
فى قرب أبى صير وبرج العرب هو خراب مدينة طابوزريس ومن هذا الموضع على بعد بعض ميريامتر فى الجنوب الغربى
فى مواجهة منفذ بحر بلاماو على بعد ١٠٠ كيلومتر من مدينة اسكندرية وفى هذه المنطقة أرض تعرف بالبردان وهى
عبارة عن حوض تجتمع فيه مياه الامطار الساقطة فى الاراضى المجاورة وفى جميع أوقات السنة على بعد قليل من سطح
الارض ينبع منه الماء ويكفى أن يحفر فى الصيف نصف متر فقط والمنطقة الثالثة هى الجبل الذى فى نهايته البحرية
الشرقية الشيخ على مرغب ويدخل فى البحيرة على هيئة لسانه وتنحصر هذه المنطقة بين هذا الجبل والمنطقة الاولى
وعرض المنطقة الثالثة ٧ كيلومترات وطولها نحو ١٠٠ كيلومتر وأرضها غير مستوية لكنها خصبة وانحدارها من
الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وهى الارض الاصلية للمديرية والغيطان الموجودة بها الآن تعرف بالكروم
وكان بها بلاد كثيرة وقد عد منها محمود بيك ٤٠ قرية يشاهد فيها الى الآن آثار معامل النبيذ وكثير من السواقى
والمعاصر وجميع ذلك يدل على أن هذه المنطقة كانت حسنة كثيرة العمار وبين الشيخ على مرغب وأبى صير فى طول
قريب من ٣٧ كيلومترا تشاهد آثار خمس مدن من ضمنها خراب مدينة ماريوط ومدينة طابوزريس وتسمى العرب
الاولى من هاتين بالمدينة ومحلها فى الشمال الشرقى من الجبل على بعد كيلومتر غربى الشيخ على مرغب وطول خرابها
قريب من ١٠٠ وعرضه متر قريب من ٤٠٠ متر على سفح الجبل والمدينة الثانية قريبة من قصر المرحوم سعيد
باشا وطول خرابها قريب من ٦٠٠ متر وعرضه ٥٠٠ متر وبينها وبين عمود السوارى ٢٠٠٠٠ متر ومنها الى العجمى
١٣٦٠٠ متر ومن المدينة اليها ٨٨٠٠ متر وفى وسط هذا الخراب كثير من الآثار والصهاريج ومعامل النبيذ ويرى
فى الشمال الغربى على بعد ٢ كيلومتر خراب تسميه العربان القصر وفيه آثار كثيرة من معامل النبيذ ويوجد قريبا من
هذا المحل واد متسع يقرب طوله من ٣ كيلومترات وعرضه ٢ ومساحته تقرب من ١٥٠٠ فدان مصرى تسميه
العربان بالغيط وأطلقت عليه العساكر فى زمن المرحوم سعيد باشا برنجى مريوط واستكشف فيها زيادة عن ١٠٠
ساقية من مبانى الرومانيين والعرب وجميعها فى غاية من المتانة وبعضها عبارة عن ثمانية آبار تحيط بالبئر الاصلى
متصلة به بمجار تحت الارض والخراب المعروف بالقرية بينه وبين الخراب الثانى ٤ كيلومترات ومنه الى العجمى ١٥
كيلومترا والى الشيخ على مرغب ١٣ كيلومترا وطوله مثل عرضه وقدر الواحد ٥٠٠ متر ومساحته تقرب من
٧٥ فدانا وفيه آثار معامل النبيذ ومعاصر الزيت وتقرب مساحة أرض القرية من ٢٥٠٠ فدان وقد وجد
بها ما يزيد عن ١٠٠ ساقية أيام المرحوم سعيد باشا وأطلقت عليها العسكر فى وقته اسم ايكنجى مريوط وأرضها
منقسمة الى الآن الى عدة كروم يعرف بعضها بأسماء مخصوصة وذلك يدل على ان هذه الارض كانت كثيرة الكروم
ثم يوجد خراب آخر يعرف بالنسر وهو على ساحل البحيرة على بعد ١٠٠٠ متر تقريبا وبينه وبين الخراب السابق
٢٨٠٠ متر فى جهة الغرب وعلى بعد ٨ كيلومترات من شرق مدينة مريوط ويطلق على أغلب كرومه كروم
النسر ويوجد غير ما ذكر خراب بينه وبين أبو صير قريب من ٧ كيلومترات ومنه الى مدينة مريوط ١٣ كيلومترا
ومن ضمن هذه المنطقة أيضا مدينة قرموتيس القديمة والمنطقة الرابعة تشتمل على جميع الاراضى الواقعة بين
المنطقة الثالثة وصحارى ليبيا وتمتد الى فم وادى النطرون وبحر بلاما وفيها كثير من آثار القرى والبلاد وتعرف
أرضها أيضا بالكروم فمن جميع ذلك يعلم ما كانت عليه هذه المديرية فى الايام السالفة من كثرة العمران وكانت فى

القرون الاولى من النصرانية وزمن قياصرة القسطنطينية بناء على ماذكره جراتيان لوبير مسكونة بالنصارى الفارّين من الفتن والمنازعات المذهبية وبنى بها كثير من الديور وورد اليها كثير من الخلق حتى ان القيصر ولانس أمر حاكم اسكندرية فى القرن الرابع من الميلاد بأن يجمع كل من كان يصلح للعسكرية من هذه المديرية ومن صحارى الوجه القبلى فجمع من مديرية مريوط ومن خط وادى النطرون الملاصق له فى جهة الجنوب خمسة آلاف وأرسلهم الى القسطنطينية فادخلهم العسكرية ﴿ مدينة مريوط ﴾ هذه المدينة كانت من المدن القديمة ذكرها هيرودوت وغيره وذكرها مؤلفو العرب وهى بقرب اسكندرية وموضعها الآن فى مقابلة الشيخ أبى الخير وسعة أرضها ١٥٠٠ متر طولا و ٨٠٠ متر عرضا ومن أمعن النظر فى خرابها ومابه من آثار المبانى العظيمة عرف أنها كانت من المدن الكبيرة من ضمنها آثار أرصفة ومواص وهذا يدل على انها كانت تمتد الى البحيرة وانها كانت من مراكز التجارة المشهورة وكانت فى جميع التقلبات الزمانية عرضة لحوادث شتى أعقبت خرابها وخراب ما حولها من البلاد ويعلم من موقعها الجغرافى أنها من أهم النقط العسكرية وان أهميتها بالنسبة لديار مصر فى الازمان القديمة كانت كأهمية مدينة الطينة أو الفرما بالنسبة لبلاد الشام وقد مربها عمرو بن العاص عند توجهه الى فتح اسكندرية ومربها قبله قيصر الروم فى محاربته لمتريدات وكانت فى هذه الازمان الاخيرة طريق جيش الفرنساوية مع بونابارته بعد أخذه اسكندرية وكانت فى الازمان السابقة محصنة ويرى الى الآن بعض آثار أسوارها ونقل المقريزى عن الذين ينظرون فى الاهوية والبلدان وترتيب الاقاليم والامصار أنه لم تطل أعمار الناس فى بلد من بلدان كورة اسكندرية كطول أعمار أهل مريوط ﴿ طابوزيريس ﴾ كانت هذه المدينة قريبا من برج العرب فى الجنوب الشرقى منه وتسمى بين الناس أبوصير وبينها وبين مدينة الاموات ٢٥ ميلا رومانيا أعنى ٢١ كيلومترا وذكر بعضهم ان هذه المدينة كانت مشهورة بالاقمشة النفيسة ﴿ مدينة فوموتيس ﴾ هذه المدينة توجد آثارها فى الجنوب الغربى من أبى صير على بعد ١٦ كيلومترا وبينها وبين آثار مدينة مريوط ٣٠ كيلومترا ومنها الى الخراب الموجود بقرب قصر المرحوم سعيد باشا ٤٣ كيلومترا وتسمى الناس موضع هذه المدينة الآن بومنه ويرى فيها الى الآن عدد وافر من السواقى والصهاريج المبنية بالطوب وعقود كثيرة فى آثار بيوتها تدل على أن أكثر بيوتها كانت معقودة ﴿ بحيرة مريوط ﴾ يستفاد مما ذكره مانى فى كتابه على مصر أن هذه البحيرة حفرت فى زمن الفراعنة وكان ماء النيل يصل اليها من الجهات القبلية والبحرية فتسير فيها السفن بانواع البضائع والتجارة وتمر باسكندرية والبلاد والمدن التى على ساحلها كان يخرج منها عدة فروع منها ما هو للرى ومنها ما هو للرى والملاحة وكان كثير من الخلجان متفرقا فى داخل المدن ولامتلاء الصهاريج ومكان هذه البحيرة بقرب مينا اسكندرية كمينا بلتة تتردد المراكب الصغيرة اليها والى مينا سيبوتوس والخليج الذى تقدم ذكره لابد أنه الخليج الذى كان قديما يوصل اليها الماء المسمى فى المقريزى بخليج الحافر وهو المنتهى ولم تختلف سعة البحيرة الآن عما كانت عليه فى الازمان العتيقة الا أن السفن لا تجرى كما كانت قديما وقد تجف فى بعض السنين كما وقع ذلك سنة ١٨٠١ ميلادية فانها جفت بالكلية ثم امتلأت بالمياه المالحة الواردة اليها من قطع أبوقير بالانكليز وسببه أنه لما دخل الفرنساويون أرض مصر حاصرهم الانكليز وكانت مراكبهم تتردد فى سواحل البحر فحصل بين الانكليز ومحافظى اسكندرية فى بعض الواقعات واقعة انتصر فيها الانكليز وانهزم الفرنساوية ودخلوا المدينة فعمدوا الى جسر بحيرة المعدية وقطعوه لاجل قطع الزخرة والذخيرة والامدادات التى ترد اليهم من مدينة القاهرة فملأ المالح جميع بحيرة مريوط ودخلها مراكب الانكليز وساروا بها الى جهات كثيرة وانقطع الاتصال بين خارج المديرية وداخلها ولما ارتحل جيش الفرنساوية بعد المصالحة التى صارت مع الدولة العلية سد الترك القطع فجفت البحيرة قليلا وقطعه الانكليز ثانيا بعد وقعة رشيد التى حصلت سنة ١٨٠٧ من الميلاد فانهم لما حبسوا أنفسهم داخل المدينة أدخلوا ماء البحر فى البحيرة فامتلأت بالماء وبقيت كذلك الى خروجهم وسد القطع المذكور وبقى على ذلك الى الآن وفى كل سنة تصرف الحكومة عليه مبلغا جسيما ومخلص واقعة رشيد المذكورة هو أنه بعد خروج الفرنساوية كانت الفتن كثيرة وكان ثوارها من الانكليز لانهم كانوا راغبين فى رجوع مصر الى حكم المماليك بسبب ما كان حاصلا بينهم من الاتفاق والى ذلك الوقت كان العزيز آخذا بزمام الاحكام بمقتضى

الفرمان العالى وفى سنة ١٨٠٧ أحضروا ٢٥ سفينة انكليزية وبخيانة أمين أغا المحافظ وتواطئه معهم فتح لهم أبواب المدينة وكان العزيز فى ذلك الوقت بالاقاليم القبلية خلف المماليك ولم يكن بمدينة رشيد الا قليل من المحافظين فارسل الانكليز اليها عسكرا فلما بلغ المحافظين قدومهم خرجوا منها وتركوها لهم ولكن لما توطنت العساكر الانكليزية بها هجموا عليهم دفعة واحدة بمعونة الاهالى فقتلوا منهم عددا وافرا وأسروا منهم ١٢٠ نفسا وأرسلوهم مع رؤس المقتولين الى القاهرة فطيف بهم حول البلد ثم وضعت الرؤس حول ميدان الازبكية فوق المزاريق فبلغ خبر هذه الواقعة العزيز فحضر سريعا من الوجه القبلى وجهز ٤٠٠٠ مقاتل من المشاة و ١٥٠٠ من الخيالة وتوجه بهم الى ناحية فوة بعد أن حصن القاهرة وكانت الانكليز أرسلت فرقة أخرى من العسكر الى رشيد حاصرتها ١٦ يوما الى أن حضر العزيز بعساكره فوقع بينه وبينهم محاربة عظيمة انهزم فيها الانكليز بعد موت كثير وأسر كثير منهم أيضا والذى سلم رجع الى الاسكندرية وخلفهم قطعوا الجسر بحيرة مريوط من جهة البحر وبعد ذلك بقليل صولحوا وردت اليهم الاسرى وخرجوا من مصر وبقى العزيز بعد ذلك متمكنا فى الديار المصرية ❊ وجزء البحيرة الاول الواقع بين المنطقة الاولى والمنطقة الثانية من أرض مديرية مريوط محدود من جهة الجنوب الغربى بخراب مديرية مريوط والجزء الثانى من البحيرة وهو أكبر من الاول محدود من الجنوب بجزيرة الطفلة وتل بلال وتل احفين وتل الحنش ومن جهة الشرق بكيمان الريش وكوم البركة وكفر الدوار وبين هذا الكفر وكيمان الاسكندرية تحد البحيرة فى وقتنا هذا من جهة الشمال الشرقى ومن جهة الشمال الغربى بخليج المحمودية وتمتد البحيرة الآن نحو الشمال الشرقى وكان من ضمنها جزء عظيم من بحيرة أبى قير ونقل المقريزى عن ابن عبد الحكم وكان فى القرن الثانى من الهجرة أن الماء كان يدخلها من اشتوم فى بحر الروم ويخرج جزء منه فى بركة بقربها بواسطة خليج عليه مدينتان احداهما الهدبة والاخرى الكر ويظهر من هنا أن بحيرة أبى قير لم تكن موجودة فى القرن الثانى وان الذى كان موجودا وقتئذ بحيرة اتكو ولا بد أن الخليج الموصل لهما هو الذى تسبب عنه فيما بعد بحيرة أبى قير الواقعة بين بحيرة اتكو وبحيرة مريوط ولا بد أن الخليج المذكور بعيد عن شديا وكان فى ذلك الوقت فرع رشيد قد جف وانقطع جريانه ومما يحقق أن هذه البحيرة كانت تمتد فى الطرف الباقى من المحمودية ما قاله بولين واسترابون حيث ذكر الاول أن طول البحيرة ٣٠ ميلا رومانيا أعنى ٤٤ كيلومترا ونصفا تقريبا وذكر الثانى أن هذا الطول اقل من ٣٠٠ استادة عبارة عن ٤٩ كيلومترا وكل من هذين البعدين لو قيس من مدينة مريوط لجاوز المحمودية باربع كيلومترات فاكثر وأما عرض البحيرة فقدره استرابون بنحو ١١٥٠ استادة وهو عبارة عن ٢٤ كيلومترا ونصف تقريبا وهو الى الآن كذلك ومحيطها ١٢٠ كيلومترا ينتهى بالسكة الحديد وكان فى القديم ١٢٠ كيلومترا و ٢٥ ميلا رومانيا تقريبا وذكر استرابون أنه كان بها ثمان جزائر والمعروف منها الآن سبعة الاولى جزيرة الطفلة وهى على بعد ٤ كيلومترات من جنوب الشيخ على تمرغب والثانية يقال لها كوم الحمار وكوم الخرز وهى الارض التى فيها الشيخ غازى والثالثة تسمى جزيرة السعران وهى تجاه كفر الدوار ومن ضمنها كوم الويلى وكوم العيسنة وربما دلت آثارها على أنها كانت أكبر الجميع والرابعة تجاه بركة أبى الخير على يمين المتوجه من الاسكندرية الى السكة الحديد وأما الثلاثة الباقية فهى فى المكان المسمى بذراع البحر وأرض بحيرة مريوط منحطة عن ماء البحر بمترين ونصف ولا بد أن ارتفاع الماء فى القديم كان يصل فيها الى قريب من ٣ امتار لامكان الوصول منها الى البحر ومنه اليها

(الكلام على الاسكندرية فى عهد العائلة المحمدية) كانت الاسكندرية بل وسائر الديار المصرية قبل استيلاء المرحوم محمد على باشا عليها وتوجيه انظاره اليها فى غاية من الاضمحلال وسوء الاحوال مع قلة العدد والعدد قليلة المتاجر والاسفار كثيرة الفتن والاشرار قعدت أعرابها على أذناب الطرقات واستعملت القتل والسلب فى كل الاوقات ليس لاهلها فكرة فى اكتساب أنواع المعارف والصنائع ولا لهم خبرة بما يستوجب كثرة محصولات المزارع فلما جلس على التخت وذلك لاثنى عشر يوما خلت من ربيع الاول سنة ١٢٢٠ من الهجرة الموافقة لسنة ١٨٠٥ من الميلاد التفت اليها بل الى القطر جميعه ووجه اليه جميل أفكاره وشمله بجليل أنظاره وأخذ فى اصلاح ما أفسدته التقلبات الدهرية وحيث كان غير خفى على ذكائه أهمية موقع الاسكندرية من الديار المصرية وانها بالنسبة للقطر جميعه كالرأس

مطلب على جزء البحيرة الاول والثانى

مطلب الجزائر السبع

مطلب الكلام على الاسكندرية فى عهد العائلة المحمدية

بالنسبة للانسان سيما وهى من أعظم ثغور الاسلام وعليها المدار فى تحصين القطر وسدّ عوراته صرف اليها همته العلية واحتفل بها احتفالات سنية وأجرى فيها من محاسن الترتيبات والتنظيمات ما أوجب لها العمارة وتزايد الخيرات وكثر فيها الصادر والوارد فعاد اليها وسيم نضرتها وقديم شهرتها فبعد أن كان ما بها من الانفس قبل أيام المرحوم محمد على لا يزيد عن ٨٠٠٠ نفس وذلك وقت دخول الفرنساوية الديار المصرية سرت فيها العمارة سريان الماء فى العود الاخضر وأورق غرس سعدها وأثمر حتى بلغت عدة أهلها ٦٠٠٠٠ نفس ثم فى سنة ١٨٣٠ بلغت ١٣٠٠٠٠ نفس وهكذا لم تزل فى الزيادة فى عهده وعهد خلفائه من بعده الى أن صارت من أمهات الامصار وهرع الناس اليها من سائر الاقطار حتى بلغت عدة أهلها فى عصرنا هذا أعنى سنة ١٢٩١ هجرية ٢٧٠٠٠٠ نفس وبعد أن كان لا يرى فى ميناها القديمة غير مراكب شراع قليلة ترد اليها فى بعض الاوقات ببضائع قليلة من نحو البلاد التى على سواحل البحر الرومى وجهات ايطاليا صارت كل يوم يرد اليها عدد وافر من المراكب شراعية وبخارية تجارية وحربية من جميع الجهات تجلب اليها مبالغ جسيمة من أنواع محصولات الاقطار وذلك بسبب ما جدده بالاسكندرية من الآثار السنية والمنافع الوطنية فانه قد نزع عنها جلابيب الاحداد وكساها حلل الاقبال والاسعاد وأحدث فيها مبانى جليلة وعمائر جليلة وأمر باصلاح ما تهدم من أسوارها وتجديد ما اندرس من آثارها واحتفل بذلك احتفالا زائدا تحسينا لهيئتها وحرصا على عمارتها ولاجل حرصه على جلب العمارة اليها صرح لمراكب الفرنج بالدخول فى

مطلب دخول الفرنج بالمينا

المينا الغربية التى كانوا قبل ذلك ممنوعين منها وكانت المينا الشرقية هى المعدة لرسيان مراكب الفرنج مع أنها كانت مخوفة وعلى غاية من الخطر وكثيرا ما كان يحصل منها التلف للسفن التى ترسو بها من كثرة تسلط الرياح الشرقية والشمالية عليها سيما لقلة عمق المياه التى بجوار المرسى بخلاف المينا الغربية التى كانت مختصة بسفن المسلمين فانها فى غاية الامن من ذلك كله وكان الاغراب كثيرا ما يطلبون الدخول منها فلا يجابون فلما صدر الاذن لهم بذلك فرحوا فرحا شديدا وكان سببا فى كثرة جلب الخيرات اليها واقبال التجار وأهل الاسفار عليها فانه من وقت بلوغ هذا الخبر الى الاقطار أخذت السفن تتوارد بالتجارات من كل مدينة ومن كل قطر حيث لم تختص ملة دون أخرى بمزية حتى تكاثرت التجارات والاغراب فيها وتيسرت بها أسباب المكاسب وغردت فيها بلابل الثروة من كل جانب ولما كان المقصود من تمدين تلك المدينة وتكثير خيراتها لا يتم الا بكثرة المياه العذبة فيها وسهولة وصول أهل القطر اليها بمتاجرهم وكان خليجها القديم بسبب اهماله وعدم الاعتناء بشانه قد ردم وارتفع قاعه زيادة على ضعف عمقه الاصلى حتى كان فى كثير من السنين لا يدخله الماء الا فى وقت انتهاء زيادة النيل ثم يجف فى باقى السنة وذلك سبب فى حصول مشقات زائدة لاهل المدينة والطارئين عليها من أهل القطر والاغراب سيما ومجاورته للبحائر التى تكتنفه من الجانبين مثل بحيرة أبى قير وبحيرة المعدية وبحيرة مريوط كانت تستوجب سرعة ملوحة مائه وتعطل منفعته وربما لا تكفى الصهاريج بقية السنة خصوصا مع كثرة الناس فيها جدا كما علمت صدرت أوامره السنية سنة ١٢٣٣ هجرية الموافقة سنة ١٨١٩ ميلادية بحفر ترعة المحمودية وأن تعمق حتى تجرى صيفا وشتاء وتوسع بحيث يسهل لجميع مراكب النيل الوصول

مطلب تاريخ حفر المحمودية

منها الى المدينة بانواع المحصولات فى زمن قريب بلا كبير مصرف ولا مشقة مع حصول تمام النفع للآدميين وسائر الحيوانات والمزروعات وكانت قبل ذلك تجارات القطر لا تصل الى تلك المدينة الا من ثغر رشيد أو دمياط وذلك مستوجب لكثرة المصرف وزيادة المشقة جدا فان سفر البحر الملح لا يخلو عن الخطر فكانت لا تخلو سنة عن حصول غرق لبعض المراكب والبضائع والآدميين ولاهميتها جمع لها عددا كثيرا من الاهالى من جميع مديريات القطر حتى تمت فى أقرب وقت مع الابنية اللازمة لها وقد بلغ ما صرف عليها الى أن تمت ثلثمائة ألف جنيه على ما نقله قولوط بيك وهذا بالنسبة لما ترتب عليها من المنافع شئ يسير كما هو مشاهد ولم يجعل فمها فى مكان فم الخليج القديم عند ناحية الرحمانية بسبب ما حدث أمامه من الارتدام والرمال فنقل بالقرب منه فارتدم أيضا وفعل ذلك مرارا فلم ينفع فجعل عند ناحية العطف فصلح وأنتج المطلوب فاستمر على ما هو عليه الآن وكان ذلك سببا فى عمارة ناحية العطف واتساعها وكثرة خيراتها حتى ألحقت بالبنادر حيث كانت مرسى للسفن التجارية الداخلية والخارجية وجعل انتهاؤها البحر الابيض بحيث تصب قريبا من مصب الخليج القديم الذى كان فى زمن البطالسة وبتمامها على هذا الوجه

حصل منها المقصود من المنافع العميمة والفوائد الجسيمة مما ذكرنا وخلافه كاحياء غالب الاراضى التى بجوانبها من ناحية العطف الى الثغر بعد أن كانت ميتة غير صالحة للزراعة بسبب هجرها من قلة وصول الماء اليها مع أنها كانت فى قديم الزمان معمورة بالناس وأصناف المزروعات بل حصل بحفرها احياء كثير من الاراضى البعيدة عن شواطئها بواسطة المساقى والترع التى تفرعت عنها من الجانبين على توالى الازمان حتى بلغ ما أحيى بها ١١٥٤٥ فدانا وكان الصالح قبل ذلك لا يزيد على ٤٠٠٠ فدان وهكذا لم تزل المزارع والاحياء تتزايد بسبب تلك الترعة الى وقتنا هذا فقد بلغ الصالح للزراعة زيادة عن مائة ألف فدان حتى استوجب عدم كفاية ماء المحمودية بجميعه واحتيج الى تركيب وابورات العطف ثم انه عند تمام حفرها جعل فى فمها وفى مصبها قناطر فكانت مانعة لمراكب النيل من الدخول فيها وكانت التجارات الآتية من القطر الى اسكندرية تنقل عند فمها الى مراكب أخر من مراكب المحمودية وعند وصولها الى الثغر ينقل ما كان منها على ذمة الاجنبيين الى مراكب البحر الملح وما كان على ذمة الاهالى يخرج الى البر وكذلك التجارات الآتية من الاقطار الاجنبية فكانت تنقل مرتين ولا يخفى ما فى ذلك من الضرر والخطر فصدرت أوامره السنية بازالة تلك القناطر وعمل هويسات فى فمها وفى مصبها وذلك سنة ١٨٤٢ ميلادية موافقة سنة ١٢٥٨ هجرية فعملت على هذا الوجه الذى هى عليه الآن بان جعل فى فمها هويسان أحدهما صغير عرضه أربعة أمتار للمراكب الصغيرة والآخر كبير سعته ثمانية أمتار للمراكب الكبيرة وفى مصبها كذلك فارتفعت بذلك الصعوبات وخفت المصاريف وقد ألحق بذلك أبنية عديدة منها انه بنى جامعين أحدهما عند فمها والآخر عند مصبها قرب المينا وجعل محراب كل واحد منهما قطعة واحدة من الرخام الابيض وكتب عليه تاريخ البناء ورقم عليه اسم السلطان محمود والجامع الذى عند مصبها يعرف الآن بجامع التاريخ وكذلك الشارع الذى عنده يسمى بشارع التاريخ ومنها انه جدد عدة أشوان لخزن الغلال الميرية ومنها حفر مجرى تحت الارض لتوصيل الماء الحلو الى جهة الترسانة والجمرك وقد فتح فى مواضع منه موارد لاخذ السقائين والاهالى فى أى وقت شاؤا ولحرصه على دوام نفع تلك الترعة جعل لها ماء تتغذى منه عند الحاجة فجعل ملاقة دبيبة مخزنا للماء يملأ وقت فيضان النيل ويبقى مملوأ حتى يصرف فيها على حسب الحاجة وجعل فيه قناطر للصرف والمخزن المذكور هو ما يعرف الآن بخزان الزرقون وكان قريبا من عشرين ألف فدان ولما استغنى عنه بوابورات العطف جعله المرحوم سعيد باشا جفلكا وهو الآن فى ملك نجله المرحوم طوسون باشا وقد حدث على جوانب تلك الترعة وبعيدا عنها فى ضواحى المدينة عدة بلدان عامرة وقصور مشيدة وبساتين مملوأة باشجار الفواكه والرياحين وغير ذلك من المحاسن المشاهدة هناك ثم ان من أسباب جعل قاع الخليج القديم مرتفعا حتى كان لا يجرى فيه النيل الا وقت الفيضان مجاورته للمياه المالحة كماءات فلذا لما عمل العزيز ترعة المحمودية أمر بسد أفواه تلك البحيرات من جهة البحر المالح فصارت المحمودية آمنة مما يغيرها ويعطل منافعها فهذه الاعمال الجليلة من أعظم أسباب العمارة بتلك المدينة وكثرة الاهالى والاغراب فيها وبسط الكلام على الخليج القديم وترعة المحمودية مذكور فى تاريخنا المصر فليرجع اليه من أراد الوقوف عليه ولاهمية مينا الاسكندرية بواسطة انها أعظم الثغور وعليها تردد السفن بالبضائع وغيرها من جميع الاقطار التفت اليها العزيز فوجدها غير كافية للمصالح اذ لم يكن بها مواضع تكفى الصادر والوارد من التجارات ولا أماكن لتحصيل الجمرك ولا ترسانة لانشاء المراكب وترميمها ووجد مراكب التجارات لا تصل الى البر لعدم عمق مياه المينا وذلك موجب لمشقات ومصاريف جسيمة فى الشحن والتفريغ فأمر بجلب كراكات من البلاد الاوروباوية لاجل تعميقها واشترى من جانبيها بعض أماكن من خط الصيادين وهدمها لاجل توسيعها وذلك سنة ١٢٤٤ هجرية أعنى سنة ١٨٢٩ ميلادية فكان من ضمنها بيت يقال له بيت البطاس وهو جد الشيخ محمد المهدى لامه وكان التصميم على البناء فى ٩ شهر يونيه الافرنجى من السنة المذكورة وفى ذلك اليوم صار شروع الغساكر فى حفر الاساسات ثم صار الشروع فى البناء حتى تمت على الوجه المطلوب سنة ١٨٣١ ميلادية وأول سفينة نزلت بها كان فى ٣ يونيه من السنة المذكورة وكانت تحمل مائة مدفع وقد رخص لارباب الاملاك فى أخذ أنقاض أملاكهم ليستعينوا بها فى بناء منازل غيرها فى الاماكن التى أنعم بها عليهم من الاراضى التى كانت اذ ذاك من زاوية خطاب من

مطلب ذكر تاريخ عمل هويسات المحمودية

مطلب ذكر أبنية عديدة كجوامع وغيرها

الجهة البحرية الى البحر المالح وكانت قبل ذلك كلها مزروعة تينا برشوميا ومقسمة الى زربيات متنوعة فاتسع بذلك دائر الميناو حدث بها ترسانة تشتمل على جميع ما يلزم لانشاء وترميم المراكب الحربية وغيرها ولما لم تستوف تلك الميناء جميع ما يلزم لضبط الجمرك وخزن البضائع وغير ذلك من المصالح صدرت أوامره السنية سنة ١٢٥١ هجرية بعمل رصيف داخل البحر فعمل وملئ ما خلفه بالاتربة والاحجار وغيرها فحصل من ذلك أرض عظيمة الاتساع فانشأ فيها جميع ما تحتاج اليه الميناء من مخازن ومحلات للجمرك ومساكن لخدمة المصالح فأمنت التجار على بضائعهم وتمكنت الحكومة من ضبط الجمرك فزاد ايراده وكان المباشر اذ ذاك شاكر افندى الاسلامبولى الى أن توفى فقام مقامه المرحوم مظهر باشا الى أن تم وكان العزيز اذ ذاك مشتغلا بامور الحرب التى كانت قائمة بينه وبين الدولة موجها همته نحو العمارات البحرية كاعداد الحصون والقلاع وتقويتها فاحضر لها سنة ١٨٢٩ ميلادية من مدينة طولون من مملكة فرانسا المهندس الحاذق الماهر موسيو سريزى وجعله باشمهندس الترسانة ورقاه الى رتبة البيكوية وصار يعرف بسيريزى بيك ثم وصل الى درجة لواء وبامتحانه للميناء وجد عمق الماء بها قدر مترين فقط ممتدا ذلك فى داخل البحر نحو مائتى متر وذلك مستوجب لصعوبة الشحن والتفريغ فظهر له ان الاولى أن يكون محل الترسانة عند العجمى لعمق الماء هناك لكن لبعده عن الميناء وتسلط الرياح على تلك الجهة عدل عنها الى المحل الذى عنده الترسانة الآن فعمقه حتى تمكنت السفن من الرسو هنالك بقرب البر وقبل حضور المهندس سريزى المذكور كان الرئيس على انشاء وعمارة السفن بتلك الميناء رجلا من الاهالين يسمى الحاج عمر وكان صاحب ادارة ومعرفة طبيعية واقدام على مثل هذه الاعمال مع الاصابة فلما حضر موسيو سريزى اتحد معه وساعده فى جميع أعماله وفى ظرف خمس سنين من ابتداء سنة ١٨٢٩ ميلادية تم جميع مواضع الترسانة مثل ورشة الحبالة المعروفة بالتبالة وورشة الحدادين والقلوع والسوارى والبصل والنظارات والمخازن وفى أثناء هذه الاعمال قد صار جلب كثير من شبان الاهالى من جميع المديريات لاجل تحصيل الكمية الكافية للقيام بلوازم المراكب وتعليمهم جميع ما تحتاج اليه السفن على أيدى معلمين من البلاد الخارجية فاختص كل جماعة بفرع من فروع مصالح المراكب حتى أتقنوها ونتج من تحت أيديهم فى زمن قليل سفن كثيرة حربية وغيرها اسع غاية الاتقان بحيث تضاهى سفن الجهات الخارجية فكان الحبالة مثلا يفتلون كفاية المراكب من الحبال المتقنة فى أقرب وقت وهكذا كل أهل فرع يعتنون به حتى يتم على أكمل وجه فاستغنت الحكومة المصرية بذلك بعض استغناء عن جلب السفن من البلاد الاجنبية الا أن جميع ما يلزم لانشاء المراكب وعمارتها مثل الحديد والنحاس والخشب كان يجلب من البلاد الاجنبية وبسبب أهميتها واحتياج الامر اليها كان أربابها يتغالون فى أثمانها جدا وليتها كانت من الانواع الجيدة بل كانت رديئة فان الخشب كان يأتى من الكرمانى وبلاد ايطاليا غير مستوف لشروط الانتفاع به فى مثل هذه الاعمال ولهذا كانت المراكب التى تصنع منه يسرع اليها التخريب وتحتاج للرم فى زمن قريب ومع كل ذلك لم تقف همة العزيز عن انشاء المراكب وكثيرا ما كان تجار المراكب يثبطونه عن انشائها ويبدون له ما لا مزيد عليه من الصعوبات وكثرة المصاريف ويدخلون عليه بكل حيلة ليصرفوه عن هذا العزم وذلك أنهم كانوا يربحون أرباحا كثيرة من بيعهم المراكب للحكومة المصرية مع أن المراكب التى كانت تشترى منهم مع ارتفاع أثمانها جدا كانت اما قديمة أو غير جيدة الصنعة فلم يلتفت الى تثبيطهم ولم تقعد همته بل ازدادت رغبته فى تلك الاشغال ورتب لها مجلسا أناط به جميع لوازم المراكب وجعل رئيسه موسيو سريزى المذكور وأنشأ مدرسة لتعليم صنعة السفن وما يتعلق بها وكان المشتغلون بانشاء المراكب وتعميرها اذ ذاك نحو ٨٠٠٠ نفس من الاهالين الذين تربوا على أيدى المعلمين من الافرنج وغيرهم وقد أتقن الصنعة منهم نحو ١٦٠٠ نفس فاستغنت بذلك الحكومة المصرية عن شراء المراكب من الخارج وكان المعين لها على هذا العزم موسيو سريزى فكان دائما يبدى له من محاسن تلك الاعمال ونتائجها ما يحمله على تمييزها واعراضه عن تثبيط المثبطين له عنها فلذا تعصب الافرنج على موسيو سريزى وضيقوا عليه ورموه بعين العداوة حتى ألجؤه الى الاستعفاء من تلك الوظيفة فعوفى منها ولحق ببلاده وقد بلغ ما أنشئ وعمر فى مدته وعلى يديه من السفن الحربية وخلافها وما تحمله كل سفينة على ما ذكره قولوط بيك فى تاريخه لمصر ما نبينه لك فنقول * (بيان السفن التى كانت موجودة تحت الحكومة المصرية وقت استعفاء سيريزى بيك انشاء وتعميرا) * وبيان ما تحمله

مطلب السفن الموجودة وقت استعفاء سيريزى بيك

من

مطلب فى بيان عدد السفن الحربية التى أنشأها العزيز محمد على

من المدافع والسفينة المسماة مصر تحمل ٩٨ مدفعا عكا جولة ٩٨ المحلة الكبيرة جولة ١٠٠ المنصورة ١٠٠ اسكندرية ١٠٠ أبوقير ٧٨ طنطا ٢٤ العزيزية ١٠ سفينة صغيرة للنزهة ٤ سفينة لرمى البنب ... سفينة لنقل الاخشاب ... بيلان ٨٦ حلب كانت بالورشة جولة ١٠٠ دمشق كانت بالورشة أيضا ١٠٠ وغير ذلك فرقطون جولة ٦٠ والسفن التى كانت محتاجة لكثرة العمارة وتأخذ زمنا طويلا هى البحيرة وأصلها من مرسيليا ٦٠ الجعفرية وأصلها من ليفورنه ٦٠ رشيد وهى من بنديك ٣٠ كابشيك وتم عملها فى لونبرة ٣٠ شبرجهاد وأصلها من ليفورنه ٦٠ الدمياطية ٢٤ واسطه جهاد من الجزائر أعطتها فرانسا ٢٨ جن بحرى أصلها من جنوا ٢٤ جهاد بيكر أصلها من جنوا أيضا ... فوة ... ومراكب أخر جولتها ٤٠ سمند جهاد من مرسيليا ... شبر جهاد من أمريكا ... بادى جهاد من أمريكا أيضا ... أربع مراكب أخر ... وجملة مراكب صغيرة وسفينة تجارية تسمى النيل وأنشأ أيضا مدرسة البحارة وجلب لها من شبان الاهالى ١٠٠٠ نفس وجعل رئيسها موسيو بسون بيك وبعد موته تولى ذلك موسيو حصار حتى حصلت بهم الكفاية فى تركيب الدونانمه اللازمة ولاجل تتميم جميع منافع الترسانة وتحصيل زيادة الأمن على السفن الصادرة والواردة أنشأ الفنار الموجود الآن برأس التين وعين له مظهر باشا فبناه على أحسن هندام وجعل ارتفاعه ستين مترا ونوره يشاهد من ثمانية فراسخ فى البحر فعمت منافعه وكثرت فوائده ولما كانت سفن الدونانمه وغيرها من المراكب لا تستغنى عن حوض فى الميناء لاجل

مطلب عمل الحوض

عمارة ما يحتاج منها الى العمارة لاسيما مينا الاسكندرية لكثرة توارد المراكب عليها اصدر أمره بعمل حوض فى ليمان تلك المدينة ولقلة المهندسين اذ ذاك بالديار المصرية عين لعمله شاكر افندى المتقدم ذكره فصار يعمل فيه أعمالا غير منتجة لانه فضلا عن عدم مهارته فى الاعمال الهندسية كانت أرض ذلك المحل رخوة يبلغ عمق رخاوتها نحو ستين قدما تحت استواء الماء فكان يعمل صناديق كبيرة من خشب ويملؤها بالبنيان ثم ينزلها فى الماء فى المحل الذى يلزم رميها به وهكذا واستمر على ذلك زمنا والعمل لا يتقدم وربما انقلبت الصناديق بما فيها وتحولت عن أماكنها حتى استوجب ذلك صرف كثير من الاموال بلا كبير فائدة فعين لذلك كلا من المرحوم مظهر باشا والمرحوم بهجت باشا وكانا قد قدما من بلاد أوربا وجعل ثالثهما البنان بيك وأمرهم بعقد مجلس للنظر فى ذلك وبعد عقد المجلس والنظر فيه عملوا قرارا مضمونه أن هذا العمل لا ينتج وعرضوه عليه وبعد مضى زمن أحضر موجيل بيك من بلاد فرانسا وناط به عمل ذلك الحوض فعمل أولا رسما وعرضه على العزيز فاستحسنه ثم شرع فى البناء فجعل يدق خوازيق فى محله بعد حفر الطين منه بالكراكات وكلما نزح موضعا ملأه بالخرصان وهكذا الى ان تم على وفق المرام وانتفع به الخاص والعام وهذا الحوض عبارة عن ناحية من البحر متسعة عميقة أو تعمق بالكراكات تختار بقرب البر وتحاط بالبناء المتين المصنوع من المواد الجيدة والمؤن الطيبة ويجعل طوله بحيث يسع أكبر سفينة فى البحر وعرضه بنسبة ذلك وله فم من جهة الماء يسد بباب بهيئة مخصوصة وتجعل فيه منافذ صغيرة تفتح وتقفل بحسب الحاجة فاذا أريد ادخال سفينة فيه للعمارة يفتح الباب فتدخل السفينة بسهولة ثم يسد فينزح الماء منه بواسطة وابور حتى يجف وبعد تمام العمارة يملأ الحوض ثانيا ويفتح الباب فتخرج السفينة وسيأتى لذلك مزيد بيان عند الكلام على الحوض الذى أنشأه حضرة الخديوى اسمعيل باشا هناك فجميع تلك الاعمال كان سببا لقوة السفن الحربية وكثرتها ولم تزل تكثر ويجلب لها من البلاد الخارجية ما يلزم لها من الاسلحة وخلافها حتى قويت الدونانمه المصرية وأحرزت ما كانت فاتتها به دونانمة الدولة العلية من العدد والعدد والمدد والتعليمات النافعة الغربية التى لم تسمع الديار المصرية بمثلها فى الاعصر الخالية وجعل موسيو بسون وبس أميرا عليها جميعها وأعطاه رتبة مير ألاى وكان قبل ذلك أحد ضباط الدونانمة الفرنساوية وحاصل أمره أنه كان سنة ١٨١٥ ميلادية فى مينا رشفور بسفينته حين كان نابليون بونابرت يريد الهروب من بلاد فرانسا فتعهد له أن يوصله الى بلاد الامريكا وقبل منه نابليون ذلك فاستعد بسون لهذا الامر ووضع فى سفينته جملة براميل فارغة مصفوفة بعضها بجوار بعض ليخفيه فيها فهيأ نابليون جميع ما يلزم لسفره وتواعد مع بسون على أن ينتظره بجزيرة اكس فلما اجتمع معه فى الميعاد وجده قد رجع عن العزم على السفر معه وأخبره أنه كتب الى أميرال الدولة الانكليزية أن يأخذه عنده ثم شاع خبر توافقه معه على اخفائه فخاف بسون عاقبة ذلك وقد حصل

بالفعل رفقته لهذا السبب فصار يشتغل بالتجارات والاسفار فى سفينة لزوجته الى أن حضر سنة ١٨٢٠ ميلادية بمدينة الاسكندرية وكان العزيز اذذاك مهتما بانشاء السفن فعرض له بطلب الخدامة والمفتشة تحت ظله فجعله ملاحظا للسفن الجارى انشاؤها فى بلاد أوربا ثم جعله قبطانا للفرقطون المسمى بالبحيرة الذى أنشئ بمرسيليا وكان به ٦٤ مدفعا ولم يزل يترقى الى أن أخذ رتبة البكوية ثم صار ميرألاى على الدونغة المصرية بتمامها ولما عدمت الدونغة الاصلية فى وقعة نورة ولم ينج منها الا القليل ركب العزيز دونغة أخرى من المراكب التى أنشئت بمينا الاسكندرية على أيدى أولاد الوطن مع ما بقى من الدونغة الاولى فكانت أعظم من الاولى قوة وترتيبا ومهابة وبيان السفن الحربية والمدافع والرجال التى تركبت منها الدونغة المصرية على ماذكره قولوط بيك فى هذا الجدول (الدونغة المصرية) مراكب كبيرة وعدد رجالها المحلة الكبيرة ١٠٣٤ رجلا المنصورة ١٠٣٤ اسكندرية ١٠٣٤ أبوقير ٧٣٦ مصر ١٠٩٧ عكا ١١٤٨ حمص ١٠٣٤ بيلان ٩٠٠ حلب ١٠٣٤ فيوم ١٠٣٤ بنى سويف ١٠٣٤ منوفية ٥٥٨ بحيرة ٥١٠ دمياط ٥١٠ مرجهاد ٤٧٠ رشيد ٥١٠ وابور النيل ١٥٢ خمس كورومت ٩٢٢ وخمس جوبليت عدد رجالها ٤٤٢ مركبان صغيرتان ٦٠ وخمس مراكب عدد رجالها ٣٩٠ مجموع العساكر البحرية المصرية ١٥٦٤٣ شغالة الترسانة باسكندرية ٤٠٧٦ المجموع ١٩٧١٩ والمدافع التى كانت بها وقتئذ ٣٦٤ مدفعا ومنصرف العساكر والرجال البحرية ٧٥٠٠٠٠٠ فرنك والمنصرف على المبانى العسكرية ١٨٧٥٠٠٠ والمنصرف على ترسانة بولاق ٤١٢٥٠٠ يكون المنصرف على الجميع ٩٧٨٧٥٠٠ ولاجل عدم اهمال جميع الاعمال وخلافها من العمائر النفيسة التى أبدتها فكرة العزيز بمدينة الاسكندرية مع محبته للاطلاع على الاخبار التى ترد من البلاد الخارجية ليحيط علما بأحوالها وأخبارها فيتمكن بذلك من القيام بمصالح الرعية وسياستها وتحصين جهات حكومته اتخذ تلك المدينة مركزا لاقامته فى غالب أوقاته فبنى برأس التين بجوار الترسانة ثلاث سرايات ثنتين على المينا الغربية احداهما للمسافرين والاخرى لدواوينه والثالثة لخاصته بجوار المينا الشرقية ولم يشغله ذلك عن مصالح الرعية بل لم يزل ساعيا فى جميع ما يصلح القطر وأهله حتى خاص الديار المصرية من الاشرار وعم الامن جميع جهاتها واستلزم ذلك كثرة وفود الاغراب على الديار المصرية بالبضائع وانتشروا فى جميع جهات القطر ونشروا بها معارفهم من الحرف والصنائع وعاد نفعهم على جميع أبناء الوطن ولم يزالوا آخذين فى الازدياد حتى كان الموجود منهم فى الديار المصرية سنة ١٨٤٠ من الميلاد ما تراه شوام ٥٠٠٠ نفس أروام رعية ٣٠٠٠ نفس أرمن ٢٠٠٠ أروام افرنج ٢٠٠٠ تليانيون ٢٠٠٠ مالطيه ١٠٠٠ فرانساوية ٨٠٠ انكليز ١٠٠ نمساوية ١٠٠ مسكوف ٣٠ اسبانيوليون ٢٠ سوميه وبلجيكية وهولانديه وسبانيه ١٠٠ وغيرهم الجميع ١٦١٥٠ وفى سنة ١٨٤٦ بلغ عددهم ٥٠٠٠٠ وفى سنة ١٨٧٠ بلغ ١٥٠٠٠٠ سيما وقد خصتهم العناية الداورية بالاكرام الزائد فاستوطنوا هذه الديار خصوصا مدينة الاسكندرية وبنوا بها المنازل الفاخرة والقصور المشيدة على هيآت قصور أوربا فقد أكثروا فيها من الشبابيك وركبوا عليها ألواح القزاز وغيرها وصبغوها بالالوان المفرحة ولما رأى أهل الاسكندرية ذلك ونفاسته تركوا ما كانوا عليه من الاوضاع القديمة وذلك ان جميع أبنية القطر كانت بأوضاع وهيآت غير ما هى عليه الآن فكانت المنازل العظيمة مشتملة على دور أرضى وفوقه دور أو دوران بناء بارز عن سمت الدور الارضى بمقادير مختلفة من ذراع الى ثلاثة أذرع وابهامتكآت ودعائم من الاحجار والاخشاب ولا يجعلون فيها شبابيك ولا يستعملون القزاز لقلة وجوده فى الديار المصرية حينئذ بسبب قلة توارد البضائع الخارجية فى تلك الازمان وانما يجعلون فيها مشربيات من الخرط ثابتة فى البناء ذات خروق ما بين صغيرة وكبيرة وبتلك المشربيات طاقات صغيرة مطلة على الحارات لها أبواب من الخشب تقفل وتفتح على حسب الحاجة وكانوا يتنافسون فى ذلك ويصرفون فيه مصاريف جسيمة ومنهم من ينقشها نقشا نفيسا مع انها كانت لا تقى من الحر ولا من البرد ولا من الاتربة بل كانت فى الصيف عرضة للرياح الحارة والاتربة الثائرة وفى الشتاء عرضة للبرد والمطر وربما أصيبوا بتلك المشربيات فى زمن الشتاء أو راقا فينسب عن ذلك امتناع الهواء عن المرور فى المساكن فتتولد من احتباسه عفونات ربما أضرت بأبدانهم وأبصارهم خصوصا

الدونغة المصرية

مطلب فى بيان هيئة الابنية التى كانت بالقطر المصرى قبل جلوس العزيز محمد على باشا على التخت

الفقراء الذين لا اعتناء لهم بشأن النظافة مع أن هذه الاوضاع الجديدة ربما كانت مع نفاستها وجلبها الاسباب الصحة
أقل كلفة ومصرفا من تلك الاوضاع القديمة فلذلك تجد أبنية اسكندرية الآن بل وغيرها من جميع مدن القطر
غالبها من الاوضاع الجديدة تضاهى الاوضاع الاورباوية بصور حسنة وشوارع معتدلة متسعة محفوفة من الجانبين
بشبابيك القزاز وغيرها وكانت منازل تلك المدينة جميعها قبل جلوس المرحوم محمد على باشا على تخت ديار مصر ما بين
المينا الشرقية والغربية فى أرض تعرف بالجزيرة فى مقابلة رأس التين خارج السور البحرى وجميع الارض المحددة
بشارع أبى وردة قبلى عمارة صفر باشا وعمارة شرين باشا الى أبى العباس والى رأس التين كان بعضها مدافن للموتى
وبعضها نقعا ولم يكن بها مساكن سوى بعض بيوت للصيادين ذات أبنية خفيفة كانت بالجهة المعروفة بالسيالة وكان
يتوصل من هناك الى برج قايتبيك وطابية الاطة فكانت حد تلك المدينة قبل ذلك من الجهة القبلية الحارة المعروفة
بحارة المغاربة قريبا من المكان المسمى الآن بميدان محمد على وكان فى خلال البلد فضاء وتلول واستمر ذلك الى سنة
١٢٥٢ هجرية ثم أذن للاهالى فى الفضاء الذى بين رأس التين وشارع أبى وردة وأبى العباس فبنوا فيه قصورا
ومنازل وفى ذلك الوقت كان مجلس التنظيم تحت رياسة الخواجة توسيس وكان متشكلا من بعض التجار والمهندس
منشنى وهو الذى رسم خرطة اسكندرية التى عليها العمل الآن وكان ما بين الاسوار خاليا من الابنية ليس فيه
الا الصهاريج وأربعة كفور مسكونة بخدمة البساتين التى بداخل تلك الاسوار وبرجال القلاع والابراج أحد
تلك الكفور عن شمال الداخل من باب شرقى والثانى فوق كوم الديماس والثالث قرب باب سدرة وهو باب عمود
السوارى والرابع هو المعروف الآن بالنجع وهو قريب من باب المحمودية ولما كثرت الرغبة فى العمارات وتزاحم الناس
على البناء فى أرض الجزيرة صدر أمر الداورى المفخم بتقسيم ما بين الاسوار على الراغبين وفى سنة ١٢٦٠ هجرية
* فتح شارع الباب الاخضر المار من شرقى الاستبالية الى المحمودية وهدمت لاجله جملة من المساكن ومن المحاسن
التى أخذ التنظيم فيها حقه الشارع العمومى والمنشية المشاهدة الآن بين باب رشيد ورأس التين فأما المنشية وبعض
الشارع فكان فضاء وأما بعضه الآخر فكان منازل اشتريت من أربابها وكان فى محل المنشية سوق تنزل فيه العرب
لبيع الاغنام والتمر السيوى والحطب والصوف والسمن وغير ذلك وكان يعرف بكوم الجلة وحده الشرقى الوكالة
المحروقة والبحرى وكالة المراكشى ووكالة الجمال الميرية ووكالة الصوف ومنزل الشيخ ابراهيم باشا والمنقعى ومن هذه
الاماكن الى الجهة الجنوب كان فضاء وبعض بساتين وأول ما أنشئ بالمنشية جامع الشيخ ابراهيم باشا ووكالة محرم بيك

مطلب ذكر تاريخ فتح الشارع الاخضر المار من شرقى الاستبالية الى المحمودية

التى تحتها الآن خان شاكولانى ثم بنى منزل ضانستاطى ومنزل جبارة وهو الآن فى ملك الخديوى وأما سوق الخضار
والجزارين الآن فهو محل حارة الجمال سابقا فرقه العزيز على بعض الامراء فبنوا فيه تلك الابنية والحوانيت الموجودة
الآن وأما مقابر الموتى فكانت داخل البلد خلال المساكن فكان يتصاعد منها روائح كريهة فنهى العزيز عن
الدفن فيها وأمر بجعل القبور خارج المدينة بعيدا عنها وهكذا كانت عادته فى جلب كل ما فيه نفع ودفع
كل ما فيه ضرر فكان عليه سحائب الرحمة لا يشغله بعض المصالح عن بعض ولا تتعطل فكرته فى أمر ما ولم يسمح
بمثله فى عصره فى اتساع دائرة أفكاره واصابة أنظاره ولذلك لما تراكمت عليه الحوادث فى مبدأ الامر اذ كانت المماليك
مستولية على القطر بصورة غير مرضية وكان الفساد قائما فى جميع بلاد القطر بالقتل والنهب وقطع الطريق
وغير ذلك مما أوجب اضمحلال الديار المصرية وجه همته العلية الى ذلك كله وأعمل فكرته وبذل جده واجتهاده
فيما تزيل به تلك الحوادث فمنها ما استعمل فيه الرفق واللين ومنها ما استعمل فيه بذل الاموال ومنها ما استعمل فيه القهر
والغلبة والسيف حتى تمكن من جميع أغراضه وأمن البلاد وخلص العباد من ربقة الاسترقاق وأجلى المماليك

مطلب القوة العسكرية

بالكلية من الديار المصرية فمنهم من قتل ومنهم من أخرج منها حيا ومنهم من أبقاه بها ضعيفا ذليلا * واحتفل من يومئذ
بجلب شبان الاهالى من جميع بلاد القطر ورتبهم عساكر حربية بحرية وبرية وجعلهم أصنافا مختلفة بتنظيمات
وتعليمات مقيدة وهكذا لم يزل الامر آخذا فى الازدياد حتى بلغت العساكر البرية المصرية سنة ١٨٣٩ ميلادية هكذا

ألاى غارديافى حص	١٣٧٢	ألاى ثانى طوبجية بياده	١٩٤٩
ألاى طوبجية بياده فى الاسكندرية	٢٣٤٩	ألاى طوبجية سوارى فى حص	٩٨٢

أربع بلوكات طوبجية متفرقة فى عكا	٣٣٧	ألاى سوارى غارديا	٧٩٦
أورطة طوبجية فى الحجاز	٣٧٩	ألاى زرخ	٨٤٤
ألايات بيادة غارديا	٨١٢٨	ومجموع عساكر تلك الالايات	١٧١٣٦

عساكر البيادة

٣٥	ألاى بياده ومجموع عساكرهم	٩٠٤٩٥	١٦	بلوك موزعه فى الاقاليم	١٦٧١
١٥	ألاى سوارى ومجموع عساكرهم	١٠١١٤	..	عساكر خفر بالقاهرة	٢٨٥
٤	أورط امدادية فى القاهرة	٣٩٨٠		عساكر جبهجية بمصر القديمة	١٨٥
٢	ألاى بلطجية فى عكا	٨١٢	١	ألاى مرعسكر	١١٥٢
١	أورطه مهندسين فى عدليب	٧٥٨	١	أورطه امدادية بطرابلس	١٦٤١
١	أورطه بلطجية فى الاسكندرية	٨٠٨	١	أورطه بدخجله	٨٥٥
١	بلوك لغمجية فى القاهرة	٩٤			

وفى بلاد الحجاز ٢ بلوكات من الامدادية ٢٠٠ ١ بلوك بالقربان ١٠٦

ومجموع العساكر المنتظمة الموجودة تحت السلاح خلاف		ودمياط ورشيد ومصر القديمة وبولاق	٤٧٨٠٠
الرديف على ماذكره قولوط بيك فى تاريخه لمصر	١٣٠٣٠٢	ومدرسة الطوبجية والسوارى والبيادة والبحرية	٠١٢٠٠
ومجموع العساكر الباش بوزوك	٤١٦٧٨	وهذا خلاف الورشجية وقدرهم	١٠٠٠٠
العرب وعساكر الرديف فى مصر واسكندرية	٠٠٠٠٠	ومجموع ذلك	٢٣٥٩٨٠

وبناء على ذلك تكون القوة العسكرية المصرية منتظمة وغير منتظمة كالآتى

عساكر منتظمة	١٣٠٣٠٢	الدونغة المصرية	١٩٥٣٩
عساكر غير منتظمة	٤١٦٧٨	دونغة الدولة العلية التى استولى عليها العزيز	
الرديف	٤٧٨٠٠	كاسياتى	٢١١٠٧
رجال الورش	١٠٠٠٠	ومجموعهما	٤٠٦٣٦
تلامذة المدارس الحربية	١٢٠٠	فاذا ضممناها الى العساكر البرية وهى	٢٣٥٩٨٠
فمجموع العساكر المصرية البرية	٢٣٥٩٨٠	كان الجميع	٢٧٦٦١٦

وبيان منصرف العساكر البرية سنة ١٨٣٣ على ماذكره قولوط بيك

منصرف المدارس العسكرية فرنك	٢٠٠,٠٠٠	مرتبات الخيول والبغال والجمال	٠,٣١٢,٠٠٠
منصرف العساكر البرية المنتظمة	١٥,٠٠٠,٠٠٠	يكون مصروف العساكر البرية	٠٢٣,٧٢٤,٠٠٠
ماهيات الذوات الفخام ورؤساء المصالح	٠٥,٠٠٠,٠٠٠	وتقدم ان مصروف العساكر البحرية	
ماهيات الخيالة الباش بزوك	٠٠,٨١٢,٠٠٠	والمين	٠٠٩,٧٨٧,٥٠٠
ماهيات العرب	٠٠,٦٥٠,٠٠٠	يكون مصروف جميع القوة العسكرية	٣٣,٥١١,٥٠٠
مصروف المهمات الحربية	٠١,٧٥٠,٠٠٠		

ومع ذلك كانت له التفاتة تامة لعمل الاستحكامات اللازمة حتى أحضر لها من الممالك الفرنساوية موسيو جاليس أحد المهندسين الحربيين المهرة ورقاه الى رتبة البكوية فلما حضر أخذ فى اختبار الارض من جميع نواحى المدينة وضواحيها وجميع السواحل المصرية ثم عين مواضع الاستحكامات والحصون اللازمة فأسست على ماهى عليه الآن واحضر لها المدافع والآلات اللازمة ورتبت لها العساكر الكافية والمعاون بالقوانين المقررة المدونة فحصنت بذلك الديار المصرية وازدادت قوتها أضعافا حتى قاومت الدولة العلية بل انتصرت العساكر المصرية على العساكر

التركية

التركية مرارا في وقعات سارت بها أوراق الحوادث وتخلدت في الدفاتر والتواريخ عند جميع الملل بل في بعض الوقعات قد استولى العزيز على دونمة الدولة العلية ودخلت تحت طاعته وكانت اذذاك تحت قيادة أحمد باشا فوزى وكانت عدد سفنها ورجالها ماهو مذكور في هذا الجدول

		عدد رجالها
٩	مراكب كبيرة	٩٤٤٣
١١	فرقطين	٦٠٤٠
٥	ربتيات	٦٢٤

	عدد رجالها
وهذا خلاف ألآيين عساكر قدرهم	٥٠٠٠
اليكون	٢١١٠٧

فاذا ضممتها الى الدونمة المصرية يكون الجميع ٦٣٦٠٤ فاذا ضم الجميع الى العساكر البرية المتقدم بيانها ٢٣٥٩٨ كان الجميع ٢٧٦٦١٦ وكل ذلك قد تجدد في الديار المصرية في مدة يسيرة بعد جلوس العزيز على تختها فاكتسبت بذلك قوة يمكنها ان تقاوم بها من عداها من الدول ولذلك اضطروا الى معاهدة الدولة العلية ليأمنوا بذلك من صولة الديار المصرية وانما ذكرناهنا ما يتعلق بالقوة العسكرية لتعرف أنها كغيرها من غرس فكرة العزيز وسعة دائرة عقله وعلو همته ويظهر لك الفرق بين الحالة التى انتقلت اليها الديار المصرية في أيامه من العمران والثروة والقوة حتى رجعت الى حالتها الاولى التى كانت عليها زمن البطالسة ومؤسسها الذى تسمت باسمه وبين الحالة التى كانت عليها قبل جلوس هذا العزيز على تختها فانها كانت في غاية من الضعف وقلة من العدد والعدد حتى ان فئة قليلة من الافرنج استولت عليها في ثمانية وعشرين يوما رغما عن حكامها وقتئذ وذلك انه حين استيلاء الفرنسيس على جزيرة مالطة كما نقل عن قولوط بيك كان موسيو روسيتى قنصلا للدولة النمساوية وغيرها بالديار المصرية فتوجه الى مراد بيك حاكم مصر اذذاك وأخبره أن الفرنساوية استولوا على جزيرة مالطة ولا يبعد أن يقصدوا الديار المصرية فلم يعبأ بخبره بل استهزأ وقال كيف نخاف من هؤلاء الرعاع الذين لا فرق بينهم وبين الواقفين على أبوابنا وان فرض وصولهم لارض نا فمماليك الخزنة وحدهم يكفوننا المؤنة ويقطعون دابرهم فحاول القنصل روسيتى صرفه عن هذا الرأى فلم يزدد الا استهزاء وسخرية ثم أمر بارسال قنطارين من البارود الى الاسكندرية احتياطا فلم يمض الا القليل حتى جاء الفرنسيس فدخلوها فلما بلغه ذلك أمر باحضار موسيو روسيتى وطلب منه أن يكتب من عنده للفرنسيس بالخروج من هذه الديار فقال له روسيتى هم لم يحضروا اليها باذنى حتى يخرجوا منها باذنى فان كان ولا بد فارسل اليهم مع المكتوب خمسين ألف فرنك حتى يرتحلوا فانظر كيف كان حال امراء تلك الايام وعدم استعمالهم للعزم والتدبير بالنسبة الى ذلك العزيز الذى قمع الاشرار وحمى هذه الديار وجيش الجيوش ووجهها الى الاقطار الخارجية مثل جزيرة مورة وجزيرة العرب وأرض السودان أليس ذلك باعثا لجميع أهل الديار المصرية على ادامة الدعاء له بتخليد دواته ودولة أنجاله وكان مما من الله به عليه أنه لا يقتصر على الاعمال الكبيرة بل كانت جميع موجبات الثروة والتقدم تشغل فكره فانه أحدث في البلاد طرقا متسعة وشوارع معتدلة وجعل قوانين لتنظيم المبانى سيما الاسكندرية فانه فتح بها عدة شوارع متسعة وبنى باب رشيد للمرور بحارة النصارى ومحلات التجار لاغراض حسنة وفى خارجها عدل طرقا كثيرة وغرس بجوانبها أشجارا على أوضاع فائقة وكان له التفاتات تامة الى ما يوجب رواج الفلاحة وأنواع الصنائع والمتاجر حتى تجدد في عهده بيوت كثيرة تجارية لاهل الوطن وغيرهم فان العلائق التجارية صارت مرتبطة بينه مع سائر الدول فنشأ بالاسكندرية تسعة بيوت للفرنساوية وسبعة للانكليز وتسعة للنمساوية وثمانية لاهل بلاد التسكار وبيتان للسردينيا وواحد لبلاد سويد وواحد للهند وواحد لبروسيا وستة لعمد تجار الاهالى وكذلك حدثت مراكز كثيرة بالقاهرة وغيرها من المدن والبنادر ومن ذلك احتفاله بأمر الزراعة الصيفية وغيرها سيما زراعة القطن فانها سبب كبير في زيادة ثروة الاهالى ومن أكبر دواعى الاكتساب الباعثة على بذل الهمة في تحصيل الحرف والصنائع فتح باب تغيير الهيآت في الابنية والملابس والرفاهية فانه افتتح

مطلب في دخول الفرنساوية في الاسكندرية

مطلب عدد بيوت التجارة التى انشئت بالاسكندرية في عهد العزيز محمد على

بابا المصرف كان مقفلا من قبل وبالجملة فمحاسن العائلة المحمدية لا تحصى وعوائد فوائدها لا تستقصى فمنها تربية أولاد الوطن بالمكاتب والمدارس والسعى فى كل ما فيه للرعية فائدة كعمل الترع والخلجان والجسور حتى اتسعت أرض الزراعة وصلح زرعها وكثرت العلوم والمعارف فى أولاد الوطن الذين تربوا تحت ظله وحفهم بعنايته حتى قاموا بمصالح القطر واستغنى بهم عن غيرهم كما هو جل قصده بتلك الغراسة فهم غرس فكرته وأولاد نعمته وكل ذلك مما يحمل أبناء الوطن على ادامة الدعاء له ولا نجاله حيث اقتفوا أثره فى آرائه وأفعاله * ولنورد لك بيان قدر ما كان يتحصل من جمرك الاسكندرية وغيرها من الثغور المصرية فى مبدا أخذ العزيز بزمام أحكام تلك الديار ثم ما كان يتحصل فى آخر أيامه السعيدة لتعلم ما حصل بهمته لهذا الفرع وتقيس عليه غيره من باقى فروع الثروة فى الديار المصرية فنقول كانت محلات الجمرك فى تلك الديار فى زمن المماليك والفرانساوية هى القصير ومصر القديمة والقاهرة وبولاق والسويس ودمياط ورشيد والاسكندرية فأما جمرك القصير فكان متروكا لحكام الجهات القبلية وأما جمرك باقى الجهات فكان بين ابراهيم بيك ومراد بيك وبقى الامر على ذلك مدة ثم بعد ذلك اقتسما تلك الجهات خوفا من حصول النزاع بينهما فاختص مراد بيك بجمرك القاهرة وبولاق ومصر القديمة ورشيد ودمياط والاسكندرية وأما ابراهيم بيك فاختص بجمرك السويس فقط وكان يجعل من طرفه عمالا يحصلون الجمرك بخلاف مراد بيك فانه أعطى جمارك الثغور الاربعة التى خصته لاربعة من الملتزمين وجعل على كل منهم شيأ معينا يؤديه اليه فى أوقاته والملتزمون جعلوا من تحتهم عمالا وكتبة فى كل ثغر على حسب الوارد قلة وكثرة فكان فى ثغر دمياط ثمانية من الكتبة وخمسون من العمال وفى رشيد ثلاثة من الكتبة وعشرون عاملا وفى الاسكندرية اثناعشر كاتبا وستون عاملا وفى بولاق ومصر القديمة ستة من الكتبة وأربعون عاملا فالجملة تسعة وعشرون كاتبا ومائة وسبعة وستون عاملا وكانت مرتباتهم تدفع لهم من طرف الملتزمين فى كل سنة على هذا الوجه بولاق ٢٤٠٠ ريالا بطاقة دمياط ٤٠٠٠ رشيد ١٠٠٠ اسكندرية ٤٠٠٠ منها مربوط الكاتب كل يوم من ٦٠ الى ٣٠٠ نصف فضة ومربوطه كل سنة ٣٧٠ بطاقة ويكون مرتب هذه الوظيفة كل سنة ٢١،١٧٠ ومربوط العامل كل يوم ٤٥ نصف فضة ومربوطه كل سنة ½ ١٨٢ بطاقة ومرتب الجميع فى السنة ٣١٠٢٥ فيكون مرتب المصلحة فى السنة ٦٥٥٩٥ بطاقة وكان مرتب الالتزام الذى يدفع الى مراد بيك فى كل شهر ٢١٠٠٠ وفى كل سنة ٢٥٢٠٠٠ فيكون الجميع ٣١٥٥٩٥ ولا يخلو الحال على حسب العادة من تداخل الخدمة والكتبة فى الجمرك بالاختلاس واخفاء بعض المتحصل فيصل المبلغ تقريبا الى ٤٨٠٠٠٠ بطاقة يكون ما يخص الشهر ٤٠٠٠٠ بطاقة وهذا ما كان يدفع من طرف الملتزمين وقت دخول الفرانساوية الى مراد بيك فى التزام الثغور الاربعة وحيث ان المنصرف للخدمة من طرف الملتزم يقرب من الثمن فان فرض أن ما كان يصرفه فى الهدايا والرشا مثل ذلك أيضا يكون المنصرف من طرفه كل سنة ١٢٠٠٠٠ يضاف اليه مرتب الالتزام ٢٥٢٠٠٠ فيكون الجميع ٣٧٢٠٠٠ ويكون الباقى من ٤٨٠٠٠٠ هو ١٠٨٠٠٠ وهو أرباح الملتزم بعد المصاريف وهذا المبلغ يعادل ٢٣٤٠٠٠ فرنك تقريبا وأما المتحصل من جمرك السويس فهو ٤٠٩٣٦٥ بطاقة وهو قريب من المتحصل من الثغور الاربعة المذكورة وبالضرورة هو لا يحتاج لمصرف قدر ما تحتاجه الثغور الاربعة من ماهيات الكتبة والعمال ولذلك كانت أرباح ابراهيم بيك تزيد كثيرا عن أرباح مراد بيك وبناء على هذا الذى تبين لك يمكن تقدير جمرك الديار المصرية على هذا الوجه المشروح كما ترى الثغور الاربعة ٤٨٠٠٠٠ السويس ٤٠٩٣٦٥ القصير ١١٠٦٥٥ الجملة ١٠٠٠٠٢٠ وهو عبارة عن ثلاثة ملايين فرنك من ضمنها جميع المصاريف وأرباح الملتزمين وقد علم من الكشف المبين للمتحصل من هذا الفرع زمن الحكومة الفرانساوية أن متحصل جمرك الاسكندرية من ابتداء سنة ١٢٠١ هجرية الى سنة ١٢١٠ يعنى فى مدة عشر سنين هو ١٣٧٦٠٩٨ بطاقة ومجموع المصاريف فى هذه المدة هو ٣٤٠٤٠٤ فالباقى لجهة الخزينة بعد المصاريف هو ١٠٣٥٦٩٤ بطاقة فنتج أن المتحصل السنوى هو ٣٢٢٨٧٢٠ فرنك وهو عبارة عن ستة عشر ألف بنتووكسور وهى متحصل جمرك الاسكندرية فى سنة ١٢١٠ هجرية وبالضرورة هو الذى كان يتحصل حين جلوس

العزيز على تخت الديار المصرية وكان الريال البطاقة اذذاك عبارة عن تسعين نصف فضة وكان القرش ثلاثين نصف فضة وبعد أن تمهدت الامور وانتظمت الاحوال زاد المتحصل أضعافا حتى بلغ بعد انعقاد الصلح سنة ١٨٤١ ميلادية قريبا من الثمانمائة ألف جنيه أعنى نحوا من تسعة عشر ضعفا مما كان أولا وما ذاك الا من تدبير العزيز واتساع دائرة الامنية التى أوجبت اتساع دائرة التجارة وكثرة توارد الاغراب بمحصولات الاقطار الخارجية ومن أعظم أسباب ذلك ما حصل من مساعدة الفلاحين على فلاحة الاراضى مع اجراء الطرق المصلحة للارض كالترع والجسور فازدادت محصولات الزراعة واتسعت الارض الصالحة لها حتى زادت المحصولات عن كفاية القطر وانتفعت الاهالى ببيع الزائد لاهل الاقطار الخارجية فأورثهم ذلك رفاهية وتحسينا في الهيآت والمساكن والمراكب وراجت التجارات الداخلية والخارجية كما يعلم ذلك من الجدول الآتى الدال على قيم المحصولات الواردة على الديار المصرية من ثغر الاسكندرية والمحصولات الخارجة عنها الى الديار الاوروباوية وغيرها من ابتداء سنة ١٨٢٣ الى ١٨٤٢ ميلادية

وهـــــذا هو الجدول

سنة ميلادية	قيمة الوارد بالقرش	قيمة الصادر بالقرش
١٨٢٣	٠٨٠٤٥١٩٧٥	١٥٨٤٧٦٤٦٠
١٨٢٤	١١٩٥٢٠٩٧٥	٢٤٣١٦٧٧٥٠
١٨٢٥	....	١١٥٥٦٦٤٣٠
١٨٢٦	....	٠٨٠٨٥٥٩١٠
١٨٢٧	....	٠٨٥٣٨٣٤٠٠
١٨٢٨	....	٠٣٠١٥٩١٥٠
....	....	....
١٨٣٤	٠٨٢٤٥٤٠٢٥	٠٨٥٨٠٦١٨٥
١٨٣٥	١٠٢٤١١١٤٥	١٣٦٧٠٢٢٦٠
١٨٣٦	١٣٠١٣٨٤٣٠	١٧٦٢٠٧٠٨٠
١٨٣٧	....	....
١٨٣٨	٣٨٠.......	....
١٨٣٩	٣٠٣.......	....
١٨٤٠	....	....
١٨٤١	١٧٠٦١٢٠٠٠	١٥٤٠٨٠٠٠٠
١٨٤٢	٢٤٧٠٩٢٠٠٠	١٨٠٦٨٨٠٠٠

فمن هذا الجدول يعلم أن حركة التجارة من ابتداء استيلاء العزيز على تلك الديار كانت كل سنة فى ازدياد وفى مدة تسع عشرة سنة تضاعف الصادر والوارد جدا وبعد ان بلغت قيمة الصادر والوارد فى سنة ١٨٢٣ ميلادية ٢٣٨٩٢٨٤٣٥ قرشا صاغا وهو قريب من أربعمائة وثمانين ألف كيسة صارت تبلغ فى سنة ١٨٤٢ ميلادية ٤٢٧٧٨٠٠٠٠ وهو قريب من ثمانمائة وستين ألف كيسة وهذا أدل دليل على علو همته وسعيه فى مصالح الرعية فكان عليه الرحمة رحمة عامة لهذا القطر (الكلام على الاسكندرية فى زمن العزيز ابراهيم باشا) لم تزل هذه المدينة حين جلوس العزيز ابراهيم باشا على تخت الديار المصرية آخذة فى السير فى طرق التقدمات والشهرة والقوة بسبب ما أخذ دوره همه فيها والده العزيز محمد على باشا من المحاسن التى تقدم ذكر بعضها فلما جلس هذا العزيز على كرسيها زاد فرحها وابتهاجها لما كانت تؤمله فيه من بلوغها على يديه أوج السعادة وتمام الشهرة اللذين مهدهما لها بحروبه ونصراته ومغاناته للشدائد من شبيبته الى مشيبه حتى حصلت على يديه فتوحات كثيرة واكتسب هذا القطر بسببه هيبة عند جميع الممالك فهو فى الحقيقة مشارك للمؤسس الاصلى فى تقدم هذه الديار وان كانت مدة حكمه قصيرة لا تزيد على سبعة أشهر فانه عليه سحائب الرحمة تولى هذه الديار بطريق الوكالة عن والده فى ربيع الآخر سنة ١٢٦٤ وفى رمضان من تلك السنة توجه الى الاستانة فخلع عليه الملك زمان الاصالة ورجع متوليا

الكلام على الاسكندرية فى زمن ابراهيم باشا

على التخت وقد اشتغل بمجرد استيلائه بأمور مهمة فى اسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكميل طوابى اسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه فى عهد العزيز والده وشحنها بالعسكر والاسلحة والآلات ومرّ بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه ورتب لبغازى رشيد ودمياط بمعرفة جلس بيك جميع ما يلزم لحفظ الثغور من الطوابى والآلات والعساكر وهكذا استحكامات القناطر الخيرية وترعتى العطف وأبى حماد وبرنبال والعريش والسويس والقصير وما يلزم لحفظ الآبار والعيون التى بطرق تلك الجهات وأمر فى ثغر اسكندرية بانشاء مائتين وخمسين شولو باطوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البغازات والملاحات وكان عازما على تخطيط سكة تبتدئ من اسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة وعلى ترتيب ضابطان أركان حرب وكان له التفاتة تامة لتنظيم القوة العسكرية فجدد أورط المهندسين الحربية والكوبرجية وأحضر لذلك رجالا من الدولة الفرنساوية فكان هو أول مؤسس لهذا الأمر المهم فان الجيوش لا تستغنى عن ذلك عند سيرها داخل القطر وخارجه لتعدية البحور والانهار والخلجان سيما عند مزاحمة العدو وكان موجها همته لتحصيل ما به التربية العامة والاسباب الصحية وسلك ذلك بالفعل فى سلك التنظيم من جملة أعمال خيرية بجميع الوطن لكن لم تمهله الايام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه وتوفى الى رحمة الله تعالى فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هلالية عوض الله أبناء الوطن فيه خيرا فمدة جلوسه على التخت وان كانت قليلة فى الحس لكنها كثيرة فى المعنى بما نالته اسكندرية وغيرها من آثار همته ولو طالت به الايام لنالت على يديه ما كانت تؤمله وزيادة ولكن قد عوضنا الله تعالى أضعاف ما فاتنا منه بأن أوجد لنا من ولده لصلبه حضرة الجناب الخديوى اسمعيل باشا فقد حصل لنا على يديه ما أزال أسفنا وحزننا فانا بحول الله وقوته وعناية هذا الجناب فضلا عن حوزنا لجميع ما قصده المؤسس الاصلى قد وصلنا الآن الى درجة من التقدم لم تكن لدولة من الدول المشرقية ولا يبعد أننا نناظر بها الدولة الاوروباوية فانه بارض مصر الآن جميع نتائج الاختراعات النافعة العلمية والعملية المستعملة على الوجه الارجح فى تنمية الارزاق وما من أحد من أهل القطر والطارئين الا وقد أخذ بحظ من ذلك وكلهم شاهدون له مثنون عليه وعلى آبائه وأبنائه (الكلام على الاسكندرية فى زمن المرحوم عباس باشا) كان جلوسه رحمه الله على تخت الديار المصرية فى سنة ١٢٦٤ هجرية ومن ذلك الحين الى أن توفى الى رحمة الله تعالى لم يغير السير السياسى الذى كان رسمه جده وعمه من قبله لسياسة هذه الديار بل سار فى هذا الطريق بقلبه وقالبه لانه كان لا يرى وجها للعدول عنه الى غيره لما اشتمل عليه من المنافع والفوائد الجمة للقطر وأهله وقد نشأ عن هذا السير التقدم فى التجارة والثروة فى الاسكندرية وغيرها من بلاد القطر ومن محافظته على القوانين الموضوعة لرواج الفلاحة نما محصولها ومن جودته كثرت الرغبة فى الفلاحة حتى من الامراء والاعيان فزرعت أراضى كثيرة من الاراضى المتروكة واتسع زمام القطر ودائرة الرزق وسرى بشير الثروة فى نواحى القطر فعم القاصى والدانى وكان رحمه الله لا يكثر من الاقامة بالاسكندرية الا انه كان مهتما بشأنها لما كان يعلمه من أهميتها وعظم موقعها من هذا القطر فشملها بعنايته واجتهد فى تتميم ما شرع فيه زمن جده وعمه رحمهما الله تعالى وبنى برأس التين سراية أعدها للاقامة ومجالس التجار وصمم على عمل خمسة ميادين فيها لتكون فى زمن الهدنة محلا للتفسح والالعاب وفى زمن الحرب مجتمعا للعساكر لتوجيهها الى محل اقتضائها وصدرت أوامره بفتح شارع مستقيم يقسم مدينة الاسكندرية نصفين من باب شرق الى باب المحمودية على أن يكون هو الشارع العمومى واشترى جميع ما بجانبه من الاملاك وفتح منه بالفعل جزأ عظيما من باب شرق الى جنينة جرجس حزام وبعد وفاته صرف عنه النظر فانعم به المرحوم سعيد باشا على الاهالى فبنوا به المنازل والخانات المشهورة الآن وجدد فى المنشية عمارة جسيمة فى محل سبيل قديم من زمن العرب وكانت هذه العمارة تعرف بالالهامية نسبة الى ابنه الهامى باشا فلما توفى الهامى بيعت من ضمن متروكاته بخمسين ألف جنيه سوى التى اشتراها التاجر انطونيادس الرومى وهى على ملكه الى الآن واعتنى اعتناء زائدا بتنظيم القوة العسكرية فادخل فى ترتيب الالايات نوع تغييرات منها انه جعل الالاى الواحد خمسة آلاف عسكرى

أعنى قدر ألايين مما كان قبل ونظم العساكر الهجانة وأورطتين مهندسين وكان تعليمهم بواسطة الصف ضابطان الذين كان طلبهم المرحوم ابراهيم باشا من بلاد فرانسا لهذا الغرض فحضروا ومعهم جميع الآلات والادوات وأنشئت بمعرفتهم ستون مركبا لتعليمهم كيفية تعدية الانهار والخلجان وكيفية عمل الالغام والحيل العسكرية فنشأ من ذلك ما انتفع به القطر ومن ضمن الضابطان موقى بيك رئيس الاستحكامات زمن المرحوم سعيد باشا وديبرنوزى بيك وباكية باش مأمور ورشة الحوض المرصود وكانت رتبته باشجاويش وكان مما وجه همته اليه زيادة على غيره تقييم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارسمه رئيس هندسة الاستحكامات جليس بيك ووافقه عليه ذو الدراية والخبرة وأقره الخديوى فأقام معظم حصونها وأضاف اليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ومن ذلك قلعة مقابر اليهود وقلعة أبى قير وقلعة العجمى مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها فانشأ فى قلعة مقابر اليهود جبخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قنطار من البارود وهى الى الآن مستعملة فى حفظ البارود وعمل فى قلعة أبى قير مخبزا وطواحين تدور بالهواء واسبتاليا لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وماجاورها من القلاع فكانت العساكر المقيمة فى تلك الجهات لاتحتاج لشىء يأتى من الخارج ولم يزل ملتفتا الى الاستحكامات والقلاع والحصون عازما على اتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاسبتاليات وغير ذلك حتى انتظم أكثر القلاع التى كان جدده وعمه مهتمين بها وبنيت ورشة الطوبجية فى وسط المدينة فى شرقى المحل المعروف بكوم الناصورة طولها مائتا متر فى مثلها عرضا مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحدادة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن مايعمل من هذا القبيل وعمل بها عدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا وأمر ببيع أرضها للاهالى فبنيت منازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هلندى وأنشئت القشلاقات داخل الطوابى فمن ذلك قشلاق فى طابية الاداء لاقامة خمسمائة عسكرى وقشلاق فى قلعة أم كبيبة كذلك وقشلاق فوق باب الصورى المعروف بباب محرم بيك لاقامة أورطة من العساكر ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة الى الرمل مرت فى وسط القشلاق فقسمته نصفين والآن به عساكر محافظة الضبطية وبنى الاسبتاليا الملكية فى حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوبتره ووفاها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل بها أجزاخانة وبيتا لتركيب الادوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الامراض والعلل ورتب لها حكماء وجراحية فجاءت من أحسن الاسبتاليات وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الاهالى والغرباء للتداوى بدون مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا والآن عمل من فيض المكارم الخديوية اسبتاليا عوضا عنها فى محل قريب منها ولاجل الوقوف على مااشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية أمر باستكشاف ماحوله حيث كان لذلك دخل فى المحافظة فكشف سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش ومنها الى مطروح وكشف بحيرة مريوط الى حدود المزارع من مديرية البحيرة والى حدود الارض المرتفعة من جهة وادى النطرون وسيوة وجميع الجزائر التى بالبحيرة وعمل لكل ذلك رسوم وظهرت الآثار والسواقى القديمة المكشوفة وغيرها والآبار والرؤس والمين والمرتفع والمنخفض من الارض والطرق التى كانت تصل الى الاسكندرية من كل جهة واهتم أيضا بكشف الصهاريج التى بداخل الاسكندرية وخارجها وماتشتمل عليه وقدر ماتسعه من الماء والمجارى التى توصل الماء اليها وصار التنبيه على أصحاب الاملاك أن لايتلفوا اشياء من ذلك ولايتصرفوا فيه وجعل لذلك قوانين معمولا بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فنشأ عن بطلانها تصرف أصحاب الاملاك فى كثير منها بالنقض والهدم وحيث كان الماء من أهم لوازم المبنا ولايستغنى عنه زمنا ما لاسيما وفرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر صدرت أوامره السنية بعدم التعرض للصهاريج بوجه ما والرجوع الى تلك القوانين فامتنع الناس من هدمها ولايخفى أهمية ذلك فان تلك الصهاريج مبنية من قرون عديدة ولاشك أنها صرفت فيها اموال جسيمة وهى من الآثار القديمة التى تنوه التاريخ بقدرها وأهميتها

مطلب استكشاف عن السواحل

بالنسبة لهذه المدينة لبعدها عن النيل والماء الواصل اليها من الخليج يمر في وسط بحائر ملحة ومخططة وفي أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان المدينة منه فيقع أهلها في الضرر وتفارقها العمارية مع أنها مفتاح القطر فلم يكن أهم مما يوصل الى عماريتها وراحة أهلها ومن ذلك كشف المسالك الموصلة اليها ومعرفة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من لوازم الحياة كالمياه العذبة والمراعى وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع الاعداء فكل ذلك معرفته مهمة في وقت السلم لينتفع به عند حصول ضده فهذا هو ملحظه رحمه الله وملحظ المؤسس الاصلى وملحظ سر عسكر جزاهم الله عن الوطن خيرا ومن هذا الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل سكة عسكرية من طابية القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة من جهة الغرب ووادى سيوه وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة لعدم انتظام المسالك فكانوا تارة يتبعون في سيرهم الجبل وتارة الارض الغربية مع كثرة الصعود والهبوط المستلزم لطول المسافة وكثرة المشاق ومنها معرفة الحد بين قطر مصر وايالة تونس وكان قبل ذلك مبهما فزال ابهامه وعين ما بينه وبين الاسكندرية من المحطات المعروفة عند العرب يحطون فيها في أسفارهم وقد رسم ذلك كله في خرط الاستحكامات حتى لا تتطرق اليه شبهة فيما بعد وقد نشأ من هذا التعيين الجزم بان المحطة المعروفة بالمطروح هى حد ما بين الاقطار المصرية وايالة طرابلس والمحطة المذكورة مرسى للمراكب على البحر الملح بينها وبين اسكندرية مسافة مائة وعشرين ميلا الى جهة بحرى وبقى الامر على ذلك الى زمن الخديوى ثم اتضح أن الحد الحقيق هو ناحية السلوم بحرى أسكندرية بمائتين وخمسة وعشرين ميلا فبينها وبين المطروح مائة وخمسة أميال وهذا بيان المحطات المذكورة

مطلب بيان المحطات التي بين الاسكندرية وايالة طرابلس

وبيان أبعادها الى جهة بحرى بالميل فمن أبى صير وهى قلعة قديمة بها اشارة جديدة الى المحل المعروف بالعميد وفيه الآن فنار وضع في زمن الخديوى ٣٠ ميلا ومن فنار العميد الى المحل المعروف باسم سيدى عبد الرحمن وهو محل قديم خرب ٢٠ ومن سيدى عبد الرحمن الى تنوب وهى قرية قديمة خربة ١٠ ومن تنوب الى المحل المعروف باسم جيمة وهو مرسى المراكب المعتاد ٨ ومن جيمة الى المحل المعروف باسم ابى جراب وهو محطة عرب ٩ ومن أبى جراب الى المحل المعروف برأس العقيلى وهو محل منقطع ٦ ومن رأس العقيلى الى المحل المعروف برأس الكناس وهو مينا لرسو المراكب الكبيرة ١٢ ومن رأس الكناس الى مطروح وهو محل اجتماع التجار الواردين من الغرب وبه قبيلة من العرب ٣٥ ومن مطروح الى محل يعرف بجرجوب وهو محل خرب ٣٠ ومن جرجوب الى السلوم التى هى الحد بين مصر وايالة طرابلس ٧٥ وفى هذه الايام صار الشروع في استخراج صنف السفنج من البحر من ابتداء أبى صير لغاية السلوم وذلك بمعرفة ملتزم التزمه من الحكومة على شروط مقررة بمدة عشر سنين أولها سنة ١٢٩١ هجرية ولما كثرت الافرنج والاغراب في مدينة الاسكندرية واستوطنوها واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها رغبوا في سكنى الرمل وهى قرية شرقى المدينة بينها وبين أبى قير وأكثروا من شراء الاملاك في هذا المحل لقلة ثمن الارض هنالك اذ ذاك فتيقظت الحكومة لذلك لما لتلك الجهات من الاهمية لوقوعها في المناطق العسكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه الاراضى وبيان ما بقى وما لم يبن منها ومنعت التصرف في أراضى الرمل وغيرها الا باذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع في هذه الامور وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب المرحوم في اتخاذه معسكرا تجتمع فيه العساكر في المناورات وغيرها وأمر بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته لم يتم ذلك وقد اشترى الافرنج بالحيلة والخداع كثيرا من تلك الارض وشيدت به قصورا ومنازل وغرست فيه بساتين حتى أشبه الآن المدينة كما سنذكره ولم تكن همته عليه سحائب الرحمة قاصرة على الامور العسكرية بل كانت أيضا متوجهة

مطلب قسمة الفضاء

الى ما يوجب رفاهية لاهل ولايته فقسم الفضاء الذى في مينا البصل ومينا الشراقوه بين اهل المدينة فبنوها مخازن لتلقى البضائع المصرية والمشرقية فراج كثير منهم من هذه العطايا الوافرة وبعد أن كانت هذه الجهة من الضواحى القليلة القيمة لا يرغب فيها الا القليل من الخلق صارت بما لحقها من عناية العائلة المحمدية رفيعة القيمة ذات ابنية

مشيدة

مشيدة ومركزا لعموم تجارات القطر ولم تزل الى الآن على هذا الحال اقربها من الميناء الغربية وساحل المحمودية فتقف عندها المراكب الواردة من جهات القطر والخارجة من هويس المحمودية فيتأتى هنالك تفريغ بضائع القطر وشحن البضائع المسافرة الى البلاد الخارجية وقبل وجود السكة الحديد كانت قد بلغت من الاهمية مالا يمكن وصفه فكانت المراكب بها لكثرتها كأنها كبرى يمكن المرور من فوقها من شاطئ المحمودية الى الشاطئ الآخر وكانت تمتد في الجانبين بعيدا عن أماكن الشحن والتفريغ نحو ألف متر وهي الآن بعد وجود السكة الحديد وان لم تكن بهذا الوصف لكنها دائما مشحونة بمراكب الشحن والتفريغ ضرورة ازدياد ثروة الديار المصرية في زمن الخديوي عما كانت عليه في الازمان السابقة بسبب التفاته الى موجبات سعادة الوطن ولما كان قد ترتب على انصباب ترعة المحمودية في الميناء خلل الهويس الذي بها ورسوب الطمي في كثير من مواضعها وقلة عمق الماء في تلك المواضع وعدم امكان تقريب السفن من البرصة صدرت الاوامر باصلاح الهويس وتوسعته وتطهير فم الترعة والميناء لتتمكن جميع المراكب النيلية من اغراضها بسهولة ولذلك صار جلب الماء العذب من المجاري الى سيف البحر في الميناء لتأخذ المراكب المياه بسهولة وهي المستعملة الى الآن مع غاية النفع وتطهير الترعة جميعها ايضا لان الطمي الذي كان بها مع كثرة المزروعات التي تسقى منها كان موجبا لتعسر مرور المراكب بها في كثير من الاوقات وكانت المراكب كثيرا ما تقسم حمولتها على مراكب صغيرة في طريقها فبهذه العناية زال هذا المانع عن التجار وجعل امام الجمرك القديم الذي أنشئ في زمن العزيز عمارة متسعة لاقامة الخدمة وتخزين البضائع * ولزيادة اعتنائه بأمر التجارة بنى قصرا في ناحية العطف وكان يقيم فيه أحيانا لحصول اهتمام المستخدمين في اصلاح الترعة حتى استقامت أحوالها وسهل مرور التجارة ومع اقامته في هذه الجهة أو غيرها كجهة رشيد كان لا يغفل عن مصالح مدينة اسكندرية * ومن اعتنائه بها أمره بعمارة البلاد الخمسة الواقعة شرقيها وترغيبه في زراعة أرضها لينتفع أهل المدينة بما تنتجه تلك الارض من المحصولات وكان بقرب هذه البلاد بحائر فأصلح كثيرا من أرضها وكذلك أصلح أراضي بحيرة مربوط قبلي المحمودية وذلك أنه أنعم به على الراغبين بشرط اصلاحه وزرعه فتناول الناس من الافرنج والامراء واهل المدينة والقرى واجتهد كل في زرع أرضه أصناف المزروعات ماعدا الاشجار الكبيرة على حسب ماتجدد في قوانين الاستحكامات فانصلح بذلك أغلب الاراضي المشاهدة في جانبي السكة الحديد والمحمودية ولما ذاق أربابها حلاوة أرباح محصولاتها من الخضراوات والفواكه اجتهدوا في خدمتها حتى صارت من أجود الاراضي بحيث لا يرضى أحد من أربابها ببيع الفدان الواحد بعشرين ألف قرش ميرية مع أنها في الاصل لا قيمة لها وكذلك القرى الخمسة وهي قرية الحضرة وهي عبارة عن أربعة كفور صغيرة متقاربة بجوار التلول التي بين رشيد وقرية الرمل ومنها قرية الرمل وهي معروفة وبها الآن سرايات الجناب الخديوي ومنها قرية السيوف شرقي قرية الرمل وسكة الحديد الجاري عملها الآن الذاهبة الى رشيد وأبي قير المارة في أراضي القرية المذكورة ومنها قرية المندرة شرقي قرية السيوف وبحري سكة الحديد وهذه القرى الآن على غاية من العمارة لا تخلو أرضها من الزرع فيزرع بها من أنواع الخضراوات والفواكه أصناف كثيرة من الحبوب والبرسيم وبها بساتين كثيرة وكان أهل هذه القرى في الزمن السابق قد ارتحلوا عنها لضيق الحال بهم ككثير من أهل البلاد المصرية ولما جاد الله على هذا القطر بايجاد العزيز وبدت منه أعلام الشفقة والرحمة أخذ الناس في العود الى اوطانهم فتوطنوها واشتغلوا باصلاح أراضيهم وزرعها حتى صارت الى ماعلمت وسكنها كثير من أصحاب الحرف والصنائع لما رأوا بها من كثرة الارباح بسبب مجاورتهم لمدينة اسكندرية التي انتقلت عما كانت عليه في سالف الازمان وكثرت بها الاعمال والعمال في المصالح الميرية والدوائر السنية ودوائر العائلة والامراء والاعيان والتجار حتى بلغ عدد المحترفين بتلك المدينة خمس تعداد أهلها كما يعلم مما سيأتي وهذا يدل على علو شأنها في الثروة وزيادتها على مدن الاقطار المشرقية ومعادلتها المدن الديار الاوروباوية مع الازدياد كل سنة حتى ان من رآها في سنة ثم رآها في السنة التي تليها يرى اتساع مساحتها من كل جهة وانتقالها في التقدم انتقالا كبيرا في الابنية والمتاجر والاوضاع الجديدة الجميلة والرونق

مطلب عمارة البلاد الخمسة

وهكذا فى كل سنة وكان قد صمم على عمل ترعة يكون فمها من المحمودية تجاه الرمل بجوار ترعة بفوص ومصرفها فى وسط أبى قير فيما بين قلعة كوم الشوشة القديمة والقلعة التوفيقية الجديدة ولكنها لم تعمل فى زمنه وحيث ان اهانا أثيرا فى خصوبة تلك الاراضى واحياء كثير من أراضى البحيرة توجهت الهمم الخديوية لانشائها وعما قليل يصير الشروع فيها بمشيئة الله تعالى وتكون من المآثر الخديوية التى يتحلى بها جيد الديار المصرية وما تجدد بهمة المرحوم عباس باشا وان كان كله نافعا الا أن أنفعه وأهمه السكة الحديد فان ذلك مما يستوجب تخليد ذكر العائلة المحمدية لما لها من الفوائد التى لا تحصرها الاقلام ولا تحيط بها الاوهام وغاية ما يدرك الوهم أنها قوة عظيمة بخارية أوجدها الانسان بفكره ومعارفه ابتغاء أوج السعادة وتمكنه من حظوظ وغايات فى عمره القصير كان لا يمكنه ادراكها ولو بلغ من العمر ألوفا من السنين كيف وهى تقطع مسافة عشرة أيام فى أقل من يوم مع جرها نحو مائة عربة محملة بالاحمال الثقيلة والالوف المؤلفة من الآدميين وغيرهم مع السهولة وعدم حصول أدنى مشقة أو ضرر ومع قلة الاجرة والمصرف بخلاف ما كان عليه الانسان قبلها من عدم تحصيل الاغراض مع اقتحام ما لا مزيد عليه من المشاق وكثرة المصرف فى عشر معشار أغراضه فجزاه الله خيرا عن هذه الاقطار بل وجميع الاقطار المشرقية لان منافع هذا الاثر سارية فى جميع الجهات المجاورة لمصر حتى الصحارى والبرارى الشاسعة وبه أمن المسافرون من كثير من الآفات التى كانت تعرض لهم برا وبحرا فتذيقهم الآلام وتطول عليهم الايام وربما دمرت أعمالهم وأتلفتهم وأتلفت أموالهم ثم ان هذا الاثر وان كان أول ظهوره أيام المرحوم عباس باشا لانه هو الذى أنشأه ومد الفرع الطوالى من مصر الى اسكندرية لكن لا يخفى انه كان قد حصل من الانكليز مفاتحة العزيز محمد على باشا فى عمل سكة حديد بهذا الوضع سنة ١٨٣٧ ميلادية بعد اتمام سكة حديد ليوربول من بلادهم لكن كان مطلوبهم مدها من القاهرة الى السويس فقط لتسهيل نقل البضائع الهندية المارة بمصر الى بلاد أوروبا فأجابهم العزيز لذلك لعلمه بما يصل الى القطر من منافعها وربط الكلام مع أحد بيوت تجار الانكليز بجلب ما يلزم لذلك من الخشب والآلات وأحضر بالفعل نحو النصف منها الا انه فى اثناء ذلك طرأت موانع عطلت اتمام هذا المشروع فاستعملت القضبان التى جلبت فى سكة حديد أنشئت فى ناحية طرا بين الجبل والبحر لنقل الحجارة والدبش للقناطر الخيرية واستمرت التجارة الانكليزية على عادتها من حملها من السويس الى مصر على الجمال ثم تحمل فى المراكب الى اسكندرية ثم تنقل الى مراكب البحر الرومى الى بلاد أوروبا وكانت ادارة ذلك منوطة بالانكليز فكان يحصل فى كثير من الاوقات دعاوى تضطر الحكومة الى فصلها فرأى العزيز أن احالة ادارتها على طرف الحكومة المصرية أرجح لها فعملت مع الكبانية الشرقية شروط جرى العمل على مقتضاها فى نقل البضائع والسر بالحكومة ✽ ورتبت لها مصلحة عرفت بمصلحة البزابرت وجعل لها دار ادارة فى السويس ومثلها فى مصر وفى اسكندرية ورتب لها ما يلزم على أتم وجه من الاشخاص والحيوانات والعربات وبقى الامر على ذلك الى زمن المرحوم عباس باشا فتكرر من الحكومة الانكليزية طلب عمل سكة الحديد وكان الوقت مساعدا ولم تكن الموانع التى كانت زمن العزيز موجودة لان دولة فرانسا هى التى كانت تعارض الانكليز فانتهز الانكليز الفرصة وتحصلوا من الباب العالى على فرمان التصريح بالعمل ولكن كان غرضهم قاصرا على عملها من مصر الى السويس وهذا خلاف غرض المرحوم عباس باشا لان السكة على رأيهم تكون قاصرة على المرور فى الصحراء الشرقية ولا تتبع البلاد وهذا ليس فيه كبير فائدة وأما هو فكان مرغوبه ان تمد أولا من اسكندرية الى القاهرة فى وسط البلاد ثم من القاهرة الى السويس فحصل التراضى على ذلك وعقدت الشروط مع المهندس الماهر استيفنسون على تعيين مهندسين انكليزيين من طرفه لعمل الجسر وتركيب القضبان فى نظير خمسين ألف جنيه يأخذونها من الحكومة دفعة واحدة فحضروا وانضم اليهم جملة من مهندسى الحكومة وشرع فى العمل والذى تم من ذلك قبل وفاة المرحوم عباس باشا هو نحو من ٧٠ ميلا ولم يهمل خلفاؤه هذا الأمر الجليل بل اعتنوا به وحفوه بعنايتهم حتى صار من الامور التى أوسعت ادارة انتفاع الاهالى والحكومة وتمت ارتباط القطر المصرى بجميع اقطار الدنيا وجلبت

مطلب مصلحة البزابرت

مطلب السعى فى عمل السكة الحديد

اليه

الكلام على الاسكندرية فى زمن الخديوى اسمعيل باشا

اليه خيراتها كما كانت السبب فى نقل خيرات مصر الى جميع أنحاء الارض وجعلت مصر كعبة تحجها الناس من البلاد البعيدة والقريبة وقد تكلمنا فى الفصل الثالث من هذا الجزء على جميع ماتم من السكك الحديدية فلينظر هنالك

(اسكندرية فى زمن الخديوى اسمعيل باشا) اعلم أن مدينة اسكندرية وان كانت بلغت من العز والثروة وحسن الرونق مابلغت لكن لايخفى على ذى بصيرة ماحصل فى عصرنا هذا من التقدم فى العلوم والمعارف اذ مامن يوم الا ويحصل فيه اختراعات جديدة وأشياء مفيدة لم تكن من قبل ولما لم يكن ذلك خافيا على فطنة الخديوى وذكائه احتفل بتوسعة دائرة ثروة القطر وتمدينه فن مبدا جلوسه على تخت الديار المصرية وذلك فى ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ هجرية موافقة لسنة ١٨٦٣ ميلادية أخذ يفكر فيما يعود نفعه على الاهالى ويزيد فى رفاهيتهم فرأى ان أس ثروة هذا القطر اغناه ونشر ألوية الامن فاعمل فى ذلك جده واجتهاده حتى وصل الى الغرض المطلوب وانتقل القطر بما اكتسبه من الافكار العلية عن جميع أحواله الاولية الى ماهو أحسن منها كما هو مشاهد فن ذلك تمكين العلائق بين أهل هذه الديار وما جاورها من البلاد المتمدنة حتى هرع اليها كثير من الاغراب ورغبوا فى الاقامة بها ونشر معارفهم وعلومهم فيها ولم يقصروا اسكناهم على اسكندرية بل سكنوا سائر مدن القطر وانتشروا فى جميع قراه كما يظهر ذلك من الجدول المستخرج من كتاب الاحصا آت المصرية لسنة ١٨٧٢ ميلادية وهو هذا أغراب متوطنون بالاسكندرية ٤٧٣١٦ أغراب متوطنون بالقاهرة ١٩١٢٠ أغراب متوطنون بالوجه البحرى ١٣٢٦٠ الجميع ٧٩٦٩٦ ويظهر من هذا الجدول ان مزية الانتفاع بالاغراب لم تكن قاصرة على بعض القطر بل كانت عامة فى جميع نواحيه عائدة على طوائف أهاليه ولاشك أن هذه المنقبة ليست الا للحضرة الخديوية فانها هى التى مهدت طرق هذا الغرس وهيأت مابه نجاحه فكان ذلك من جملة دواعى زيادة رغبة الدول المتحابة فى تمكين العلائق بينها وبين مصر ونشأ عن ذلك شهرة الديار المصرية حتى طار صيتها فى جميع الآفاق وانعقد على فضلها الاتفاق وحيث كان من أسباب هذه السعادة ما أحدثته الهمم الخديوية والافكار الاسماعيلية مما يضيق الوقت عن ضبطه واحصائه ويعجز القلم عن تقييد بعضه فضلا عن استقصائه فمن الواجب أن نتكلم على المهم منها فنقول

الفصل الاول فى اسكندرية

(الفصل الاول فى اسكندرية) قد علم مما سبق ان مدينة اسكندرية كانت لم تزل كل سنة تزيد فى العمارة ولما جلس الخديوى على التخت كان قد بلغ تعداد أهلها قريبا من مائة وسبعين ألف نفس وبسبب ضيق أرضها على سكانها كان قد ابتدأ كثير من الناس فى آخر زمن المرحوم سعيد باشا فى السكنى جهة الرمل الواقع فيما بين اسكندرية وأبى قير فرخص لبعض الناس فى بناء منازل خارج الاسوار فى المناطق العسكرية التى كان الناس لذلك الوقت ممنوعين من البناء بها على حسب القوانين العسكرية المقررة من زمن المرحوم محمد على باشا فاتسعت المدينة وكثر سكانها حتى بلغ عددهم سنة ١٨٧٢ ميلادية ٢١٢٠٤٣ نفسا من ضمنها ٤٧٣١٦ أغراب من ملل مختلفة ومن كثرة الراغبين فى سكناها مع زيادة الثروة ارتفعت قيمة الارض داخل المدينة وخارجها حتى بلغت قيمة الذراع الواحد فى داخل البلد جنيها ونصفا وقد كانت حين جلوس العزيز محمد على باشا على التخت لاتزيد فى تلك الجهات عن عشرة فضة فاين هذا من ذلك وفى دائر المنشيه بلغت قيمة الذراع الآن أربعة جنيهات بعد أن كانت لاتزيد عن ثلاثين نصف فضة وهكذا الفرق فى خارجها فقد بيعت فى الزمان السابق ضيعة فوق المحمودية تسمى غيط غربال بثمانين كيسة ثم فى سنة ١٢٨٤ هجرية أرادت الدائرة السنية شراءها بعشرة آلاف جنيه فأبى مالكها فانظر الفرق وكذلك التلول التى كانت لاقيمة لها صار الآن بعضها يباع ذراعه بثلاثة فرنكات وبعضها باكثر ولم تزل القيمة تتزايد والرغبات تقوى والخلق تكثر وعما قليل تتصل مبانيها بمبانى المحمودية مع امتدادها الى ناحية الرمل وأبى قير فهذه المدينة فوق ساحل البحر أول شاهد للعائلة المحمدية سيما الحضرة الخديوية باستحقاق الثناء وتخليد الذكر فان كل من شاهد محاسنها التى هى عليها الآن وتذكر الحالة التى كانت عليها قبل نطقت جميع جوارحه بشكر تلك الشجرة المباركة التى استضاء بها جميع الوطن سيما تلك المدينة وكيف لا وقد كانت تجردت قبل هذه العائلة عن محاسنها وعرت عن العلم واهله فكان لايرى بها الا بعض وعاظ فى شهر رمضان والشهرين قبله الى أن بنى الشيخ ابراهيم باشا جامعه

سنة ١٢٤٠ فاخذ العلم فى الظهور والانتشار بسبب شمول مرحمة العزيز جميع أهله وجعل يتسع باتساع الرزق حتى صار يدرس فى أكثر مساجدها مثل مسجد سيدى أبى العباس المرسى ومسجد البوصيرى فى جميع فصول السنة وكذلك لم يكن بها من المتاجر الاشئ قليل فكانت اماكن البيع منحصرة فيما حول جامع الشيخ ابراهيم باشا فى دكاكين لاتزيد عن خمسة عشر دكانا وكذلك اليهود الصيارفة كانوا قليلين محصورين فى حارتهم المعروفة بهم فى مساكن من ضمن رباع الاهالى وكان الغريب لايجد من يأويه و لامكانا يطمئن فيه بخلاف ماهى عليه الآن فقد زفت هى وسائر جهات الوطن فى حال السعادة وكثرت بها المتاجر والحوانيت والخانات ووصلت الى مايتعسر حصره وكثرت بها بنوك الافرنج التجارية وهذا بخلاف عدد وافر منهم صيارفة يتجرون فى النقود وبخلاف عدد آخر منتصبين لشراء محصولات القطر وجلب البضائع الخارجية وفى كل يوم تتجدد بها البنوك ويرد اليها الاغراب من كل جهة وقد أحصى مايذبح بسلخانة تلك المدينة كل سنة من بهيمة الانعام فى لوازم الاكل فوجد ١٠٠٩٩٦ بهيمة منها الاغنام ٢٧١٥٧ شاة ومنها من صنف البقر ١١٦١٢ مع انها كانت قبل العائلة المحمدية ليس بها من الجزارين غير اثنين فى حارة المغاربة وكان أكثر أهل الميسرة يشتركون فى شاة يقتسمونها بينهم فهذا الفرع وحده من أكبر أدلة الثروة وقد كثرت بها أيضا اللوكندات حتى صار الغريب يتخير لنفسه ماشاء مع الامن على النفس والمال ومن آثار الثروة انك ترى الناس فى كل موضع من المدينة فى حركة مشاة وركبانا لافرق بين ليل ونهار بسبب الغازات الحافة بجوانب الطرق والشوارع ذات السعة والاعتدال مع كثرة العربات المعدة للركوب على رؤس الشوارع والميادين ومنها الذاهبة والآتية على خيول كانها الرياح المرسلة على هيآت مختلفة فى المحاسن والدرجات وقد أحصى ماوجد منها فى هذه المدينة فوجد كما ترى عربات الركوب المختصة باربابها ١٣٨ مزدوجة ٨٦ مفردة ٨ هنتور ٣٤٦ عربات ركوب بالاجرة عربات كارلو لنقل البضائع ٣٤٧ مزدوجة ١٨٧ مفردة ٥ عربات أوس ٣ عربات لرش المياه ١٧ عربات جير ٢٩٤ عربات صندوق فجميع ذلك من عربات الركوب وخلافه ١٤٣١ هذا كله خلاف عربات العائلة المحمدية وتوابعها وخلاف عربات الافرنج ومعلوم ان أس هذه الثروة ونماها هو المرحوم محمد على باشا المؤسس الاصلى وبلوغ أوجها ونماها بالعناية الخديوية فانه عالج فيها من أسباب التنعمات انساها البؤس والخشونة التى كانت عليها فى الاعصر الخالية فلم يبق سببا يستوجب تمدن اهل وطنه ورفاهيتهم الاوجه اليه همته وحصله ومن ذلك التفاته الى الطرق والشوارع فقد كانت لاتفى بالمقصود منها من تسهيل المرور بالمتاجر وخلافها وكانت غير مبلطة ففى الشتاء تراها كثيرة الوحل بسبب المطر وفى الصيف كانت كثيرة الاتربة وكان ذلك يضر بالمارين والسكان فصدرت أوامره السنية بفتح عدة شوارع وحارات أهمها شارع ابراهيم الممتد من مدرسة البنات الى ترعة المحمودية وطوله ١٠٠٠ متر فى عرض ٢٤ مترا فتح جميعه فى التاريخ وعمل أولا بالدبش والدقشوم وجعل فى جانبيه طريقان للمشاة وترك وسطه للعربات والحيوانات وبعد ما استعمل كذلك زمنا تبينت ضرورة تبليطه فحصل ذلك سنة ١٢٩١ ثم شارع الجمرك الممتد من حارة الشمرلى الى شارع الشمرلى العمومى وطوله ٢٠٠ متر فى عرض ١٠ أمتار ثم شارع تصدير الغلال وشارع تصدير الاقطان وقد صار تبليط هذه الثلاثة شوارع وفتح ستة شوارع جديدة ممتدة بين سكة باب شرق وسكة العسكرية المارة حول سور المدينة طول كل واحد منها ٦٠٠ متر وصار تبليط بعضها وقد جدد اهل المدينة حولها أبنية فاخرة ولم تزل هممهم قوية فى التجديد حولها ثم صار تبليط الجهات المهمة العامة مثل الترسانة والجمرك والطريق الموصل بينهما وبين محطة السكة الحديد وعدة حارات وشوارع ومينة البصل ومينا الشراقوه والمنشية وميدان محطة السكة الحديد وقد بلغ مساحة ماتم من ذلك لغاية سنة ١٢٨٧ هلالية الموافقة سنة ١٨٧٠ ميلادية ١١٦٦٨٨ مترا مربعا وهذا خلاف ماصار تبليطه على ذمة الدائرة السنية وماصار تبليطه أيضا فى جهة الجمرك والترسانة وشارع العطارين وشارع المسلة والآن جار التبليط فى شوارع أخر وعملية التبليط هذه قد جعلت بالمقاولة والبلاط المستعمل فيها مجلوب من جهة ترسته وهو من الحجر الصلد الذى بلونه زرقة وطول البلاطة الواحدة قريب من ذراع معمارى وعرضها على النصف من طولها وسمكها يقرب من نصف العرض وقيمة المتر المسطح بعد وضعه فى الارض من ١٨ الى ٢٠ فرنكا ولما كان

مطلب بيان عدد مايذبح كل سنة بسلخانة اسكندرية • مطلب عدد العربات المعدة للاجرة وغيرها • مطلب شوارع اسكندرية وما بلط منها وما سيبلط بعد ذلك

صرف مياه الامطار ونحوها من أهم الامور وأمر بعمل المجارى تحت الشوارع والطرقات وقد عين لجميع ذلك مهندسين وحكما وبمعرفتهم جاءت الشوارع والمجارى على أحسن وضع وقد بلغ طول المجارى التى بنيت بالمدينة تحت الحارات والشوارع لغاية سنة ١٢٨٧ هلالية ١١٩٠١ مترو وقد وضع فى المنشية تمثال المرحوم محمد على باشا المصنوع من التوج فى البلاد الاوروباوية على قاعدة من الرخام وصرف عليه قريب من ٢٠٠٠٠٠٠ من الفرنكات ودواما ينظره المارون ويترحمون على غارس التمدن فى الديار المصرية ويدعون للحضرة الخديوية التى لم تال جهدا فى تنمية هذا الغرس ولاجل توسعة دائرة العمارية قد أعطيت للمتطالبين من لدن المكارم الخديوية قطع من الفضاء والتلول خارج المدينة وصرح لهم بالبناء فيها فكثرت المبانى حولها وجعل فيها من أول الشروع فى عمارتها عشرة شوارع فى أحسن وضع يقرب طول الواحد منها من ١٥٠٠ متر فى ١٢ مترا وتحلى دائر المدينة بالبساتين النضرة وصار من يغدو للنزهة فى تلك الجهات يرى ما يسره ويشرح صدره ثم مما زاد فى تحسين دائرها وتنمية فوائدها وتكثير محلات النزهة الرخصة التى أعطيت لشركة من الافرنج رأس مالها ٨٠٠٠٠٠ فرنك بانشاء وابور على المحمودية لتوصيل المياه الحلوة الى جهة الرمل وماجاورها فان هذا الامر كان سببا فى بناء المنازل والحوانيت بعيدا عن تلك المدينة فاتسعت بذلك مساحة العمران وفى أقرب وقت صار ما حدث من الابنية جهة الرمل يشبه مدينة قائمة ما بين ناحية أبى قير وثغر الاسكندرية بما حوته من الانتظام والرونق والبهجة فى منازلها وقصورها الجهة وشوارعها وحوانيتها المشتملة على نفائس التجارات بعد أن كانت هذه البقعة عبارة عن كثبان من الرمل وأرض غير منتفع بها وما كان يزرع منها الا القليل وبعد أن كان الغيط الذى سعته ثمانية أفدنة أو تسعة أو عشرة لا يزيد حكره عن ثلاثة قروش صار الآن أرضا لا يباع منها الا بالذراع والمتر من ريال الى نصف بنتو وما ذاك الا لكونها صارت من أعمر الاماكن لسكنى المعتبرين من التجار والامراء بها وبها البساتين المشتملة على جميع أنواع الاشجار والازهار والرياحين وقد بلغ عدد سكانها الذين يقيمون بها فى وقت الصيف قريبا من ٧٠٠٠ نفس وفى وقت الشتاء على نحو النصف من ذلك وأول من اشترى فى الرمل الخواجا سينيباقانه اشترى من ملاك عائلة أبى شال وكان لهم أرض متسعة جانبا عظيما بمبلغ ٦٠ كيسة والآن قد اشترت منه الحكومة شريطا من الارض لوضع السكة الحديد عليه ودفعت فى قيمة المتر ٥ فرنكات ونصفا فعلى ذلك تكون قيمة الفدان الواحد ٢٣١٠٠ فرنك ومما زاد فى الرغبة فيها وأكد أمر السكنى بها احداث السكة الحديد بينها وبين المدينة الاصلية فانها سهلت على الناس الانتقال منها اليها وبالعكس فى كل أوقات السنة لا ينقطع التردد اليها ومن يقيم بها من الاغراب يجد جميع ما تطلبه نفسه خصوصا اللوكاندة التى أحدثت هناك فان بها كل ما يلزم مع الراحة والامن وفى الرمل ناد تجتمع فيه الناس يومى السبت والاحد من كل اسبوع ويشنفون مسامعهم بسماع الالحان والاصوات الحسنة وبها أيضا ثلاث كنائس واحدة للكاثوليكيين وواحدة للاروام وواحدة للامريكيين ومن المدارس ثلاثة لتربية الصبيان واحدة على ذمة الاروام وأخرى للفرنساوية وأخرى للتليانيين وفى كل ساعة يقوم من اسكندرية قطر الى الرمل وفى كل نصف ساعة يقوم قطر من الرمل الى اسكندرية وفى كل قطر عمال من طرف البوستة لنقل المكاتيب وأوراق الحوادث وغيرها وأجرة الركاب بحسب الدرجات فعلى من يركب فى عربات الدرجة الاولى خمسة قروش ومن يركب الدرجة الثانية أربعة قروش ومن يركب الدرجة الثالثة ثلاثة قروش ومما أكد الرغبة فى سكنى جهة الرمل ما أحدثه الخديو من المبانى هناك بقصد اقامته واقامة الفاميلية فى فصل الصيف فانه نشأ عن ذلك فتح شارع عظيم فى وسط التلول المقابلة لباب رشيد وأوله باب رشيد وينتهى الى حدود الملاحة باول أطيان قرية المندرة ويمر بسراى الرمل الخديوية وطوله من باب شرق الى السرايا ٤٠٠٠ متر فى عرض ١٢ مترا ومن السرايا الى الملاحة ٤٠٠٠ متر فى عرض ٨ أمتار وقد غرس فى جانبيه الاشجار المظللة وعمل طريق من الملاحة الى ترعة المحمودية أوله من الرمل وطوله ٢٠٠٠ متر وعرضه ١٠ أمتار فقربت بذلك المسافات فى المدينة ولواحتها وسهلت على الراكب والماشى وزاد الامن وزالت الوحشة بما رتب فى الطريق من البسط العسكرية وزيادة الخفر وتنظيف الطرق والمسالك القاطعة لهذا الشارع والمتفرعة منه الى ما حول المدينة وشاطئ المحمودية ومن الاعمال الجليلة تجفيف جزء عظيم من البحيرة قريب

مطلب تمثال محمد على باشا وما صرف عليه من الفرنكات مطلب ما أنعم به الخديو اسمعيل من الفضاء خارج اسكندرية وما أنشئ فيه من المبانى وغيرها مطلب الشارع الذى أوله باب رشيد وآخره حدود الملاحة

من تلك الجهة لتزول العفونة وتقل الرطوبة وتتسع أرض المزارع التى حول الاسكندرية وتتجدد بساتين وحدائق تزيد فى رونق المدينة وبهجتها وتكثر بها ميادين النزهة وبعد تمام هذه الاعمال لو جعل جزء البحيرة العميقة القريبة من الطريق الموصل الى المحمودية بحيرة وغرس حولها شجر لصار هذا الموضع من أحسن المتنزهات وأظن ان مايصرف على ذلك يستعوض باضعافه عما يتحصل من قيمة الارض التى تستجد به لان الرغبة فيها حينئذ ربما تزيد عن الرغبة فى سكنى الرمل لاشتمالها على الماء والخضرة والسمك على اختلاف أنواعه مع القرب من المدينة ولتوسيع دائرة الفسحة حصل التصريح من لدن المكارم الخديوية بجعل جنينة بسرايته التى بقرب سراية نمرة ٣ سكن الجناب الفخم ولى العهد وقتئذ وهو الآن مولانا الخديو المعظم سعادة محمد توفيق باشا متنزها عاما زيادة على المتنزهات الاخر مثل جنينة لابيروز وجنينة التشريفاتى والمحمودية وغيرها بحيث يتنزه فيها فى جميع أيام الاسبوع ورتب لها موسيقى تحضر اليها فى جميع الايام وجعل لها من يقوم بلوازمها من الخدم والنظار وربط لها من النقود مايفى بلوازمها فقابل الناس ذلك الصنع الجليل بالثناء الجميل فتراهم فى أوقات الاجتماع يهرعون اليه أفواجا من سائر الطوائف ويرتعون فى فضائه والحائه ويستنشقون بطيب هوائه حيث كان احسن بساتين المحمودية وأوسعها والذى أنشأه فى الاصل الخواجا بسترية ثم اشتراه منه الجناب الخديوى فمن هذه الاعمال الجليلة وامثالها صارت مدينة الاسكندرية مزينة الظاهر والباطن فانه مايسرح الانسان طرفه لا يرى الاما يسر ناظره ويشرح خاطره ففى داخلها تشاهد المبانى الفاخرة والمساجد العامرة والدواوين المعدة للنظر فى مصالح الرعية العمومية كديوان الحقانية الذى تم تنظيمه بالهمم الخديوية فى سنة ١٢٩٢ هجرية والضبطية وديوان المحافظة ومجلس التجار ومجلس الابلو ومجلس الصحة وغيرها وفى جانبى كل شارع وفى الميادين يتعجب من كثرة البضائع واختلاف أجناسها واصنافها مما يحث الناظر على ادامة الثناء على العائلة المحمدية حيث بذلت همتها فى احيائها كانت فقدته مدينة اسكندر الاكبر من الشهرة ومما يحمل على زيادة الثناء مايشاهد خارج البلد على شاطئ المحمودية من العمارات والبساتين الفائقة فى محل الارض القحلة السبخة التى كانت فى عهد قريب بعضها مغمور بمياه البحائر المالحة وبعضها تلول مع مافى ذلك من الاضرار بالصحة فسطت على ذلك كله الهمم الخديوية فحولته الى النفع المحض وكما حصل احتفال الهمم الخديوية بتلك المدينة بما ذكرنا بعضه من الاعمال الجميلة والعمائر الجليلة كذلك احتفلت بجميع السواحل المصرية لاسيما سواحل الاسكندرية فاصبحت تبدى للناظرين مايبهر العقول من مبانى المدافع والاسلحة المانعة فترى فى كل موضع من تلك السواحل ما يناسبه من ذلك على حسب التقدمات الوقتية والتجديدات العصرية فدائما ترى الحضرة شاملة بانظارها جميع أهل القطر بجلب مايسر ودفع مايضر لا يعوقه أمر عن أمر حتى صار المستظل بساحته يجد مايستعين به على السعى فى طلب رزقه آمنا على نفسه مطمئنا على أهله قد رفع أكف الضراعة والدعاء للحضرة الخديوية واسلافه ونسله بتخليد دولتهم وتأييد صولتهم وبالجملة فآثره أشهر من ان تذكر ومبتكرات أفكاره لا تحصى ولا تحصر شعر

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

ثم ان هذه المدينة من حيث الضبط والربط تنقسم الى ثمانية اثمان فى كل ثمن معاون من طرف الضبطية للنظر فى الدعاوى وغيرها وآخر للنظافة وحفظ دواعى الصحة العامة ولكل ثمن قاق به العساكر الكافية وشيخ ثمن من الاهالى لاجراء الرسوم السياسية وتنفيذ مقتضيات الاحوال ومن حيث المساكن وأهلها الى قسمين القسم الاول منهما يشتمل على جميع مساكن الاهلين وهو ما بين الغرب والشمال الغربى وينقسم هذا القسم الى قسمين أحدهما وهو ما بين الميناءين غالب حاراته ومنازله على الهيئة القديمة لم يتغير منها الا القليل وطرقه ضيقة غير مستقيمة وثانيهما وهو المعروف بين أهل المدينة بجزيرة الفنار حاراته أوسع وأعدل وأجمل من الاول والقسم الثانى من المدينة وهو ماتسكنه الافرنج جميع منازله جديدة حسنة الهيئة مزخرفة ذات توجهات جميلة وما كن جليلة أدوارها السفلى محلات بالدكاكين المتسعة المشتملة على جميع أنواع البضائع المبنية تلك المنازل بالاحجار والطوب المحرق والمونة القوية والاخشاب المتينة وفى داخلها أنواع المفروشات الافرنجية وأودها مزينة بأنواع الزينة وفى هذا القسم منازل وكلاء الدول المتحابة قنصلاتو دولة الانكليز فى حارة المسلة قنصلاتو الدولة النمساوية بجوار

مطلب تقسيم مدينة اسكندرية

مطلب بيان وكلاء الدول المتحابة باسكندرية

جامع العطارين قنصلاتو دولة البلجيكا فى حارة العطارين فى بيت باغوص قنصلاتو دولة البريزيليا فى حارة شريف باشا نمرة ٢٧ قنصلاتو دولة المانيا قنصلاتو دولة الدينماركه فى وكالة دومرشير قنصلاتو اسبانيا فى حارة حنفى افندى نمرة ٤١ قنصلاتو الاتازونى من الامريقا قنصلاتو فرانسا فى ميدان محمد على قنصلاتو الروم فى حارة النبى دانيال قنصلاتو انتاليا فى شارع اسمعيل قنصلاتو هولانده فى حارة صهريج القرن نمرة ٣١ قنصلاتو البرتغال فى شارع اسمعيل فى بيت رغيب قنصلاتو الروسيا فى حارة المسلة نمرة ٩٧ قنصلاتو سويد ونوريج فى حارة محمد توفيق قنصلاتو العجم ومن العادة ان وكلاء الدول تسكن مدينة اسكندرية فى زمن الصيف لطيب هوائها ونقص درجة الحرارة بها عن مدينة القاهرة بسبب تلطيف البحر نسيم الجو الذى يهب فى هذا الفصل صباحا ومساء وفى فصل الشتاء ينتقل أغلبهم بعيالهم الى القاهرة لقلة الرطوبة والبرودة فيها بالنسبة الى اسكندرية وأجرة الانتقال فى السكة الحديد على طرف الميرى من فيض المكارم الخديوية وللآن الحكومة الخديوية وكذا من سبقها من العائلة المحمدية جارية على هذا السنن الذى سنه المرحوم محمد على باشا من الانتقال الى مدينة اسكندرية فى زمن الحر ويتبع ذلك انتقال الدواوين فيقيمون مدة ثلاثة أشهر فى رأس التين ثم يعودون الى القاهرة ولا يخفى ما فى هذا الانتقال من المزايا والمنافع الخاصة والعامة لانتفاع أهل المدينة بذلك انتفاعا كبيرا وبالجملة فما اشتملت عليه هذه المدينة من الامور النفيسة على يد الجناب الخديوى وبانفاسه وكذا على يدى اسلافه من العائلة المحمدية شئ كثير يحتاج ذكر جميعه الى مجلدات فانها بما ورثته من الهمم المحمدية والاغداقات الخديوية صارت مشتملة على جميع ما تتحلى به المدن العظيمة من مدن الدول الفخيمة وهكذا لا تزال تترقى فى أوج السعادة على يد الخديوى الاعظم ويد خلفائه خلد الله أيامهم فلذا لم نذكر مما اشتملت عليه من المحاسن الا الاهم منها لاجل اثبات ما اكتسبته هذه المدينة وعاد نفعه على غيرها من مدن القطر من مبدأ أخذ العائلة المحمدية بزمام الحكم الى الآن أعنى فى ظرف سبعين سنة حتى صارت الى هذه الدرجة العالية بعد ان كانت قد آل أمرها الى الاضمحلال حتى صارت شبيهة بقرية من قرى الارياف وعم الخراب داخلها وأحاط بخارجها وفارقها عزها وشهرتها بسبب التقلبات الدهرية التى دمرت مبانيها وفرقت أهلها فى المدد السابقة التى سبق الكلام عليها

(مساجدها) وبها من المساجد الجامعة ٤٩ جامعا ومن الزوايا ٩٧ زاوية منها ما فيه ضريح ولى ومنها ما هو خال عن ذلك فمن اشهر جوامعها (جامع سيدى أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه) بجوار القرافة كان فى الاصل مسجدا صغيرا وفى سنة ١١٨٩ جدد فيه بعض المغاربة القاصدين الحج جزأه الذى يلى القبلة والمقصورة والقبة ثم أخذ نظاره فى تجديده وتوسعته شيأ فشيأ بأخذ قطعة من المقابر وبعض من المنازل التابعة لوقفه وجعلت ميضأته فيما هدم من تلك المنازل حتى صار الى ما هو عليه الآن من السعة والمتانة والمنظر الحسن وشعائره مقامة على الوجه الاتم ويصرف عليه من طرف ديوان الاوقاف بالاسكندرية كان ريعه ومرتباته مضبوطة به وكان سيدى أبو العباس رضى الله عنه من أكابر العارفين بالله تعالى أخذ الطريق عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى وهو أجل تلامذته وأول خلفائه ومع وفور علمه وجمعه بين علمى الحقيقة والشريعة لم يؤلف كتابا وكذلك شيخه أبو الحسن رضى الله عنه وكان يقول كتبى قلوب أصحابى وكلامه كله حكم ومناقبه جليلة ذكر الشعرانى فى طبقاته من ذلك جملة عظيمة فعليك بها مات رحمه الله تعالى سنة ٦٨٦ ودفن فى جامعه وقبره به فى غاية الشهرة يزوره أهل الاسكندرية وغيرهم من المترددين عليها ولهم فيه اعتقاد زائد لاسيما المغاربة وله خدمة يقتسمون وظائف الخدمة كما يقتسمون النذور على شروط مسجلة فى ديوان الاوقاف وكل سنة يعمل له مولد ثمانية أيام بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم وليلة فى نصف رمضان

(مسجد سيدى ياقوت العرشى رضى الله عنه) كان قد تهدم وهجر فجدده أحد بيك الدخاخنى شيخ طائفة البنائين بالاسكندرية سنة ١٢٨٠ هجرية وأقام شعائره ووقف عليه أوقافا وكان سيدى ياقوت اماما فى المعارف عابدا زاهدا وهو من أجل من أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى وهو حبشى ولد ببلاد الحبشة وكانت له بنت فزوجها للامام شمس الدين ابن اللبان ماتت فى حياة زوجها فعند وفاته أوصى أن يدفن تحت رجليها احتراما لوالدها ومناقب سيدى ياقوت شهيرة بين الطائفة الشاذلية توفى رضى الله عنه سنة ٧٠٧ ودفن فى مسجده وقبره به مشهور يزار وله مولد كل سنة ليلة واحدة فى رمضان

(مسجد سيدى تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى

مساجد اسكندرية

ترجمة سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه

ترجمة سيدى ياقوت العرشى رضى الله عنه

ترجمة ابن عطاء الله الاسكندرى

ترجمة ابن عطاء الله الاسكندرى ترجمة البوصيرى

رضى الله عنه) مشهور بها لكنه لم يدفن بها وانما دفن بمصر بقرافة الامام الشافعى رضى الله عنه وقبره هناك مشهور
يزار وكان تلميذا للشيخ ياقوت العرشى ومن قبله للشيخ أبى العباس المرسى وكان زاهدا كبير القدر ولكلامه حلاوة
وتأثير فى القلوب وله مؤلفات كثيرة منها كتاب التنوير فى اسقاط التدبير وكتاب الحكم وكتاب لطائف المنن وغير ذلك
مات رضى الله عنه سنة ٧٠٧ (مسجد نصر الدين) كان أولا زاوية صغيرة فيها ضريحه وقد جدده ووسعه المرحوم
على بك جنينة أحد مشاهير اسكندرية فى سنة ١٢٧٠ هجرية وجعل له أوقافا وله مولد فى كل سنة ليلة فى رمضان
(مسجد سيدى على الموازينى) كان أيضا صغيرا وقد جدده بعد هجره وتهدمه المرحوم مصطفى افندى أحد مشاهير
المدينة سنة ١٢٧٢ وأحيا شعائره وهو مدفون فى داخله هو وولده (مسجد البوصيرى) كان قديما جدده
المرحوم سعيد باشا بناء حسن ورتب له ما تقام به شعائره ورتب به دروسا دائمة والبوصيرى هو شرف الدين محمد بن سعيد
البوصيرى صاحب البردة والهمزية وله تآليف غيرهما وكان أبوه من دلاص وأمه من بوصير قرية بقرب دلاص بمديرية
بنى سويف (مسجد الشيخ تمراز) كانت أرضه منخفضة فى سنة ١٢٦٢ جدده المرحوم حسن باشا الاسكندرانى
ناظر ديوان البحرية فى ذلك الوقت وردم أرضه وصار يصعد اليه بسلم وبه ضريح الشيخ على التمرازى المذكور وله
مولد كل سنة ثمانية أيام وقت زيادة النيل (مسجد أبى سن) أصل أرضه مقبرة بها ضريح الشيخ عبد الرحمن بن
هرمس وكان عليه مقصورة من خشب فلما بنى ما حوله ودخل فى تنظيم المدينة بنى ذلك المسجد وجعل فى داخله
ضريح الشيخ المذكور والذى بناه المرحوم درويش أبو سن وهو مسجد تام المرافق حسن المنظر مقام الشعائر
ويصرف عليه من الوقف (مسجد الجارى) كان فى الاصل ضريحا للعجارى وبه بئر معينة قليلة الملوحة يعتقد أهل
اسكندرية أن لها منافع وهى ان من كان مريضا بداء الحمى وداوم على الاستحمام بمائها أياما زالت عنه الحمى وفى سنة
١٢٨٧ جددته المرحومة والدة الجناب الخديوى اسمعيل باشا بناء حسن ومنظر لطيف وهو عامر مقام الشعائر
وكان قد جدده قبلها سنة ١٢٤٠ المرحوم بلال أغا باش أغوات المرحوم محمد على باشا وجعل به صهريجا مصرفه
الآن من الوقف (مسجد سيدى عبد الله المغاورى) به ضريحه وهو مسجد قديم وقد جدده المرحوم الحاج طاهر
القردلى ووسعه وجعل له مئذنة وبعد وفاته دفن به بجوار ضريح المغاورى وكذلك دفن به العالم الشهير الشيخ محمد
البناء الرشيدى وكل سنة يعمل فيه ليلة فى شهر رمضان لسيدى عبد الله المغاورى وهو مقام الشعائر من طرف الوقف
(مسجد سيدى على البدوى) بجهة كوم الدكة كان صغيرا فجدده ووسعه الحاج طاهر الذى بنى مسجد المغاورى
فى سنة ١٢٧٠ ثم فى سنة ١٢٨٩ بناه أولاد الشيخ ابراهيم باشا (مسجد سيدى عبد الرزاق الوفائى) جدد
بناءه ناظره أحمد النقيب سنة ١٢٨٠ وهو أمام مسجد النبى دانيال (مسجد الحلوجى) كان صغيرا وفى سنة ١٢٦٠
جدد بناءه ووسعه المرحوم السيد محمد بدر الدين الكبير ومصرفه من الوقف (مسجد الصورى) كان أولا ضريحا
عليه مقصورة من خشب فبناه الميرى مسجدا مع بناء سور الاستحكامات والضريح داخله وله حضرة كل ليلة سبت
ويصرف عليه من الوقف (مسجد البرق) جدده المرحوم محمد على باشا وهو فى داخل سراى رأس التين (مسجد
سيدى وقاص) كان أولا ضريحا وجدد بناءه مسجدا على المصرى أحد مشاهير اسكندرية سنة ١٢٨٠ ويقال انه
جددت بناءه المرحومة والدة الجناب الخديوى اسمعيل باشا (مسجد القبارى) كان فى الاصل صغيرا فجدده
واوسع فيه المرحوم سعيد باشا زمن ولايته حتى صار حسن الهيئة (مسجد يقال له مسجد سيدى جابر الانصارى)
هو مسجد قديم بجوار سراى الرمل ولم يجدد فيه سوى القبة وله مولد كل سنة ثمانية أيام (مسجد مشهور بمسجد النبى
دانيال) كان صغيرا فجدده ووسعه العزيز محمد على باشا سنة ١٢٣٨ وله ليلة كل سنة فى شهر رمضان وهو تابع
الوقف وبهذا المسجد مدفن مخصوص بالعائلة الخديوية مدفون فيه المرحوم محمد سعيد باشا ونجله طوسون باشا
وغيرهما (مسجد الطرطوشى) صاحب سراج الملوك كان متخربا فأصلحه المرحوم السيد ابراهيم مورو
سنة ١٢٧٠ وقد تممت اصلاحه وتنظيمه المرحومة والدة الجناب الخديوى وهو الآن مقام الشعائر من الاوقاف
(مسجد سيدى مجاهد) فى داخل الترسانة كان انشاؤه سنة ١٢٥٥ مذ كان لطيف باشا ناظر الترسانة

بالاسكندرية وقد أصلحها الامير المذكور سنة ١٢٨٣ وقت أن كان ناظر البحرية فهذه المساجد كلها بها أضرحة من تنسب اليه وأما المساجد التي لا أضرحة بها فكثيرة مثل مسجد طاهر بيك ومسجد المدرسة ومسجد سلطان ومسجد كرموس ومسجد محرم بيك ومسجد القاضي ومسجد الشيخ ابراهيم باشا بناه المذكور سنة ١٢٤٠ وبه دروس العلم لا تنقطع فهو في الاسكندرية كالازهر في مصر ومسجد عبد اللطيف بناه الشيخ عبد اللطيف المغربي سنة ١١٧٠ وهو الآن معد لصلاة الجنازة ومن أشهر مساجدها المسجد الذي بناه الخديوي اسماعيل باشا بجهة كوم الشقافة البراني وأتم بناءه في سنة ١٢٨٨ وجعله تابعا للاوقاف ومن احساناته الدائمة بهذه المدينة أنه أمر بايصال مجاري ماء النيل الى مساجدها فماله ريع يصرف عليه من ريعه وما لا ريع له فعلى طرف الميري كما أنه أمر بايصالها الى القلاع والاستحكامات وقد حصل ذلك على أتم وجه ومن احساناته أيضا انه أمر بعمل سور على طرف الحكومة يحيط بجميع مقبرة اسكندرية واشترى أيضا قطعة أرض وأمر بجعلها أربعة مدافن لعموم أموات المسلمين وجميع ما يصرف عليها من بناء ونقل أتربة وردم حفائر وتنظيم سلك وغرس أشجار على طرف الحكومة ﴿ كنائسها ﴾ وبالاسكندرية كنائس كثيرة المشهور منها ثلاث عشرة كنيسة عشرة منها للنصارى وثلاثة لليهود فالتي للنصارى منها كنيستان للكاثوليكيين احداها كنيسة سانت كاترين والثانية كنيسة اللازرية كلتاهما في حارة ابراهيم نمرة ١٦ والثالثة الكنيسة الرومية الاوانجيلية في حارة الكنيسة الرومية والرابعة الكنيسة الرومية الكاثوليكية في حارة حمام أبي شهبة نمرة ١٤ والخامسة الكنيسة الارمنية في جنينة الارمن في حارة عمود السواري في مقابلة شارع اسمعيل والسادسة الكنيسة المارونية في حارة الحبالة والسابعة الكنيسة القبطية في حارة كنيسة القبط والثامنة كنيسة الانكليز في ميدان محمد علي والتاسعة كنيسة البروتستان في حارة الكنيسة الانكليزية والعاشرة كنيسة لايكوسة في حارة كنيسة الايكوسية نمرة ١٢ وأما الثلاثة التي لليهود فهي كنيسة في رأس التين وكنيسة في حارة النبي دانيال وكنيسة في حارة الوكالة الجديدة نمرة ٤٦ أحدثها الخواجا منشي وبذل وسعه في اتقانها حتى صارت أحسن الثلاثة ﴿ بيوت الضيافات المسماة باللوكاندات ﴾ وبيوت الضيافات بها كثيرة والمشهور منها اثنتان احداهما لوكاندة أوربا في ميدان محمد علي والثانية لوكاندة ابات في وسط المدينة تقريبا وتطل على ميدان ابراهيم وهي أقدم الجميع ينزلها الفرانساويون والانكليز وبها تراجمة من جميع الالسن وبها عربيات معدة لركوب من يرد اليهما من ركاب السكة الحديد وهنالك لوكاندات أخر تقرب منهما في الشهرة والانتظام وهي لوكاندة المسافرين في حارة الشيخ محمود نمرة ٧٧ مائدتها عامة وبها أوده مفروشة وغير مفروشة على حسب رغبة المسافرين ومقدار ما يدفع الشخص فيها كل يوم في نظير اقامته ومؤنته سبعة فرنكات واللوكاندة الكبيرة الفرنساوية في حارة الشيخ محمود نمرة ٥٨ وهذه يجد المسافر فيها راحته من حيث السكنى والمأكل تحتوي على ٤٣ أوده والنازل فيها مخير بين ان يكتري الاوده باليوم أو بالشهر وعليه في اليوم نظير أكله واقامته ستة فرنكات وفي الشهر ١٥٠ فرنكا ولوكاندة أخرى في حارة الشيخ محمود نمرة ٧٦ في منتصف البلد تقريبا وشهرتها قديمة بسبب حسن معاملة أهلها مع النازلين بها فيجد المقيم بها من حسن معاملته ما يحمله على اختيارها على غيرها سيما والاجرة فيها قليلة مع أن فيها ما في غيرها وما يدفعه الشخص عن اليوم في لوازم الاكل والسكنى سبعة فرنكات ونصف وعن الشهر مائة وستون فرنكا واذا اقتصر على الاكل يدفع مائة وعشرين فرنكا وأجرة الاوده في الشهر تختلف من ٣٠ الى ٩٠ فرنكا بحسب حال الاوده ورغبة الطالب والاجرة كل يوم للاوده تختلف من فرنك ونصف الى ثلاث فرنكات وهنالك محلات صغيرة أثمان طعامها قليلة والمشهور منها المحل الملاصق لقهوة فرنسا في الميدان والمحل الذي بأعلى قهوة فرنسا والمحل الذي في حارة انسطازي نمرة ١٣ وثمن الغداء والعشاء في اليوم فرنك وثلاثة أرباع فرنك وفي الشهر تسعون فرنكا والمحل المجاور للبورصة في حارة الكنيسة الانكليزية نمرة ١١ وغير ذلك وكل هذا من ثمرات العمارية والثروة التي هي غرس العائلة المحمدية وامدادات الهمم الخديوية ﴿ الاسبتاليات ﴾ ويقال لها المارستانات وهي المحال المعدة لمعالجة الامراض منها ستة واحدة للحكومة المصرية وهذه عامة يدخلها الاهالي وغيرهم وجميع ما يصرف عليها من فيض المكارم الخديوية وبها كل ما يلزم لها من الحكماء والاجزاجية وأجزاخانة مشتملة على أنواع الادوية وهي فسيحة

تسع عددا وافرا من الاسرة وأغلب الفقراء لا يجدون معالجتهم فى غيرها ومحلها عند محطة السكة الحديد وبها محل
لتربية اللقطى الذين لا يعرف لهم أهل وقد رتب لهم فيه من طرف الحكومة المصرية من يقوم بتربيتهم حتى يكبروا
وقد بلغ عددهم سنة ١٨٣١ ميلادية ٣٤ لقيطا منهم اثنا عشر من الاناث والباقى ذكور وأما الاسبتاليات الأخر
فهى للدول المتحابة و بيانها الاسبتالية العمومية الاوروباوية فى شارع ابراهيم بها مجلس ادارة وثمان أود للرجال
سبعة وللنساء واحدة وفى كل أودة سريران هذا لاهل الدرجة الاولى والثانية وأما أهل الدرجة الثالثة والرابعة
فللرجال تسع أود وللنساء أربعة وفى كل أودة عشرة سرر وخدم النساء المرضى من الراهبات وعدتهن ثلاث عشرة
ومن الاحصاآت السنوية تحقق أن الذى دخل هذه الاسبتاليا فى سنة ١٨٧١ ميلادية بلغ ١٠٨٩ مريضا شفى
منهم ٩٨٢ وتوفى بها منهم ١٠٧ اسبتالية ديا كونيس فى حارة محرم بيك ومعالجة المرضى بها بمقابل فان كان من
ذوى الاعتبار وأراد الاقامة بها فى أودة مخصوصة فعليه كل يوم خمس شلنات قريب من خمسة وعشرين قرشا صاغا
وان كان من التجارة أو الخدم فعليه كل يوم ثلاث شلنات وأما الفقراء فيعالجون بها من غير مقابل وفى سنة ١٨٧٠
ميلادية بلغ عدد من صار علاجه بالاربع اسبتاليات ٥٨٠٠ من ذلك فى الاسبتالية الاوروباوية ١٣٦٦ وفى
اسبتالية الحكومة ٣٣٠٠ وفى الاسبتالية الرومية ٧٧٣ وفى اسبتالية ديا كونيس ٣٠٤ وعدد من مات
فى الجميع ٥٩٤ وفى اسبتالية الحكومة ٣٥٥ وفى الاسبتالية الاوروباوية ١١٥ وفى الاسبتالية الرومية
٩٤ وفى اسبتالية ديا كونيس ٢٩ (حمامات) وفى مدينة الاسكندرية حمامات كثيرة المشهور منها حمام
صفر باشا وهو بجوار الترسانة مستعمل للرجال والنساء وحمام المحافظ أمام الضبطية بشارع رأس التين وهو مستعمل
للرجال والنساء فى جميع أيام الاسبوع على عادة الحمامات وحمام أبى شهبة بالشارع الابراهيمى الخارج من المنشية الى
السكة الحديد وحمام المرحوم الشيخ ابراهيم باشا بشارع عمود السوارى الخارج من المنشية الى الجبانة وحمام الصافى
بالشارع الابراهيمى بجوار ورشة مورو وكذلك الحمامات الافرنجية هناك كثيرة المشهور منها حمام لوكاندة أوروبا
فى ميدان محمد على والاجرة فيه ٢ فرنك وحمام توران فى حارة العمود والاجرة فرنك ونصف وحمام البحر والاجرة
فرنك ونصف وحمام السيد على المصرى أحد تجار اسكندرية وهو على الشارع الموصل من السكة الحديد الى الجمرك
وهو للرجال والنساء وحمام جمى (قهاوى) القهاوى البلدية بمدينة اسكندرية كثيرة بالشوارع وأكثر
الحارات الا أنها على وضعها القديم تقريبا أما القهاوى الافرنجية فهى كثيرة أيضا وتشتمل القهوة منها على عدة
محلات من ضمنها محل أو محلان للعب البليارد وطرابيزات وبها خلاف القهوة أنواع المشروبات والدندرمه وفى بعضها
الاكل والفرش الثمينة والدكك المحشوة والكراسى وجرنالات الحوادث فى البلاد الاوروباوية والمحلية العربية
والتركية والافرنجية والرومية والمشهور منها القهوة الفرنساوية بميدان محمد على وقهوة الدومند (الدنيتين) فى الميدان
المذكور وقهوة أوروبا فى حارة رأس التين نمرة ١١ أو نمرة ١٢ وقهوة البرادى (الجنة) فى حارة البوسطة الفرنساوية
فى ساحل البحر وقهوة البحر فى شاطئ البحر بقرب الكنيسة المارونية وقهوة المدرسة المشرقية فى حارة الشيخ ابراهيم
وقهوة الحظ فى حارة الشيخ ابراهيم وقهوة وبحو فى حارة جامع العطارين نمرة ٢٧ وقهوة المشرف فى حارة أستطارزى
نمرة ٢١ والقهوة الفرنساوية فى حارة ابراهيم نمرة ١٥ وقهوة البورصة فى حارة الكنيسة الانكليزية نمرة ١
والقهوة الامريكانية فى حارة جبارة وقهوة بيكانو فى حارة السوق الجديد وقهوة هركول فى حارة ارسلان سكر على
شاطئ البحر وقهوة مغنى يلعب فيها التياترو (تياترات) فى الاسكندرية تياترو واحد وهو تياترو زيزينيا ملك
وزناوله وقت معلوم من السنة ويحضر له فى كل سنة من يلعب فيه بأنواع الالعاب المضحكة والمطربة (أسواق)
المشهور من الاسواق بمدينة اسكندرية سوق شارع رأس التين وبه عدة دكاكين يباع بها الارز والبندق والجوز والفستق
وما أشبه ذلك من البضائع التركية وسوق الشوام يباع فيه أصناف البضائع الشامية وسوق العجم يباع فيه الكشمير
وسوق الصيارف يباع فيه النقود وهو مركز للصيارف وسوق الجزمجية وسوق المنشية فى آخر المنشية فى شارع
رأس التين يباع فيه البضاعة الافرنجية والملبوسات والمفروشات وحلى الذهب والفضة والجواهر والثياب الثمينة مثل
القصب والحرير والمرايات ونحو ذلك وسوق الاقمشة بشارع السكة الحديد يباع فيه الشيت وأنواع القماش كالدبولان

والشاش

والشاش والصوف وسوق اللحم الكبير بجوار مسجد الشيخ ابراهيم باشا وسوق الفواكه مثله وسوق الكانتو تباع فيه الاشياء القديمة من كل جنس وسوق الفخار بشارع الميدان يباع فيه الصينى وغيره وسوق البراذعية والسروجية بنهاية شارع الميدان بقرب مسجد الشيخ ابراهيم باشا وسوق بشارع العطارين يباع فيه الحرير والمقصب والاشياء التى تناسب النساء يتوصل اليه من المنشية وسوق الترك وهو يشبه خان الخليلى بمصر يباع فيه بضاعة تركية وهو بجوار سوق الطباخين وسوق الترسانة يباع فيه فواكه وخضراوات وبقول وما أشبه ذلك وسوق زاوية الاعرج وسوق حارة الشمرلى بطريق الترسانة فيهما جزمجية وكتبية وسمكرية وحدادون ودخاخنية وأمثال ذلك وبها أسواق

بيوت الصدقة

غير ما ذكرنا الا انها ليست مثلها فى الشهرة (بيوت الصدقة) وتسمى التكايا وفى الاسكندرية تكية يدخلها فقراء المسلمين بأولادهم ويجرى عليهم من طرف الحكومة جميع ما يلزم لهم من مؤنة وكسوة وغير ذلك حتى الماء والزيت فاذا بلغ الذكور من أولادهم سن التمييز ألحقوا بالمدارس المصرية فيربون بها أحسن تربية ومنهم من تشمله أنظار المكارم الخديوية فيكون من أرباب الخدامات الشريفة المصرية

شركات الاعانة

(شركة الاعانة الفرنساوية) وهى عبارة عن طائفة من أغنيائهم اتفقوا على أن يدفع كل واحد منهم مبلغا من النقود ليتصدق منه على فقرائهم وهكذا مشروات الطوائف الآتية وكان ابتداء عقد هذه الشركة سنة ١٨٦٦ من الميلاد ومحلها القنصلاتو الفرنساوى وقد انتفع بها فى سنة ١٨٦٩ من فقرائهم المقيمين ثلثمائة وخمسة وثلاثون نفسا وممن أعين على الرجوع الى بلاده مائتان وتسعة وتسعون نفسا وفى سنة ١٨٧٠ من المقيمين خمسمائة نفس وعشرة وممن أعين على الرجوع الى بلاده ثلثمائة وثمانية وخمسون نفسا وفى سنة ١٨٧١ من المقيمين ستمائة وسبعة وعشرون نفسا وممن أعين على العود الى بلاده خمسة وسبعون نفسا وبلغ ما صرف من هذه الشركة على المحتاجين فى سنة ١٨٦٩ ثلاثين ألف فرنك واربعمائة وثلاثة وفى سنة ١٨٧٠ واحدا وثلاثين ألف فرنك وتسعمائة وأربعة وأربعين فرنكا وفى سنة ١٨٧١ ثلاثة وأربعين ألف فرنك وتسعمائة وثمانية وتسعين افرنكا (شركة الاعانة التليانية) لاعانة المحتاجين خاصة (شركة الاعانة العبرانية) لاعانة المرضى والزمنى وذوى العاهات منهم خاصة وكان انعقادها سنة ١٨٥٩ ميلادية (شركة الراهبات المحسنات) وهى أنفع شركة الاعانة لانها قائمة بتربية ٧٨٠ طفلا وبها تكية للفقراء والايتام ومحل لتربية اللقطى ومراضع يرضعنهم فى بيوتهن وقد بلغ المتحصل بها من الصدقات فى سنة ١٨٧١ نحو ٢٤٩٢٤ فرنكا جميعه صرف على اللقطى وعلى ١٥١ عائلة من الفقراء تشتمل على ٨٤٣ نسمة (شركة لوبير التليانية) فى حارة رأس التين فوق قهوة أوروبا وهى تتركب من أرباب الصنائع والحرف من التليانيين خاصة وكان انعقادها سنة ١٨٦٢ ميلادية والغرض منها تشغيل من لا شئ عنده من البضائع التجارية ومثل هذه الشركة شركة أخرى فى حارة انسطازى نمرة ٣٦ الا انها ليست خاصة بقوم بل عامة لكل محتاج من أهل أى ملة (الشركة السويجرية) الغرض منها اعانة المحتاج من ملتهم فقط وقد أعين منها فى سنة ١٨٧٠ ميلادية ٣٣ شخصا بمبلغ ٩٨٨ فرنكا وفى سنة ١٨٧١ ٢٣ نفسا بمبلغ ١٤٠٥ فرنكات وفى سنة ١٨٧٢ ١٦ نفسا بمبلغ ١٠٠٠ فرنك

السكرتات

(السكرتات) تشتمل الاسكندرية على أربعة بيوت للسكرتات والمشهور منها شركة السكرتات البحرية برأس مالها عشرون مليونا من الفرنكات وشروطها أنها تضمن السفن والبضائع من غوائل البحر فى مقابلة مبلغ معين يدفع اليهم من طرف من يرغب ذلك وكذا تضمن لاصحاب الاملاك فى المدن أملاكهم وللتجار بضائعهم وبجاراتهم من الغرق والحرق برا وبحرا وكذا تضمن للشخص الراغب فى تضمينها ايراده السنوى وغير ذلك من الامور والاصطلاحات المقررة فى شروطها ومحلها فى حارة العطارين فى بيت أرتين بيك

بورصة

(بورصة) يوجد بالاسكندرية بورصة للمعاملات التجارية وهى ملك لجماعة من البنكير مشتركين فيها ومتساهمين فى القيمة الاصلية وهى المبلغ الذى صرف فى البناء والغرس والزينة والزخرفة وعدد سهومها ٢٤٠ سهما قدر السهم منها مائة جنيه فتكون القيمة الاصلية ٢٤٠٠٠ جنيه والاسهم نوعان نوع بدون اسم مخصوص بل هو لكل من يوجد بيده هذا المبلغ والنوع الآخر باسماء الشركاء خاصة وكل شريك معه من النوعين وفى آخر كل سنة تبعا الشروط المعقودة بين الشركاء يدفع مبلغ من متكون النوع الاول بالقرعة وعدد الشركاء أربعة وستون ولهم مجلس متركب من بعضهم لادارة تلك المصلحة والقانون الجارى بينهم أنه يرخص بالدخول فيها من أربع جنيهات

فا كثر لكل شخص وعشرين جنيها عن كل بنك وخمسة وعشرين جنيها عن كل بيت تجارى والبورصة كومسيون مركب من المأذون لهم بالدخول ينظرون فى الادارة * بورصة مينا البصل ملك الدائرة السنية وهى معدة لاشغال التجارة من قطن وقمح وما أشبه ذلك (بيت الرهن) هذا المحل فتح بأمر الحكومة الخديوية والغرض منه اقراض المحتاجين مبالغ من النقود الى أجل قصير ويؤخذ منهم رهان توضع فى هذا المحل وبه جميع ما يلزم لحفظ الرهان وصيانتها مثل صناديق ودواليب وغير ذلك وفى أول سنة من افتتاحه بلغ عدد الرهان التى وضعت فيه ٣٥٦٠ رهنا منها جانب لم يستخلص بل جددت رهنيته فى آخر السنة وقدره ٣٨٥ والذى استخلص واستلمه أربابه ١٦٣٤ رهنا وفى السنة الثانية بلغ عدد الرهان ٥٠٢٩ والذى تجدد منها آخر السنة ١٥١٤ والذى خرج واستلمه أربابه ٣٧٤٢ وبيع منه فى الدين مبلغ ٤٣٧ رهنا وفى السنة الثالثة بلغ عددها ٦٠٢٦ تجدد منها آخر السنة ١٩٨٦ رهنا وخرج منها ٤٨٤٤ وبيع منها ٤٥٥ وفى السنة الرابعة بلغ عددها ٦٦٢٥ تجدد منها ٢٧٧٤ وخرج لاربابه ٥٨١٧ وبيع منها ٥٦٢ (الشركات التجارية بالاسكندرية) تشتمل مدينة الاسكندرية على عدة شركات كل شركة مركبة من جملة من التجار وأصحاب الاموال بشروط يرتضونها بينهم اما على عمل يعملونه بأموالهم لانفسهم واما على عمل يعملونه لغيرهم فمن النوع الاول شركة الطحين والغاز ومجارى الماء ومن النوع الثانى أنواع المقاولات والشم ورمنها الآن شركة تقسيم المياه للمدينة ولجهة الرمل وان اختصت الآن بتلك المصلحة وقد تقدم الكلام على هذه الشركة عند الكلام على مدة المرحوم سعيد باشا وشركة الغاز هى المتكفلة بتنوير حارات الاسكندرية وشوارعها وهى باسم أوجين ليون وشركائه ومحل العمل فى الكارموس على شاطئ المحمودية ومحل ادارتها فى حارة صهريج الفرن وافتتاحها للايقاد كان فى سنة ١٨٦٥ ميلادية ومعملها كاف لصرف مليونى متر مكعب ولها شروط مسجلة بديوان الاشغال العمومية وقد تقرر فيها قيمة غاز المتر المكعب ولكل من يرغب تنوير منزله أو دكانه أن يأخذ منها بشروط على السنة أو الشهر وشركة الطحين التجارية لها وابور على شاطئ المحمودية ووابور آخر فى بولاق ووابور فى بندر اخميم من الاقاليم القبلية وهى من أعظم الشركات ولها وابورات أيضا فى مدن كثيرة من بلاد أوروبا وتتجر فى الدقيق (الورش التى اشتملت عليها اسكندرية) ورشة كبريت للخواجة تلازالك ورش ثلج احداها تعلق الخواجه جرجس وورشة سجارة تعلق قومبانية وابورات دقيق وهى كثيرة ورش حديد وابور زيت تعلق الخواجه يوسل معصرة الزيت التجارية ملك انطونياس على شاطئ المحمودية فى الكارموس وهى من المعامل المكلفة ويستخرج فيها زيت الكتان وزيت القطن ويباع منه بالجملة ويستعمل للاستصباح والاكل (طوائف الصنائع والحرف) عدد الطوائف الآن بمدينة اسكندرية ١٤٢ طائفة تشتمل على ٢٦٩٠٠ نفس أعنى زيادة على مقدار أهل اسكندرية حين استولى عليها العزيز المرحوم محمد على باشا ثلاث مرات وعدد أنفار كل طائفة ما هو مبين برابرة خدامين ١٧٦١ نجارة ١٠٨٦ عتالين فى المينا ١٠٦٦ بياعين خضار ٩٩٩ عربجية جر ٨٢١ سوس ٣١٢ قهوجية ٧٦٤ جزارين بالاسواق ٣٠٨ بنائين ومناولين ٦٩٢ بنائين مقابر ٢٩٢ زياتين وعصارين ٦٢٧ دخاخنية ٢٧١ نجارين ٥٩٦ قماشة ٢٧١ طحانين ٥٠٣ صيادين سمك ١٧٣ كيالين ٤٩٧ قبانية ٢٢٧ فراكبية ٤٩٠ حدادين وبرادين ٢٢٢ حلاقين ٤٨٤ شغالة فى القطن ٢٢٢ لحامين جر ٤٧٣ آلاتية ومزيكيه ٢١٣ سقائين ٤٢٤ براسمية وعلافين ٢١٢ عربجية ركوب ٤٠٩ طباخين ٢٠٣ خفرا المخازن ٣٧٢ خدمة بالسلخانات ٢٦١ خياطين ٣٦٩ زراعين ٢٠٠ خدمة ضقايدة ٣٤١ أصحاب حير أجرة ١٩٤ صباغين ٣٢٧ فرانين ١٩١ خبازين ٣٢٧ جزمجية ١٨٧ تجار غلال ١٨٢ فحامين ١٢٤ سراحة خضار ١٨١ عسكرية ١١٩ نجارين مراكب ١٧٨ مرخين ١١٤ دهانين جزم ١٦٢ تبانة ١١٣ تجار بلطه ١٦٤ تجار بهائم ١١١ نقاشين بيوت ١٦٤ تجار سوق الدقيق ١١١ بياعين ليمونانو ١٦٢ لبانة ١٠٩ عطارين ١٦٤ عقادين ١٠٨ حطابة ١٥٠ بياعين سكر ١٠٧ صواغين أولاد عرب ويهود ١٤٤ بياعين فراخ وطيور ١٠٤ بياعين ثياب قديمة ١٤٤ صيادين أبى قير ١٠٠ مبيضين نحاس ١٤٠ خبابة الرمل ٩٤ سرباتية ١٧٨ مغربلين ٩٠ حصرية ١٣٧ بياعين خشب ٨٨

تجارنحاس ١٣٦ تجارحرير ٨٧ منجدين ١٢٦ بجارة المينا ٨٧ قطاطرية ١٢٤ نجارين ٨٦ حمالة النقل ٨٤ سقائين فى البيوت ٥٥ حامية ٨٢ مركوبجية ٥٠ بياعين فواكه يابسة ٧٦ بياعين حمص ٤٧ صنايعية فى الكتان ٦٩ بياعين سمك مالح ٤٤ طربوشجية ٦٧ بياعين عسل ٤٤ بياعين سلطه ٦٦ بياعين فخار بلدى ٣٩ أصحاب جبراكاف ٦٦ شكشية وساكانية ٣٨ فراشين ٦٣ مبلطين ٣٣ بياعين سمك ٦١ بياعين كنافة ٣٢ عرضحالجية ٦٠ دلالين فى الحبر ٣٢ بياعين جلود ٥٩ خردجية ٣٠ بياعين أقمشة مقاعدية ٥٨ زراعين خضار ٣٠ بياعين فى الحارات ٥٧ بياعين حلويات تركى ٣٠ دلالين سوق الترك ٥٧ تراجمة ٢٩ سباكين ٥٦ بياطرة ٢٩ بوابين ٥٦ محدثين فى القهاوى ٢٨ دلالين فى الخيول ٢٨ ساعاتية ٢٠ بياعين براميل ٢٨ خفر المغالق ٢٠ دلالين فى العقارات ٢٧ حبالة ١٩ خراطين ٢٧ مرخصين ١٨ قفاصه ٢٥ قبانية الحطب ١٤ بياعين محار افرنكى ٢٤ نقاشين على المعادن ١١ سماسرة ٢٣ صيارف ٧ برامين حرير ٢١ فوجوزوحداد ٦ كتبية ٢٩ وهنالك أشخاص محترفون لم تندرج أسماؤهم فى دفاتر الطوائف لو أضيفوا الى ماذكرنا لكان عدد الجميع ٥١٠٥٨ تقريبا

(المدارس والمكاتب) لما كان مبنى الامور الدنيوية بل والاخروية ليس الاعلى حسب التربية الاولية اذ على حسب البداية تكون النهاية ومن لم يكن له فى بدايته قوة لم يكن له فى نهايته نومة وكان ممن أحاط علما بذلك ورغب فى تربية أبناء وطنه والاقتفاء بهم أقوم المسالك حضرة الخديوى اسمعيل باشا أحسن الله أعماله وأنجح فى سبيل الخير آماله وضع لذلك قوانين سلكت بأبناء الوطن طريق التقدم حتى وصلوا بها فى أقرب زمن الى مالم يصل اليه من مضى وتقدم وقد وضعنا فى ذلك كتابا بسطنا فيه الكلام على كيفية التربية فى الديار المصرية والاقطار الاوروباوية فليرجع اليه من أراد الاطلاع عليه اذ ليس غرضنا الآن الا ذكر المكاتب والمدارس الموجودة فى مدينة الاسكندرية وبيان الشهير منها من غيره سواء كانت ادارته منسوبة للحكومة المصرية أو غيرها على وجه الاختصار فنقول

(مدرسة رأس التين) الميرية وهى صنفان صنف تجهيزية وصنف مبتديان فالمبتديان تتعلم فيها الاطفال التهجى والكتابة والقراءة والقواعد الاولية فى الحساب والنحو ولغة أجنبية وقبول الاطفال بها من سبع سنين والتجهيزية تتعلم فيها الاطفال المنتخبون لها من المبتديان الحساب والهندسة العادية والجبر الى الدرجة الثانية والرسم النظرى وعلم العربية ولغة من اللغات الاوروباوية والخط الثلث والنسخ والرقعة ومبادى اللغة التركية وعدد تلامذة الصنفين ٢٧٩ تلميذا وتقيم الاطفال بتلك المدرسة ليلا ونهارا وجميع مايلزم للصنفين من أدوات التعليم وماهيات المستخدمين وأكل وكسوة وغير ذلك على طرف الديوان العامر بالانفاس الخديوية أدامها الله تعالى * ومن المكاتب الاهلية مكتبان منتظمان تتعلم بهما الاطفال بالنهار ويبيتون عند أهاليهم وجميع مايصرف على هذين المكتبين من طرف الاوقاف الميرية ومن الاحسانات الخديوية مع ماهو مفروض على أهل الاغنياء منهم طبق قانون المكاتب الاهلية وعدد أطفالهما ثلثمائة طفل فاكثر يتعلمون فيهما من الفنون مثل مايتعلمونه فى مدرسة المبتديان وكسوتهم على أهليهم وكذلك أكل الاغنياء منهم * مكاتب اهلية كبيرة وصغيرة يتعلم بها الاطفال مدة النهار ويبيتون عند أهليهم ويتعلمون القراءة والخط وبعض الحساب والصرف عليهم من طرف أهليهم وليس للديوان عليهم الا التفتيش فقط لاجل النظافة والانتظام وعدد أطفالها ٣١٣٦ طفلا ومجموع المدارس والمكاتب الاسلامية بمدينة الاسكندرية ٩١ وعدد الاطفال ٣٧٠٥ * وأما المدارس والمكاتب الاوروباوية فكثيرة منها مايقبل فيه كل من أتى اليه من دون نظر الى ملة أو ديانة ومنها مالا يقبل فيه الا أطفال اهل ملة مخصوصة وفى كثير من هذه المكاتب تكون الاطفال الذكور مع الاناث ومنها ماهو مختص بالذكور ومنها ماهو مختص بالاناث فمنهن من يتعلم الصنعة اليدية ومنهن من يتعلم الفنون العقلية ومنهن من يتعلمهما جميعا * والمشهور من هذه المدارس

(مدرسة اللازارين) وهى مشتملة على تعليم الفرنساوى واللاتينى والرومى القديم والجديد والعربى والتليانى والانكليزى والرسم ومن الاطفال من يقبل فيها مجانا كالفقراء ومنهم من يقبل بنصف مصرف ومنهم من يقبل بمصرف كامل وقدره الف وستمائة فرنك ولا يقبل فيها الا من سبع سنين الى خمس عشرة سنة ويشترط عند دخوله أن يكون عنده بعض المام بالقراءة أو الكتابة فى لغة ما وعدد أطفالها ٦٠ وخوجاتها ١٢

(الثانية المدرسة التليانية)

المدارس والمكاتب بالاسكندرية

فى حارة العمود وعدد الاطفال بها ٥٥٥ طفلا (الثالثة مدرسة الاخوان الكاثوليكيين) كان افتتاحها فى سنة ١٨٤٧ ميلادية والاطفال الذين يتعلمون فيها منهم من هو بمصروف كامل ومنهم من هو بنصف مصروف ومنهم من يعلم مجانا كامر وعدد أطفالها ٦٠٠ المجانى منهم ٣٥٠ والباقى بمصاريف (الرابعة المدرسة المجانية) وهى تحت رعاية سعادة الخديوى الاعظم محمد توفيق باشا وكان افتتاحها سنة ١٨٢٨ ميلادية وبها من اللغات الفرنساوى والانكليزى والتليانى والعربى ومن التلامذة نحو سبعمائة وثلاثة منهم من يحضر ليلا فقط وهم الكبار ومنهم من يحضر نهارا فقط وهم من عداهم (الخامسة مدرسة الكنيسة الايكوسية) وهى ملحقة بالكنيسة وعدد أطفالها ٥٢ (السادسة المدرسة الامريكانية) يقبل فيها الاطفال الذكور فقط مجانا ومحلها حارة المحكمة وعدد أطفالها مائة وستون (السابعة المدرسة الرومية) وهى ملحقة بالكنيسة أيضا وعدد أطفالها ١٩١ (الثامنة مدرسة بانصو المختلطة) يقبل فيها الاطفال الذكور والاناث ومحلها بحارة جامع العطارين نمرة ٨١ وعدد أطفالها الذكور ٥٦ وأطفالها الاناث ٥٥ ومنهم من يدخل بمصاريف كاملة ومنهم من يدخل بنصف مصاريف (التاسعة مدرسة بودير) يقبل فيها الاطفال الذكور والاناث ومحلها حارة العطارين نمرة ٥٨ وعدد الاطفال بها مائة (العاشرة مدرسة ترينتامانيا) فى سوق البصل وتقبل أيضا الذكور والاناث من الاطفال وعدد الجميع ٤٥ (الحادية عشرة المدرسة العبرانية) تحت رعاية الدولة النمساوية وادارتها موكولة لاثنى عشر نفسا من العبرانيين وتتركب من مكتبين أحدهما للذكور والآخر للاناث وتقبل بها الاطفال مجانا وعدد من بها من الذكور ١٣٠ ومن الاناث ١٠٠ ومن مزايا هذه المدرسة أنها تمهر من طرفها من تتزوج من البنات الفقراء (الثانية عشرة مدرسة البنات) بشارع ابراهيم نمرة ٥ تحت ادارة الراهبات وتقبل بها البنات بمصروف كامل وتارة بنصف مصروف والفقراء يقبلن مجانا والحضور فيها للتعلم مدة النهار فقط وعدد من يدفع مصروفا كاملا ١٨٠ ومن يدفع نصف مصروف ٦٠ والايتام ١٢٠ واللقطى ٧٥ وعدد الراهبات المعلمات ٢٦ والراهبات الخادمات ١٤ (الثالثة عشرة بيت الصنعة) فى حارة حنفى أفندى نمرة ٥٣ وجميع من يدخل فيها بمصروف وعدد أطفالها ٧٠ (الرابعة عشرة) فى محل الست سربونى عند الكنيسة الانكليزية نمرة ٣٥ وعدد أطفالها البنات ٦٥ يدفعن جميعا مصروفا كاملا (الخامسة عشرة) فى محل يعقوب فى وكالة ابراهيم بيك عند السوق القديم وعدد من بها من الاطفال ٣٠ وجميعهم بمصروف (السادسة عشرة) المدرسة الايكوسية تحت نظر الست اشلى ويقبل فيها بمصاريف ومجانا وعدد الجميع ٧٠ ومحلها الكنيسة نفسها (الفصل الثانى فى مينا الاسكندرية) من بعد الاعمال التى تقدم الكلام عليها زمن المرحوم محمد على باشا لم تعمل أعمال مهمة فى المينا الى زمن الخديو اسمعيل مع انه قد حصل قبل جلوس حضرته على التخت أمور جسيمة كان يخشى منها تحويل التجارة عن ثغر اسكندرية لولا ان تداركها بهمته العلية منها الترعة المالحة المتصلة بالبحرين الاحمر والرومى فانه لولا ما عمل بمينا الاسكندرية لانتقلت المتاجر المشرقية والمغربية اليها لما يرى التجار بها من السهولة بالنسبة لمينا اسكندرية فانهم كانوا بعد وصولهم اليها ينقلون بضائعهم بالسكة الحديد ثم منها الى البحر الاحمر وفى ذلك من المشقة وكثرة المصاريف ما لا يخفى بخلاف طريق القنال ولذلك لما تم أمرها وجرت السفن بها تحول كثير من التجار الى بورت سعيد الذى أنشئ على شاطئ البحر الرومى عند فم القنال شرقى مدينة دمياط وجعلوه مركز التجارتهم وبنوا به منازل لاقامتهم لما رأوه من السهولة وقرب المسافة فلما كان ذلك كله معلوما لدى الحضرة الخديوية وجه اليه أنظاره الصائبة وأعمل فيه أفكاره الثاقبة وعوض اسكندرية عن ذلك مزايا حسنة حولت الرغبة فى طريق القنال الى ذلك الثغر فأبدع فيه من الاعمال
*وأول مزية جادت بها همه العلية على المينا عمل حوض بها من الحديد لعمارة السفن يعرف بالدولاب اصطنعه فى بلاد فرانسا سنة ١٢٨٥ هجرية طوله ١٤٠ مترا وعرضه ٣٣ مترا وعمقه ١١ مترا وزنته ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف كيلوجرام وبه آلتان بخاريتان انرجه قوتهما ٢٥ حصانا بخاريا وقيمة ما صرف فى اصطناعه مائة وستة وعشرون ألفا وثلثمائة وستة وثلاثون جنيها مصريا وله باب يفتح ويقفل بحسب الطلب وخوخ لادخال الماء فيه بعد اتمام العمارة ليتأتى خروج السفينة منه فحصل من ذلك السهولة التامة والمنافع العامة لان الحوض الاول الذى كان معمولا من البناء لم يكن قابلا لكافة السفن بسبب عظم أبعاد بعضها فضلا عما تجدد فى هذا العصر مما هو أعظم منها ومع ذلك

كان يستغرق زمنا طويلا فى استعداده عند الحاجة اليه بخلاف الحوض الحديد فانه واف بجميع ذلك وفى الزمن
اليسير اصير استعداده ودخول السفينة فيه وتعميرها بمصرف أقل من الاول ولا يخفى أن وجود الحوض فى المين من
ضرورياتها اللازمة سيما المين الكبيرة المطروقة كمينا اسكندرية لان السفن دائما عرضة لغوائل كثيرة مثل
ملاطمتها الصخور واصطدامها بالشعاب أو ببعضها وقد يزول طلاؤها بالماء وبالعوارض الجوية فيضر ذلك بها ومن
اقامتها الازمان الطويلة فى البحر عادة يلتصق بظاهرها المحار ويتراكم على بعضه فيورثها ثقلا ويعطلها عن سيرها
فبواسطة تلك العوارض لا تستغنى عن العمارة أو الدهن أو المسح ولا يتيسر ذلك الا بانكشاف الماء عنها الان خللها
غالبا يكون فيما غمره منها فلا يتمكن من اصلاحه كما يجب الا بانكشافه وأما عمل الغطاسين فلا ينفع الا فى الخروق
الصغيرة وما أشبهها ولاشك أن المبادرة بتخلل السفن وعمارتها من أهم الامور اذ لو تركت بلا اصلاح لاسرع
اليها التلف وربما انخرقت فى حال سيرها فيحصل فضلا عن غرقها وضياعها على أربابها تلف أنفس وأموال جسيمة
ومن غير الحوض يتعذر أو يتعسر اخراج السفن الى البر سيما الكبيرة جدا مع احتياج ذلك الى مصرف زائد وأعمال
شاقة ليست فى طاقة كل انسان وبالجملة فلم يجد أصحاب الافكار السليمة من قديم الزمان لهذه المعاناة الشديدة أنفع
من الحوض وتقدم فى الكلام على الاسكندرية فى مدة أصل هذه الشجرة المباركة المرحوم العزيز محمد على باشا
أن الحوض عبارة عن محل فى البحر قريب من البر يختار لذلك بحيث يكون عميقا أو يعمق بالكراكات بحيث يصلح
لدخول المراكب الكبيرة فيه يحاط ببناء متين بأحجار موّن جيدة أو يجعل من حديد وعادة يجعل طوله يسع
أكبر سفينة فى البحر وعرضه بنسبة ذلك ويجعل له فم من جهة الماء يسد بباب بهيئة مخصوصة وفيه خوخات تفتح
وتقفل على حسب الارادة فاذا أريد ادخال سفينة به للعمارة مثلا يفتح الباب فيدخل الماء ويملأ الحوض الى حد
استواء الماء فتدخل السفينة من غير مشقة ثم يسد الباب وينزح الماء منه بواسطة وابور يحرك طلومبات تأخذ الماء
من الحوض من مجار مجعولة لذلك فى جدرانه وعادة تتم هذه العملية بعد ساعات بحسب كبر الحوض وصغره حتى
تقف السفينة على مراكز من أخشاب مجعولة فيه تسمى اسقربن قائمة فوق الارض وتكون فى هذه الحالة مستندة
على أخشاب أخر تسمى المناطيل تحفظها من الميل وتستمر واقفة كذلك مدة عمارتها طالت أو قصرت وبعد فراغ
العمارة تفتح خوخات الباب فيدخل الماء حتى يملأ الحوض فترتفع السفينة مع الماء ولا يكون لها مانع من الخروج
من الحوض سوى فتح الباب ومزية الحوض الحديد على حوض البناء انه ينتقل من موضعه الى أى موضع أريد
من المينات واعماله أسهل من اعمال حوض البناء بكثير فلذلك حصل بوجوده فى تلك المينا دخول سفن كثيرة من
سفن البلاد الاجنبية لعمارتها فيه فترتب على ذلك فضلا عن الايراد المتحصل بسببه لجهة الحكومة استمرار دخول
السفن الاجنبية بالمتاجر الى ذلك الثغر وتمكنت الحكومة بهذا الامر الجليل من المداومة على صيانة سفنها
الحربية والتجارية من الخلل وصار بالمينا حوضان فصارت السهولة أكثر مما كان وعم النفع المراكب الاهلية
أيضا وقبل ذلك كانت المراكب الميرية ربما شغلت الحوض مدة طويلة فتتعطل مراكب الاهالى * ومما أكد
الرغبة فى مينا اسكندرية تنظيمها وأمن السفن بها من فعل الرياح المختلفة وذلك بسد المينا من جهة الغاطس بجسر
عريض من الدبش والصخور الصناعية ممتد بين جزيرة رأس التين والعجمى وجعل طريق فيه لسلوك السفن الواردة
الى المينا والصادرة منها ولتسهيل الشحن والتفريغ جعل فى دائرها من ابتداء مرسى الانكليز الواقع على شريط
السكة الحديد من جهة القبارى الى الحوض المبنى فى الترسانة وطول محيط ذلك ٢٦٦٤ مترا ولاجل ذلك أيضا عمل
مولص من الدبش والصخور ممتد فى المينا من ابتداء مرسى الانكليز المذكور الى جهة رأس التين فى طول ٩٩٠ مترا
وعرض ٢٧ مترا ولاجل وقاية السفن التى ترسو خلف الارصفة من الاهوية مع تسهيل نقل البضائع الى محل
الجمرك على أشرطة السكة الحديد التى وضعت عليه فهذه الاعمال كلها محاسن الافكار الخديوية لانها فضلا عن
تنظيم المينا وجعلها فى صورة حسنة نتج عنها الحصول على أرض متسعة فى دائر المينا تتمكن الحكومة من أن
تبنى فوقها ما هو لازم لمصالحها كديوان الجمرك والساعات وما أشبه ذلك مع زيادة السهولة وقلة المصرف على التجار فى
نقل بضائعهم فلذلك ازدادت رغبتهم فى مينا الاسكندرية وصرفوا النظر عن التحول الى غيرها الان العاقل لا يؤثر على

مطلب الجسر الذى عمل لسد المينا من الجهة الغربية .

جهة تفعة غيرها سيما وقد ملكوا فى الثغر أملاكا عظيمة تحملهم على ملازمتها مع كثرة منتزهات تلك المدينة والمزايا الخاصة بها كطيب الهواء ووجود الماء العذب وكثرة المزارع على تعدد أنواعها من رياحين وخلافها مما يحمل كل انسان على حب التردد اليها وتسريح طرفه فى محاسنها وأيضا قد ترتب على هذه الاعمال وعلى وجود الفنارات التى جعلت فى ساحل المينا وفى أماكن كثيرة من سواحل القطر من أبى صير غربى العجمى الى بورت سعيد وعلى شاطئ البحر الاحمر زيادة الامن على السفن السابحة فى البحرين الغربى والرومى وكثرة وفودها على الثغر وهذا بخلاف ما كان يظن أولا عند حدوث القنال من نقص عددها أو نقص مقدار رمتها ولا تم افلم يعتريها شئ ولم تزل كل حين تحلى بما يتجدد فيها من المبانى الفاخرة وتتزين المينا بالسفن العظيمة المختلفة الهيئة الواردة من بلاد أوربا وأمريكا وسائر الجهات وما ذاك الا لكون التجار عرفوا مزيتها على غيرها فى كثير من الامور وشاهدوا بها أشياء لم تكن بها من قبل حتى اشتهرت بالمحاسن شهرة أوجبت تخليد ذكرا الحضرة الخديوية ولاهمية هذه الاعمال والتصميم على اتمامها فى أقرب مدة أعطيت الى شركة انكليزية تعرف بشركة جرنلد وجعل لذلك شروط ورسوم للعمل على مقتضاها مؤرخة فى سنة ١٨٧٠ ميلادية مشتملة على بيان الاعمال اللازمة والكميات من كل نوع ومقدار المصاريف وهو قريب من خمسين مليونا من الفرنكات * ومتى تمت هذه الاعمال على حسب الشروط المعقودة تكون مينا الاسكندرية منقسمة الى مينتين احداهما كبرى جهة الخارج والاخرى صغرى وهى فى الداخل والاولى معدة لوقوف السفن الحربية والتجارية ومساحتها ٨٣٤ فدانا مصرية مقدار كل فدان ٤٢٠٠ متر وكسور وعمق الماء بها عشرة أمتار ومنها تخرج السفن الى الغاطس والجسر الذى سبق الكلام عليه يقيها من الامواج والارياح وطوله ٢٨٨٨ مترا وعرضه من أعلاه ستة أمتار وارتفاعه فوق الماء قريب من ثلاثة أمتار ومن القاع الى سطحه الأعلى ثمانية أمتار وعدد الصخور المغطى بها سطحه المعرض لصدم الامواج عشرون ألف صخرة صناعية مركبة من مونة من الرمل والجير المائى المعروف بجيروتى ومن الدبش ومكعب الصخرة عشرة أمتار مكعبة ووزنها عشرون طونولاتو عبارة عن أربعمائة وأحد وأربعين قنطارا وأما الدبش فمنه الكبير ووزنه يختلف من ألف وخمسمائة كيلوجرام الى ألفى كيلوجرام وهو مجعول للكسوة وأما الصغير فهو فى الباطن والحجر المستخرج منه ذلك هو محجر المكس وكان أولا فى يد كومبانية قنال السويس واشترته الحكومة الخديوية وأنعمت به على شركة جرنلد مع بعض الآلات والمواعين والعدد * والمينا الصغيرة مساحتها مائة وأحد وسبعون فدانا مصريا وعمق مائها ثمانية أمتار ونصف متر فى أعظم حالة الجزر والمواص المتقدم ذكره يقفلها من جهة المينا الكبيرة والسفن تدخلها من فتحة جهة الترسانة عرضها ما بين الحوض ونهاية المواص ألف متر لاجل الشحن والتفريغ على الارصفة المحيطة بها من جهة الجمرك والمحمودية والسكة الحديد والمواد التى تركب منها المواص هى صخور صناعية مثل التى تقدم ذكرها ودبش مستخرج من محجر المكس وفى الشروط جعلت مدة العمل خمس سنين وأن ما يصرف كل شهر للمقاولين يكون بنسبة المشغول الشهرى وهو يقرب من خمسة وعشرين ألف جنيه وترتب لهذه العملية مهندس انكليزى مخصوص وجعل معه بعض من مهندسى الاشغال لملاحظة الاشغال واجرائها على الوجه المنصوص فى الشروط وتقدير كمياتها الشهرية وفى الاصل كانت الشروط على عمل رصيف من الصخور الصناعية فى دائر المينا الداخل من جهة المواص من جهة البر لكن صار الرجوع عنه بعد الشروع لما ظهر فيه من الصعوبات وزيادة المصاريف لانه ظهر أن أرض قاع المينا مغطاة بطبقة كثيفة من الطمى والطين فكان كلما زاد ارتفاع المواص هبط لخفته من وقوع الرصيف بعد اتمامه ان بنى على الدبش كما هو التصميم الاول وان صار نزح الطين والطمى ووضع أساسه على الارض الصلبة زاد الصرف وبلغ قدر المقرر فى الشروط مرتين فمن بعد المداولة فيما يلزم حصل الاتفاق بين الحكومة والشركة على استعواض الرصيف بأسكلة من الحديد تتكئ على أعمدة تصل الى الارض الصلبة ويملأ فارغها بالخرسانة لتحمل الاسكلة المعدة للشحن والتفريغ * ومما تقرر عمله أيضا بالشركة سكة حديد على الارصفة والمواص وعيارات لتسهيل شحن وتفريغ المنقلات ومخازن للبضائع التجارية وكان البدء

مطلب فى المينا الصغيرة

مطلب السكة الحديد على ارصفة المينا

في

فى هذا العمل فى شهر مايه الافرنجى سنة ١٨٧٠ ميلادية وأوّل حجر رمى فى الاساس كان فى ١٥ من الشهر المذكور واجتمع له محفل شامل حضره ولى النعم وأنجاله والذوات الفخام والعلماء الاعلام والاحبار العيسويون والروم واليهود ووجوه التجار ووكلاء الدول المتحابة وعمل فى ذلك اليوم ألعاب وشنك وهو وان تحدد لانتهائه تاريخ سنة ١٨٧٦ ميلادية وقد بقى على ذلك مدة بدت بشائر ثمرات هذا الغرس النافع وتحقق من نجاح هذا المقصد الناظر والسامع فمن منذ سنتين حصل نمو محسوس فى عدد السفن الواردة على الثغر وفى كمية البضائع الواردة والصادرة وهذا ينبئ بكثرة فوائده الجليلة ومتى تم واستعملت الارصفة تحصلت الحكومة من عوائدها على ايراد يزيد عن ربح ما صرفته عليه ومع طول الزمن يتحصل منه على الفائض ورأس المال وبعد ذلك تكون العملية جميعها ربحا ومن ثمراته أيضا حفظ عوائد الجمرك وضبطها بزيادة عما هى عليه الآن اذ لا شك ان ما يتحصل بسببه من عوائد ما هو معتاد اخفاؤه الآن من دفع العوائد بسبب عدم تمكن الحكومة من اجراء جميع ما يلزم لضبطه يكون ربحا يضاف الى ما تربحه السكة الحديد مما يتجدد من الشركة التجارية التى تروم حينئذ استعمالها فى نقل بضائعها وكل ذلك يزيد فى اعتبار الحكومة المصرية وشهرتها ويمنع عن مدينة الاسكندرية ما كانت تخافه من الغوائل وتستمر حائزة لجميع المزايا القديمة مع ما يضاف اليها من المزايا التى تحصل من تداخل الحوادث الزمانية بعضها فى بعض ولاجل امكان مقارنة درجات تقدم الثغر فى زمن الحضرة الخديوية بما سبقه ومعرفة سير هذا التقدم مع الزمن نورد هنا جدولا يتضمن عدد السفن التى دخلت مدينة اسكندرية من ابتداء سنة ١٨٣٧ ميلادية ليتمكن الواقف عليه من المقارنة ومعرفة الفرق ويعلم ان القنال لم يؤثر فى ثغر اسكندرية تأثيرا محسوسا بل من الاعمال الخيرية المدبرة بالافكار الخديوية حصل نمو الايراد بنمو الزمن وها هو الجدول

سنة ميلادية	سفينة	سنة ميلادية	سفينة	سنة ميلادية	سفينة
١٨٣٧	١١٦١	١٨٤٩	١٦٥٠	١٨٦١	٢٣٧٢
١٨٣٨	١١٤٣	١٨٥٠	١٨٣٤	١٨٦٢	٢٦٣١
١٨٣٩	١٠٦٨	١٨٥١	١٨٣٧	١٨٦٣	١٨٠٢
١٨٤٠	١١٤٥	١٨٥٢	١٧٦٦	١٨٦٤	٤٢٠٩
١٨٤١	١٦٩٩	١٨٥٣	١٥٧٨	١٨٦٥	٢٢٨٣
١٨٤٢	١٤٠٨	١٨٥٤	١٠٢٣	١٨٦٦	٣٦٩٨
١٨٤٣	١٥٧١	١٨٥٥	٢٣٦٨	١٨٦٧	٣١٨١
١٨٤٤	١٥٤٧	١٨٥٦	٢٣٩٩	١٨٦٨	٢٦١٦
١٨٤٥	١٤٠٠	١٨٥٧	٢٢٠٩	١٨٦٩	٢٨٨١
١٨٤٦	١٠٤٦	١٨٥٨	٢٠٤٣	١٨٧٠	٢٨٨٦
١٨٤٧	١٠٦٤	١٨٥٩	٢٠٦٠	١٨٧١	٢٩٢١
١٨٤٨	١٧٤٥	١٨٦٠	٢٠٤٢	١٨٧٢	٢٩٥٣

وبالاطلاع على هذا الجدول يعلم أن المراكب الواردة على تلك المينا آخذة دائما فى الزيادة من ابتداء سنة ١٨٣٧ ميلادية الى وقتنا هذا حتى انه فى سنة ١٨٦٢ ميلادية بلغ زيادة عن ذلك التاريخ مرتين وزيادة وفى سنة ١٨٧٢ بلغ قدر ما كان فى سنة ١٨٦٢ مرة وثمنا فهذا شاهد واضح على انه لم يحصل من فتح القنال ما يشوش عليها فى سيرها المعتاد اذ فى السنة التى فتح فيها القنال وهى سنة ١٨٦٩ ميلادية بلغ عدد السفن الواردة على مينا اسكندرية ٢٨٨١ ثم أخذ فى الزيادة حتى بلغ سنة ١٨٧٢ ميلادية ٢٩٥٣ يعنى ان الزيادة فى ظرف ثلاث سنين اثنان وسبعون سفينة والمأمول انه متى تمت الاعمال الجارية فى المينا المذكورة يزيد الوارد عليها كثيرا وتلك النتيجة حاصلة أيضا فى السفن

مطلب جدول الواردين من الاعراب وغيرهم

الخارجة من تلك المينا الى مين الدول الاخر والزيادة حاصلة من سنة الى سنة ففي سنة ١٨٧٠ ميلادية بلغ عدد الخارج منها ٢٨٤٥ وفي سنة ١٨٧١ ميلادية بلغ ٢٨٧٢ وان نظرت الى حركة الواردين على هذا الثغر من جميع الاقطار كما هو مبين في الجدول الآتي يتحقق عندك ذلك بدون شبهة جدول الواردين على ثغر الاسكندرية من الاعراب وغيرهم من سنة ١٨٣٧ الى سنة ١٨٧٢

سنة ميلادية	عدد السياحين	سنة ميلادية	عدد السياحين	سنة ميلادية	عدد السياحين
١٨٣٧	١٠١٧٦	١٨٥٠	٠٧٥٧٤	١٨٦٢	٣٢٧٢٢
١٨٣٨	١٤٤٣٨	١٨٥١	١٧٦٠٣	١٨٦٣	٤٣٣٣٣
١٨٣٩	١٥٠٦٦	١٨٥٢	١٨٣٠٣	١٨٦٤	٥٦٢١٢
١٨٤٠	١٥٠٦٥	١٨٥٣	١٩١٣٨	١٨٦٥	٧٤٩٩٠
١٨٤١	١٠٨٥٧	١٨٥٤	٢٢١٧٢	١٨٦٦	٥٠٣١٧
١٨٤٢	١٨٧٠٠	١٨٥٥	٢٦٦٨٠	١٨٦٧	٤٥٩٥٠
١٨٤٣	١٣٠٩٧	١٨٥٦	٣٣٤٢٩	١٨٦٨	٤٣٥٣٨
١٨٤٤	١٣٠٩٧	١٨٥٧	٣٦٦٨٥	١٨٦٩	٧٧٧٧٦
١٨٤٥	١٤٠١٥	١٨٥٨	٣٥٤٨٧	١٨٧٠	٦٤٣٢٨
١٨٤٦	١٨٩١٣	١٨٥٩	٣٩٠١٥	١٨٧١	٥١٤٨٢
١٨٤٧	١٥٦٥٣	١٨٦٠	٢٨٩٢٤	١٨٧٢	٦٧٧٧٢
١٨٤٩	١٧٤٣٥	١٨٦١	٢٨٩٦٣	....	.....

وبالتأمل في هذا الجدول يعلم ان عدد الواردين بالثغر على اختلاف مقاصدهم بلغ في سنة ١٨٧٢ ميلادية قدر الواردين عليه في سنة ١٨٣٧ ست مرات واذا أخذت متوسط الواردين على الثغر من ابتداء استقرار الخديوي اسمعيل على التخت وهو ٥٩١٩٦ وقابلته بعدد الواردين في السنة السابقة على توليته وهو ٣٢٧٢٢ تجد الزيادة السنوية المتوسطة ٢٦٤٧٤ وهي لا تنقص عن الاصل الا بقدر خمسة تقريبا ويظهر من ذلك ان عدد الواردين بلغ عدد الاصل مرتين الا خمسا وربما فاقها في السنين التي لم يعمل فيها الاحصاء وهما سنتان سنة ١٨٧٣ وسنة ١٨٧٤ وفي تلك النتائج دلالة على متانة الارتباطات والعلائق الحاصلة بين الديار المصرية والاقطار الاجنبية ومما يؤكد ذلك حركة التجارة نفسها فقد بلغ مشحون السفن الواردة على الثغر في سنة ١٨٧١ (١٢٧٥٦١٩) طونولاتو وبلغ مقدار الوارد من البضائع في جميع المين ٤٢٥٥٦ طونولاتو وبيانه

	سفينة	طونولاتو
مينا أبي قير	٥٣٨	٠٠٤١٢
في السويس ..	٥٥٤	٠٠٣٢١
في رشيد	٩٠٩	٠٠٩٠٥
في دمياط ..	٧٧٧	٤٠٩١٨
	٢٧٧٨	٤٢٥٥٦

والخارج من القطر من هذه المين الى بلاد السواحل الشامية والرومية وغيرها يقرب من ذلك وهذا خلاف الوارد على مينا السويس من جهة السواحل السودانية والحبشية والحازية وغيرها * وقيمة ما خرج من البضائع المصرية المتنوعة من مينا اسكندرية في سنة ١٨٧٠ ميلادية بالقروش الرومية ٦٩٩٫٥٣١٫٧٤٩ وهو عبارة عن

عشرة

عشرة ملايين من الجنيهات المصرية وقيمة الوارد عليها بالقروش المصرية فى السنة المذكورة ٣٦٦٠٥٧٦٥٠ وقيمة الوارد من البلاد الاجنبية على جميع مين القطر المصرى بالقروش المصرية ٤٠٠١٥٦٩٣ وبيان ذلك

قيمة الوارد من مين البلاد الاجنبية للقطر المصرى		قيمة الخارج من المين المذكورة هو كالمبين فى هذا	
الوارد على مينا اسكندرية	٣٦٦٠٧٥٦٥٠	قيمة ماخرج من اسكندرية	٨٦١٩٣٢٦٠٠
الوارد على مينا دمياط	٠٠٠٣٤٥٦٦٢	قيمة ماخرج من دمياط	٠٥٩١٣٤٨٠٠
الوارد على بورت سعيد	٠١٠٩٥٧٧٦٢	قيمة ماخرج من بورت سعيد	٠١١١٢٢٢٠٠
الوارد على مينا السويس	٠٢٠١٤١٩٤١	قيمة ماخرج من السويس	٠٨٠٥٦٧٧٦٦
الوارد على مينا العريش	٠٠٢٣٥٥٢١٢	قيمة ماخرج من العريش	٠٥٣٦٤٤٧٠٠
الوارد على مينا القصير	٠٠٠٠٨٩٤٦٦	قيمة ماخرج من القصير	٠٣٤٣٤١٧٠٠
الوارد على مينا سواكن	٠٠٠١٠٠٠٠٠	قيمة ماخرج من سواكن	٠٤٥٧٨٨٩٣٣
الوارد على مينا مصوع	٠٠٠١٠٠٠٠٠	قيمة ماخرج من مصوع	٠٢٢٨٩٤٥٣٣
	٤٠٠١٦٥٦٩٣		

ومجموع قيم المبادلات الداخلة والخارجة فى نفس هذه السنة التى انتفعت منها الجمارك المصرية وتداولتها أيدى التجار من أهلين وغيرهم قدره ١٥١٩٥٥٢٩٢٥ وهو تقريبا عبارة عن خمسة عشر مليونا من الجنيهات المصرية ولم تقف التجارة عند هذا الحد بل هى دائما فى الزيادة حتى بلغ مقدار قيمة الوارد من البضائع على مينا الاسكندرية فى سنة ١٨٧٢ ميلادية ٥٩٠٢٩١٤٨٩ وبلغ قيمة الخارج من الثغر المذكور الى الجهات فى تلك السنة ١٣٣٠٤٨٣٨٠٩ ومجموع الحاصلين ١٩٢٠٧٧٥٢٩٨ قروش مصرية وهو عبارة عن تسعة عشر مليونا من الجنيه المصرى وربع مليون بمعنى انه فى ظرف سنتين زادت قيمة ماورد وماخرج من الثغر المذكور أربعة ملايين وربع مليون جنيهات وما زاد أنواع المتاجر فى هذا الوقت لما اشترك جميع الملل فى هذا الامر كل أمة بحسب حالها وسعة اقتدارها فانا نرى المبلغ السابق بيانه موزعا بهذه الكيفية

	قيمة الوارد منها	قيمة الصادر اليها		قيمة الوارد منها	قيمة الصادر اليها
البلاد الانكليزية	٢٦٨٧٧٣٣١٩	٩٩٩٤٤٣٦٥١	البلاد النمساوية	٦٠٥٧٦٤٢١	٥٩٨٦٠٤٦٢
البلاد الفرنساوية	٠٦٣٩١٥١٩٩	١٢٥٤٢٢١٢٣	البلاد التليانية	٤٥٥٥٠٦٥٧	٨٣٢٣٠٤٤٣
الدولة اليونانية	٠١٢٧٤٣٢٢١	٠٠١١٤٥٥٣٠	بلاد البلجيكا	٠٠٧٥٠٩٩٢	٠٠٦١٣٣٦٨
بلاد الاتيازونى من الامريكا	٠٠٧١٦٨٠٠٠	٠٠٣٩٠٧٥٧٥	بلاد الروسيا	٠١٤٧١٨٦٠	٢٦٣٢٤٣١٠
بلاد السويد	٠٠٢٠١٣٦٠٠	....	بلاد الالمانيا	٠٠٥٣٥٦٠٠	....
بلاد الترك أوروبا وآسيا الصغرى	٠٦٦٦٠٨٢٩٩	٠١٦٧٤٨٧٥٩	بلاد الشام	٣٣٦٤٠٦٤٨	١٣٢١٣٣٧٥
بلاد المغرب	٠٢٧٦٨٧٦٥٧	٠٠١٥٧٤٢٢٣			

وبالتامل فى هذا الجدول يعلم ان قيمة الوارد والصادر من البلاد الانكليزية الى الديار المصرية يبلغ ضعف قيمة جميع البضائع الصادرة والواردة من كل دولة على حدتها وان كل دولة على نحو النصف منها وبمقارنة أحوال التجارة فى هذا الزمن باحوالها فى المدد السابقة تجد بينهما بونا بعيدا فان قيمة البضائع الواردة على الثغر والصادرة منه فى سنة ١٨٢٣ ميلادية أعنى قبل الآن بخمسين سنة كان قريبا من مليونين وثلث مليون جنيه مصرى وهو قريب من تسع قيمة بضائع سنة ١٨٧٢ وان نسبته الى قيم الوارد والصادر فى سنة ١٨٦٢ ميلادية تجده فى هذه السنة قريبا من اثنى عشر مليونا وثلث مليون جنيه مصرى وهو أقل من قيمة التجارة فى سنة ١٨٧٢ باكثر من نصفه

مطلب فى بيان عدد السفن الواردة على مينا السويس من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٧٢

فقد ظهر لك أن التجارة والارباح لم تزل آخذة فى الزيادة من سنة الى سنة من ابتداء جلوس المرحوم محمد على باشا على التخت واستمرت على ذلك فى زمن من خلا وعلى هذه الديار وأن بلوغها الدرجة العظمى كان بالهمم الخديوية وكان كمية الوارد والصادر آخذة فى الزيادة فى ذلك الثغر كذلك فى المين الاخر ففى مينا السويس مثلا حركة السفن الواردة عليه كهذا المبين فى الجدول

سنة ميلادية	عدد السفن	سنة ميلادية	عدد السفن
١٨٤٩	١١٩	١٨٦١	٤٠١
١٨٥٠	١٤٦	١٨٦٢	٣٧٧
١٨٥١	٢٠٥	١٨٦٣	٣٤٧
١٨٥٢	٢٠٤	١٨٦٤	٣٦٣
١٨٥٣	٢٢٥	١٨٦٥	٤٢٥
١٨٥٤	٢٦٩	١٨٦٦	٣٥٣
١٨٥٥	٢٩٨	١٨٦٧	٣٧٠
١٨٥٦	٣٠٧	١٨٦٨	٣٣٥
١٨٥٧	٣٧٤	١٨٦٩	٣٥٨
١٨٥٨	٣٧٢	١٨٧٠	٣٢٦
١٨٥٩	٣٧١	١٨٧١	٣٧٦
١٨٦٠	٣٦٨	١٨٧٢	٨٥٨

مطلب فى بيان عدد السفن الواردة على مينا سواكن والقصير ومصوع

وبعد مضى أربع وعشرين سنة من ابتداء سنة ١٨٤٩ ميلادية بلغ عدد السفن الواردة على ذلك الثغر فى سنة ١٨٧٢ ميلادية قدرما كان يرد قبل ذلك ثمان مرات وكان القنال لم يعطل حركة التجارة فى هذا الثغر لم يعطلها فى غيره من الثغور وبسبب المساعى المثمرة من الحكومة الخديوية فى الاقطار المصرية والسودانية كثر سير التجارة فى البحر الاحمر وعما قليل تقارن تجارة البحر الابيض وتعود الى هذا الطريق شهرته القديمة التى أضاعتها حوادث الزمان لان السواحل السودانية بلغت بهمته السنية مالم تبلغه فى زمن قبله فانك ترى السفن الحربية والتجارية داخلة وخارجة من مين البحر الاحمر وقد بلغ عدد السفن المترددة على هذه المين فى سنة ١٨٧٢ ميلادية ١٦٤٠ سفينة ما بين بخارية وشراعية وبلغ ما كان بها من البضائع فى ظرف هذه السنة ٨٥٥٨٠ طونولاتو وبيان ذلك

	سفينة	حمولة
ميناسواكن	٣٥٢	٠٨١٠٣
ميناالقصير	٠٨٧٢	٤١٢٣٤.
مينامصوع	٤١٦	٣٦٢٥٣

وأما المراكب الصغيرة ذات الشراع فقد دخل منها الى مينامصوع فى هذه السنة ١٤٠٢ حاملة ١٤٢ طونولاتو وبلغ عدد الركاب فى تلك السنة قريبا من ستة عشر ألف نفس غير العساكر وينسب الى المين الاخر ما يقرب من ذلك ولا يخفى ما فى ذلك من الدلالة على اتصال منافع جهات البحر الاحمر بمنافع جهات البحر الابيض وغرس حبة التمدن فى سواحل أرض السودان كغرسها فى أرض مصر حتى ترعرع زرعها وأثمر وذاق طعم ثمراتها كثير من الاهل والاغراب فمعرفو امزية هذا الغرس وألفوه وأوسعوا فى زرعه وباستمداده من طرف الحضرة الخديوية لابد أن يسرى

الى

مطلب الكلام على البوسطة الخديوية وعلى ما نشأ عنها من المنافع

الى البلاد السودانية ويؤثر فى أرضها وطباع أهلها وينقلهم من الخشونة والتوحش الى التنعم والتأنس حتى يصبحوا بما نالوا من الثروة مقرين لحضرته بالشكر الجميل داعين له ولانجاله بتخليد دولتهم وبتوفيقهم الى أقوم سبيل
ومن الاعمال السديدة التى تقدمت بها التجارة على سالف سيرها احداث البوسطة الخديوية فانه حصل بوجودها فى المصرين استمرار ورود ما كان يرد على القطر من بلاد كثيرة من جهات السواحل الرومية والغربية والسودانية ولو بقى الامر على ما كان عليه قبل لانقطع ذلك أو قل وقد دلت جداول الاحصا آت على ان هذه المصلحة نقلت فى سنة ١٨٧٢ ميلادية من نوع المكاتيب فقط ٢٠٧٥٣١٤ من ضمنها ٧٧٣٩٦ مكتوبا من البلاد الاجنبية واليها من الديار المصرية ومن صنف النقود والحوالات ما بلغ قدره بالقروش المصرية المصرية ١٦٣٣٥٨٤٢٠٩ ولولا البوسطة لاختل نظام بعض الثغور المصرية خصوصا ثغر الاسكندرية فهى فكرة جليلة من الحضرة الخديوية ترتب عليها زيادة عمارية سائر الثغور المصرية لاسيما وقد جعلت بورت سعيد معتبرا اعتبار الثغور الاصلية لما حصل منه من الفوائد الجليلة العائدة على ما جاوره من البلدان لان هذا الثغر بالنسبة لما جاوره كثغر الاسكندرية بالنسبة لسائر الجهات اذ يرد عليه من مديريات الشرقية والغربية والدقهلية من متجرات اهل تلك الجهات كما يرد الى الاسكندرية من مديريات البحيرة والغربية وان كان باعتبار حالته الراهنة لا يبلغ معشار ما عليه مدينة الاسكندرية من الرفاهية ولكن لكونه مرسى السفن الواردة من الجهات الشرقية والغربية استدعى ذلك أن يكون به حركة تجارية ومعلوم ان تغذية هذه الحركة انما تكون فى الغالب من أهل الجهات المجاورة له ولا يخفى ما فى هذا من الفوائد العائدة عليهم وعلى غيرهم

مطلب فى بيان عدد السفن التجارية للبوسطة وفى بيان قوتها وما تحرقه فى السنة الواحدة من الفحم الحجرى

وقد أحصى عدد السفن المارة بالقنال فى سنة ١٨٦٠ ميلادية فكان ١٠٥ وعدد السياحين المارين به فكان ٤٠١ ثم أخذ يزيد حتى بلغ الوارد به من السفن فى سنة ١٨٧٢ ميلادية ١٤٤٣ ومن السياحين ٦٢٠٦٢ والمتوسط فى ظرف الثلاث عشرة سنة من السياحين ١٧٦٤٦ ولا بد أن ذلك يزيد على طول الزمن وكذلك الحال فى المسافرين الذين نزلوا بهذا الثغر ثم ارتحلوا منه الى الديار المصرية لان عددهم فى سنة ١٨٧٠ ميلادية كان ٢٨٢٩ وفى سنة ١٨٧٢ كان ٢١٣٧٦ ولا ينكر أحد أن نزولهم بهذا الثغر وقيامهم منه الى أى جهة من القطر يستوجب من طرفهم مصاريف بحسب أحوالهم وثروتهم واختلاف مقاصدهم فتقع فى أيدى الاهالى وتزيد بذلك حركة التجارة لانها تابعة للاخذ والاعطاء قلة وكثرة وتشتمل البوسطة الخديوية على ستة وعشرين سفينة بخارية تحرق فى السنة الواحدة ٦٥٥٠٠ طونولاتو من فحم الحجر منها فى البحر الرومى ٥١٢٠٠ طنا وفى البحر الاحمر ١٤٣٠٠ طنا وبيان تلك السفن ومقدار قوتها هو ما فى هذا الجدول

عدد	أسماء السفن	قوتها حصان بخارى	عدد	أسماء السفن	قوتها حصان بخارى
١	الرحمانية	٣٠٠	١	مشير	١٤٠
١	تاكا	٣٠٠	١	المنصورة	١٤٠
١	الفيوم	٣٠٠	١	المحلة	١٢٠
١	البحيرة	٣٥٠	١	السطلية	١٢٠
١	الشرقية	٣٥٠	١	دمنهور	١٢٠
١	الدقهلية	٣٥٠	١	الزقازيق	١٢٠
١	طنطا	٣٥٠	١	الحجاز	١٥٠
	شبين	١٤٠	١	حديدة	١٣٠
	دسوق	٢٠٠	١	الينبع	٠٩٧
١	كوفين	٣٠٠	١	سواكن	٠٨٥
١	سمنود	٢٥٠	١	مصوع	٠٨٥
١	المنيا	١٧٠	١	القصير	٠٩٧
١	الجعفرية	١٦٠			

وهذا خلاف الدونمة المصرية المشتملة على أربع عشرة سفينة بخارية قوة آلاتها ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون حصانا بخاريا تستهلك من الفحم الحجرى كل سنة عشرة آلاف طونولاتو منها فى البحر الرومى ستة آلاف طن وفى البحر الاحمر أربعة آلاف ومقدار حمولتها كلها ١٦٤٧٦ طن وبيان السفن المذكورة هكذا

عدد	أسماء السفن	قوتها حصان	عدد	أسماء السفن	قوتها حصان
١	المحروسة ركوبة الخديوى	٨٠٠	١	دنقله شالوب	٠٨٠
١	مصر ركوبة المعية الخديوية .	٦٠٠	١	الطورشالوب	١٨٠
١	الغربية ركوبة العائلة الخديوية	٥٠٠	١	سنادشالوب	١٢٠
١	محمد على فرقطين	٤٥٠	١	الخرطوم شالوب	٢٠٠
١	سرجهار	٤٥٠	١	سيوط وثلاث مراكب صغيرة ..	٣٠٠
١	اطايف كرويط	٣٠٠			

وباضافة جميع السفن التجارية المترددة على المين عا فيها من ملك الاهالى خلاف وابورات النيل الى ماسبق يتحصل على ٥٥٠ سفينة كافية لشحن ٥٣٧١١ من الطونولاتو وهو عبارة عن ١١٨١٦٤٢ قنطارا مصريا فان أضيف الى ذلك مقدار ما تحمله مراكب الشراع الموجودة فى البحرين الرومى والغربى يكون قدر ما يحمل على المياه المصرية هو

سفن	قنطار	
٠٠٥٥	١١٨١٦٤٢	بالسفن التجارية
٠٥٥٥	٠٦٧٩٩٩٨	بمراكب الشراع فى الاحمر والابيض
٩٠٦٣	٠٣٥١٨٥٨	فى مراكب النيل

وعدد السفن التجارية الموجودة على بحر النيل ٥٨ سفينة منها ٢٨ خاصة بمصالح الدائرة السنية والباقى مستعمل فى المصالح العمومية ومقدار قوة تلك السفن ألف وأربعمائة حصان وتحرق فى السنة الواحدة ٢٦٢٥٠.٥ طونولاتو من الفحم الحجرى وجميع هذه القوى حادثة بالهمم الخديوية وهى من أعظم أسباب الثروة ومن أكبر أدلة التقدم لهذه الاقطار اذ ما حصل بسببها من الفوائد داخلا وخارجا لا ينكر وبها تيسر نقل الاثقال الكبيرة فى أقرب وقت باقل كلفة مع اختراقها جميع البحار فى سائر الفصول آمنة من عواصف الرياح وتلاطم الامواج فقد عم الامن جميع الطرق برا وبحرا وأخذت تلك القوى فى النمو شيأ فشيأ من غير فترة والى أن وصلت الى ما هى عليه الآن وهكذا لا تزال ترقى فى درج التقدم وبعد ان كانت الديار المصرية أسيرة السفن الاجنبية لم تقتصر على التخلص من هذا الاسر بل اجتهدت حتى زاحمت جميع الدول فى مزاياها وجعلت لها خطوطا تجارية تسير فيها صادرة وواردة وترقى البحار المجاورة لها على الجهات الواقعة عليها وتشترك مع غيرها فى وجوه الانتفاع الى أن صار لها خطوط تربط بلاد اليونان وبلاد آسيا فى البحر الرومى وترقى فى البحر الاحمر لجهة مصوع وسواكن وجدة وبلاد العرب وهذا غير مالها فى بحر النيل وخط اليونان يرد ها باولا بالجزيرة سيرا وجزيرة شيو ومدينة أزمير وميلتين وتندوى والدردنيل وجاليبولى والقسطنطينية أما الشركات البحرية التجارية المعدة لركوب السياحين ونقل البضائع غير البوسطة الخديوية فهى كثيرة وطرقها الديار المصرية وأشهرها الشركات الآتى بيانها

(الشركة

(الشركة المعروفة بالمساجرى انبريال) وهى فرنساوية ومن قوانينها قيام وابور من الاسكندرية فى كل يوم سبت بعد
كل أسبوعين وحضور وابور آخر من مرسيليا فى يوم الاحد التالى لقيام الوابور الاول وعادة وابوراتها المرور بمدينة
بورت سعيد ويافا وبيروت وطرابلس وانطاكية واسكندرية ومرسيليا وورودس وازمير والدردنيل وجيبولى
والقسطنطينية ولهذه الشركة وابورات تتوجه الى الصين الغربى المعروف بالكوشانشين وفى كل يوم سبت تقوم
سفينة من مدينة بورت سعيد الى هذه الجهات وتحضر سفينة أخرى من هذه النواحى (الشركة الشرقية الانكليزية)
هذه الشركة من أعظم الشركات الانكليزية لكثرة وابوراتها وتعدد وكلائها فى جهات كثيرة مثل اوروبا وآسيا وافريقا
ولها عدة خطوط تمر فى البحر الرومى الى مصر وديوان وكيلها فى الديار المصرية بالاسكندرية فى ميدان محمد على وقبل
حدوث القنال كانت جميع البضائع المنقولة بمراكبها سواء كانت من البلاد الاوروباوية أو الشرقية أو الهندية تنقل
من البحر الى السكة الحديد فكان يحصل من ذلك ايراد عظيم لتلك المصلحة ومن بعد اتمام القنال صار أغلب مراكبها
يمر بأحماله فيه ويرسو على مينا السويس والاسكندرية لنقل بضائعه على السكة الحديد والخط الاول من خطوطها
المارة بمصر أوله مدينة سوتامتون وآخره اسكندرية ويمر بجبل الطارق وجزيرة مالطة ومسافة الطريق ٢٩٥١ ميلا
انكليزيا كل ميل ألف وستمائة متر وبعض أمتار ومدة السفر تستغرق ٢٩٥ ساعة والقيام من سوتامتون كل يوم
سبت والحضور الى اسكندرية كل يوم جمعة والقيام منها كل يوم أحد والخط الثانى من خطوطها الى مصر أوله مدينة
برنديزى من ايطاليا وآخره الاسكندرية والمسافة ٨٢٥ ميلا انكليزيا ومدة السفر ٨٢ ساعة وقيام الوابور من
برنديزى كل يوم ثلاثاء وحضوره الى اسكندرية كل يوم جمعة والقيام منها كل يوم أحد أو ثلاثاء والخط الثالث أوله بنى
وآخره مدينة السويس ويمر بناحية عدن من سواحل العرب والمسافة ٢٩٧٢ ميلا انكليزيا ومدة السفر ٣١٣ ساعة
والثلاثة خطوط المذكورة تشتغل مرة واحدة فى كل أسبوع (شركة لويد النمساوية) هذه الشركة كانت تنقل
بضائعها الى السكة الحديد المصرية قبل اتمام القنال وبعد اتمامه انقطع استعمالها لها ولم تكن كثيرة السفن وايرادها
كان أقل بكثير من ايراد الشركة المشرفة الى السكة الحديد ومع ذلك كانت هى الثانية فى الايراد ووكيل ادارتها محله
فى ميدان محمد على ومراكبها تسافر من ترسينة الى الاسكندرية فى كل يوم جمعة بعد نصف الليل وتحضر بجزيرة
كورفو بعد يومين والى الاسكندرية بعد خمسة أيام وتقوم وابوراتها من الاسكندرية فى كل يوم اثنين وقت الظهر ولها
سفن تمر بين الاسكندرية والقسطنطينية وتبتدئ من مدينة ازمير وتمر بميلتين وتندوس والدردنيل وجيبولى
والقسطنطينية وقيامها من الاسكندرية كل يوم ثلاثاء ولها خط لجهة الشام يمر بمدينة بورت سعيد ويافا وبيروت
وجزيرة قبرص وجزيرة رودوس وجزيرة شيو وأزمير وميلتين وتندوس والدردنيل وجيبولى والقسطنطينية والقيام
من اسكندرية يوم الجمعة بعد كل أسبوعين (الشركة المسكوبية) هذه الشركة طريقها ما بين مدينة أوديسا المسماة
عندنا خوخة بكر بين سواحل البحر الاسود ومدينة الاسكندرية ومحل وكيلها فى ميدان محمد على من الاسكندرية
وتقوم من أوديسا مرتين فى كل شهر ووابوراتها القائمة من الاسكندرية تمر بمدينة بورت سعيد ويافا وبيروت وجزيرة
رودس وجزيرة شيو وازمير والقسطنطينية (شركة روباتينو) أصحاب هذه الشركة من الجونيين ووابوراتهم طريقها
ما بين مصر وبنى والقيام فى خامس كل شهر وفى الخامس والعشرين منه وتمر فى طريقها ذهابا وايابا بمدينة ليورفه من
ايطاليا ومدينة نابل ومدينة ميسين ومدينة الاسكندرية والقيام من اسكندرية عادة فى السابع والسابع عشر
والسابع والعشرين من كل شهر ومدة السفر ثمانية أيام والقيام من مدينة جنوة الى بنى فى الرابع والعشرين
من الشهر والوصول الى بورت سعيد فى أول كل شهر (شركة فرسينى) سفن هذه الشركة سائرة ما بين مدينة مرسيليا
ومدينة اسكندرية ومحل وكيلها بالديار المصرية فى ميدان محمد على وتقوم وابوراتها من مرسيليا فى الخامس
عشر وفى الثلاثين أو الواحد والثلاثين من كل شهر ومسافة الطريق ١٤١٠ أميال بحرية ومدة السفر ثمانية أيام
ومن عاداتها المرور بمالطة والوقوف بها وقدر الاجرة بها فى الدرجة الاولى ٢٢٥ فرنكا وفى الدرجة الثانية ١٦٠ فرنكا
وفى الدرجة الثالثة ٦٠ فرنكا وأجرة الدرجة الاولى ذهابا وايابا معا ٤٠٠ فرنك والدرجة الثانية ٢٨٠ والثالثة
١٠٠ (شركة جام موسى) سفن هذه الشركة جارية بين ليوربول من جزائر الانكليز وبين الاسكندرية وتمر بجبل

الطارق وجزيرة مالطة وسواحل الشام وقيامها فى كل أسبوع ومحل وكيلها بمدينة اسكندرية الوكالة الجديدة نمرة ١٥ وهنالك شركات أخرى لم نذكرها منها ما ترسو سفنها بالسواحل الرومية ومنها ما ترسو سفنها بالسواحل الشامية ومرسى الجميع هو الاسكندرية (سفن البوسطة الانكليزية) البوسطة الانكليزية تقوم وابوراتها من اسكندرية بعد وصول البوسطة الواردة من الهند بثمان عشرة ساعة أو أربع وعشرين ساعة على حسب الاحوال والقيام من ترندزي يوم الثلاثاء فى الساعة الخامسة من النهار (البوسطة الهندية) الواردة من الطين ومن يابونيا والاسترالى تسافر فى مراكب البوسطة المتوجهة الى الاثبازونى والممالك المجتمعة الامريقانية (البوسطة النمساوية) محلها فى حارة شريف باشا من مدينة اسكندرية ولها قوانين ولوائح وهى مختصة بتوصيل المكاتبات والكتب والجرانيل والاشياء الثمينة (البوسطة اليونانية) محلها حارة المسلة (البوسطة التليانية) محلها حارة محمد توفيق (الفصل الثالث) فيما عاد على الاسكندرية من فوائد السكة الحديد والاشارات التلغرافية ومن المعلوم ان هذه الاعمال التى تقدم الكلام عليها وان كانت فوائدها كثيرة منها بلوغ مدينة الاسكندرية الدرجة التى وصلت اليها لكن أعظم هذه الاعمال وأحق ما يصرف فيه نفائس الاموال هو السكة الحديد والاشارات التلغرافية لان هذين الاختراعين من بين سائر الاختراعات البشرية قد رفعا عن الانسان انواعا من المشاق وقربا له ما بعد من الآفاق حتى أمكنه فى أقرب زمن أن يحصل على ما كان يحاوله فى آلاف من الناس وكثير من الوسائط فى زمن طويل وهيهات ان وصل الى مقصده أو تحصل على مقصوده وقد تيسر بهمة الدولة المحمدية العلوية اشتمال الديار المصرية كغيرها من البقاع المتمدنة على هذين الاختراعين والانتفاع بهما غير ان كمال أعمالهما وبلوغ ما يحصل منهما من الفوائد لم يتم الا فى عهد الخديوى افندينا اسمعيل باشا حفظه الله فانه من حين جلوسه على تخت الحكومة المصرية وجه كل أفكاره الى تنظيم السكك الحديد والتلغرافات المصرية وتحصيل لوازمهما وتوسيع دائرة عملهما وتوزيع فروعهما فى جميع أرجاء قطره حتى عم نفعهما وعما قليل بواسطتهما تلتحق الامم السودانية التى لم تغيرها المؤن من السنين عن التبربر والتوحش بالديار المصرية وتذوق لذة ثمرة التمدن والعمارية وتزول من بين سكانها دواعى النفرة واسباب الفقر وتعمر أرضها الواسعة ونواحيها الشاسعة بانواع المزارع وتكثر بها المدن والقرى ويسكنها الاغراب مع الامن ويطوفون بقاعها ويختبرون خواصها ويستخرجون خباياها وتتصل البلاد المصرية بالسودانية فيكتسب كل منهما طبع الآخر وتتسع دائرة المنافع فى كلا القطرين وبالاستمرار على ذلك تحسن أحوال البلاد السودانية وتسرى رفاهيتهم وتمدنهم الى من جاورهم من الامم المتوحشة المنتشرة فى داخل افريقة وفى سواحلها ومع تردد المصريين والاغراب من سائر الملل على بلادهم بانفاس ومساعى الحضرة الخديوية تتخلص بقعة افريقة من ربقة أسر الجهل والتوحش كما تخلصت بلاد امريقا من توحشهم بدخول الاندلسيين والافرنج ببلادهم وكما تخلصت جهات من الهند والسواحل الصينية والاوقيانوس بدخول الانكليز بها وتكون هذه النتيجة وحدها كافية فى تخليد ذكر الحضرة الخديوية كافلة له بسبقه على من تقدمه فى هذه المزية فانه أول من تفكر فى أحوال الاقطار السودانية وسعى لها بنصيب من المنافع الجمة التى تم سائر الاقطار فعلى كل انسان أن يدعو له بطول أيامه وتوفيقه لطريق الصواب فى أحكامه اذ من فوائد ذلك امكان السياحة فى هذه القطعة من الدنيا والاطلاع على ما تشتمل عليه باقل كلفة فى أقرب زمن بعد ان كان من يقصد ذلك مع عدم بلوغه اتمام مقصوده يستغرق زمانا طويلا ويقاسى من الغوائل والعوارض ما يضر بصحته وربما اعتراه من المرض ما يؤدى الى هلاكه ان سلم من الحيوانات المفترسة وسكان تلك الجهات فكان المتصدى للوصول الى هذه البقعة مخاطرا بنفسه غير خاف عليه ما هو أمامه من الاهوال وانما يحمله على اقتحام تلك المشاق طمعه فى تحصيل أغراضه وقصده نفع النوع الانسانى فالآن قد هانت بالهمم الخديوية مستصعبات أمور السياحة بما تمهد من وسائط الامن كالحراسة والخفارة من قبل اتمام السكك الحديد وسهلت طرق السير فى جميع أرجاء الاقطار السودانية الممتدة الى دائرة الاستواء طولا ومن ساحل البحر الاحمر الى بلاد دارفور عرضا وبما صرف من طرف الحضرة الخديوية من الاموال وما بذله رجاله من الاعمال أخذت أحوال أهل تلك البقاع المتفرقة فى الاستقامة وقد سمع المتبربرون من أهل تلك الجهات بالشهرة الخديوية فخافوها كما سمع بها من سامتهم من متمدنى تلك البقاع فعظموها وانما نوجنا فى هذا

المقام عما نحن بصدده من الكلام على ما يتعلق باسكندرية لان اعظم فوائد هذا الامر جول جواد الفكر على الجولان في ميدانه على انه لا يخلو من المناسبة والارتباط بذلك فان مدينة اسكندرية كانت من قديم الزمان معتبرة بالنسبة للتجارات الجارية في جميع بقاع الارض كالروح بالنسبة للحيوان وهي الآن حائزة لهذا الاعتبار وثروتها وعزها ينتجان ثروة الاقطار المصرية وتقدمها فلا يبلغ القطر غاية ثروته الا ببلوغ التجارة شأوها وفي الازمان القديمة كانت طرق التجارة الواصلة الى اسكندرية كثيرة فكانت طرق التجارة العربية بحر القلزم وطريق عيذاب وطريق القلزم أو السويس وكان النيل طريق التجارة السودانية والواحات طريق التجارة السودانية والمغربية وكانت التجارات الشامية مع الملحق بها من تجارات الاقاليم الاخر طريقها البحر الرومي وطريق الفرما وتجارة السواحل الافرنجية وجزائر البحر طريقها البحر الرومي أيضا وكان مرسى هذه التجارات مدينة الاسكندرية فتجتمع بها وتتفرق منها وهذا هو الذي أوجب ثروتها وكثرة أهلها فمتى وصلت الاقطار السودانية الى درجة التمدن والامن تعظم تجارتها وتتسع ويعود على الاقطار المصرية منها ما لا حصر له من الفوائد لان أهل تلك الجهات متى تحلوا بالمزايا الانسانية وتخلوا عن جلابيب الحالة الخشنة الوحشية وذاقوا لذة ثمرات المعارف والعلوم وانتشرت فيما بينهم موجبات تقدم البضائع والحرف يكسبهم ذلك كله معرفة ثمرة الانضمام والاتحاد مع الغير للتعاون في الاعمال واكتساب الفوائد الظاهرة والباطنة فيحرصون على اجتناء ثمرة الالفة والتقارب وتدب فيهم الطباع الحسنة والعوائد المألوفة ويسعون فيما به تنظيم أحوالهم وتحسين هيآتهم فحينئذ يكبون على خدمة أرضهم فيكثر محصولها ويتنوع وبما يكتسبونه من المعارف ربما يستكشفون المستور بها من المعادن كالذهب والفضة والنحاس ويستعملون ذلك في حوائجهم وضرورياتهم ويتجرون فيما يزيد عن لوازمهم ومتى وصلوا الى هذه الدرجة بلغت التجارة بين أهل تلك البلاد وبلاد مصر درجة لم يسمع بها من قبل ويعود الى اسكندرية بحرها التليد وتكون مركزا لجميع تجارات بقاع الارض كما مر وقد علمت ان كثيرا من تلك التجارات طريقه الديار المصرية فتمر بها التجارة السودانية طولا والتجارة الهندية والمشرقية والاوروباوية عرضا وبمرورها تنال منها المدن والبنادر والقرى حظوظا وفوائد تكسبهم زيادة الرفاهية وحسن الحال فاذا تأملت ما تلوناه عليك تقف على حقيقة محاسن المغارس الخديوية وما ينشأ عنها للقطر في العاجل والآجل فان مقصده تعميم المنافع من غير نظر لزمن معين فلذا نتج من أفكاره الجليلة السامية من ابتداء جلوسه على التخت الى سنة ١٢٩٢ هجرية أعني في ظرف ١٣ سنة اشتمال القطر على سكك حديد توزعت في نواحيه وامتدت في جهاته بطول ألف وثلثمائة وخمسة وعشرين ميلا انكليزيا وهذا غير الخطوط المستعملة في نقل محصولات الزراعة وقد كان الموجود من السكة الحديد الى آخر زمن المرحوم سعيد باشا ٢٤٥ ميلا انكليزيا وكان جميعه في الوجه البحري فيكون والذي زاده الخديوي في ظرف هذه المدة اليسيرة هو ١٠٨٠ ميلا أعني انه زاد في كل سنة في السكك الحديد ٨٣ ميلا انكليزيا تقريبا وبيان فروع السكة الحديد كما ترى

مطلب في بيان فروع السكة الحديد

	ميل		ميل
السكة الطوالي من اسكندرية الى القاهرة خطان	١٣١	من طنطا الى شربين ودمياط	٠٢٥
من بنها الى الزقازيق خطان	٠٢٤	من القاهرة الى المنية	١٥١
من قليوب الى المنصورة	٠٨٨ ٣/٤	من الجيزة الى ايتاى البارود	٠٨٥
من الزقازيق الى أبي حماد خطان والى السويس خط واحد	١٠٣ ١/٢	من المنية الى الروضة	٠٢٥
من طنطا الى المنصورة بالمرور من سمنود	٠٣٣	من الروضة الى أسيوط	٠٥٣
من طنطا الى شبين الكوم	٠١٨ ٣/٤	فرع الفيوم من الواسطة	٠٢٥
من ميت برة الى بنها	٠٠٨	فرع أبي الوقف	٠٠٨
فرع القناطر الخيرية من قليوب	٠٠٧ ١/٢	فرع بني مزار	٠٠٩
فرع العباسية والقبة	٠٠٣	فرع أبو اكسه	٠١٦

والهمم كانت متوجهة الى تركيب خط السودان وقد حصل بالفعل تركيب بعضه وتعين من يلزم من المهندسين والعمال بمعية سعادة شاهين باشا المباشرة عمل الخط الواصل الى شندى ولكن صار الاعراض عن ذلك الآن والرأى الذى كان صار التصميم عليه بمعرفة المهندس الانكليزى فاولر أن التجارة تسير على النيل فى المسافات السهلة الخالية عن الموانع وتسير على السكك الحديد فيما عدا ذلك وحيث ان أصعب طريق السودان هو خط العطمور لطوله وخلوه عن الماء وشدة حره جعل فى هذا الطريق شريط يبتدئ من وادى حلفة ويمشى على الشاطئ الأيسر من النيل فى ناحية مطامه فى مواجهة ناحية شندى الواقعة على الشاطئ الأيمن وطول هذا الخط ٨٨٩ كيلومترا والخط المذكور يصير تكميله فيما بعد من جهة بحرى بخط يوصله الى ناحية اسوان ومن الجهة الشرقية القبلية بخط يوصله الى ناحية مصوع وفى طريقه يمر بناحية كسله والمسافة التى بين وادى حلفة ومطامه جعلت أربعة أقسام صمم فى القسم الاول على عمل ست محطات

			كيلومتر
الاولى وادى حلفة تقسم اتكون رأس الخط			
الثانية فى ناحية ساروس على بعد ٥٢ كيلومترا من وادى حلفة		الرابعة عكاشة على بعد	١٤٧
		الخامسة عمارة على بعد	٢٠٣
الثالثة انسجول على بعد	١٠٢ كيلومتر	السادسة كوهى على بعد	٢٥٧

والقسم الثانى يشتمل على تعدية النيل عند ناحية كوهى والقسم الثالث من كوهى الى ناحية أبى عاقول وطوله ٣٤٩ كيلومتر وفيه عشر محطات

	كيلومتر		كيلومتر
الاولى فى كوهى بالشاطئ الايسر على بعد	٢٥٨	والسادسة خندك على بعد	٤٦٢
والثانية مقر بندر على بعد	٣١٠	والسابعة دنقله القديمة على بعد	٥٠٨
والثالثة حلاك على بعد	٣٥٢	والثامنة ضبة على بعد	٥٤٢
والرابعة عرضه أودنقله الجديدة على بعد	٣٩٦	والتاسعة أبودهين على بعد	٥٩٦
والخامسة لبيى على بعد	٤٣٢	والعاشرة ابوعاقول على بعد	٦٠٦

والقسم الرابع من أبى عاقول الى شندى وطوله ٢٨٣ كيلومتر ويمر بصحراء بهندى وينتهى الى محطة مطامه على بعد ٨٨٩ كيلومترا وتقف الوابورات فى الطريق خمس مرات لاخذ المياه الأولى فى كوزوكاكار والثانية فى الهويجات والثالثة فى أبى حلفة والرابعة فى جبل النوس وأبى كلاوفى التصميم المذكور جعل عرض الشريط ١٫٢٨ مترا وثقل القضبان ٢٤٫٨ كيلوجرام فى كل متر والميل $\frac{1}{٥}$ فى النهاية الصغرى ونصف قطر الانحناء للاقواس فى هذه النهاية ٥٠٠ قدم انكليزى عبارة عن ١٥٢٫٤ مترا وقدر العمل ثلاث سنين والمصرف أربعة ملايين جنيهات انكليزى منها ٢٥٠٠٠٠٠ لما يشترى من الخارج والباقى وهو ١٥٠٠٠٠٠ لما يتحصل من القطر ومقدار الحفر والردم اللازم عمله لوضع الشريط وذلك فى أراض متنوعة من أحجار وصوان ورمل وطين وغيره ٣٣٨٤٦٩٠ مترمكعب وتوزيع المصاريف على هذه العمليات هكذا

فى عملية الاتربة والاحجار	٠٢٨٠١٤٤	آلات ومهمات تلغراف	٠٤٤٥٣٧
ثمن القضب باعتبار ٩٧ طونولاتو	٢٦٧٤٥١٢	تكاليف عدد ٢١ محطة	١٧٩٤٠٠
تكاليف قنطرة حديد على النيل عند ناحية كوهى	٠٢١٢٧٥٠	ثمن الوابورات عدد ٦٦ والعربات عدد ١١	٣٣٠١٦٥
		ماهيات المهندسين والمفتشين	١٥٥٢٧٢
ثمن مبانى مكعبها ٥٤٥١٣ مترمكعب	٠١٢٣٢١٨	تقريبا	٤٠٠٠٠٠٠

وبالجملة

وبالجملة فان مقدار ما تم الآن من خطوط السكك الحديد بنسبته الى أرض الزراعة وأهل القطر شئ كثير جدا اذا قارناه بالموجود من ذلك عند بعض الدول الاوروباوية نجده أكثر منه وذلك أن ١٣٢٠ ميلا الموجودة الآن بهذه الديار وهى عبارة عن ٢١١٢ كيلومترا هو أكثر من ٤٥٨ كيلومترا الموجودة فى بلاد الفلمنك وأكثر من ٤٧٢ الموجودة فى بلاد سويجرة وأكثر من ٨٧٦ الموجودة فى بلاد الدينمارك ومن ٧٨٧ الموجودة فى بلاد البرتغال وبمقارنة الموجود فى الديار المصرية بعدد أهلها يخص المليون من الاهالى ٤٢٢ كيلومترا وهذه النسبة فائقة فوقانا كايا على مثلها من ممالك كثيرة فان المليون من الانفس فى مملكة ايطاليا يخصه ٢٣٩ كيلومترا وفى بلاد النمسا يخصه ٣٣٥ وفى اسبانيا ٣٣٠ وفى البرتغال ١٩٧ ويقرب من ذلك بلاد البلجيكا فان المليون فيها يخصه ٥٩٨ وكذا بلاد الالمانيا فان المليون من أهلها يخصه ٥١٤ وكذا مملكة فرانسا اذ النسبة فيها ٤٨٣ وبالنظر للمنقولات على السكة الحديد يعلم أن فائدتها بمصر من أعظم الفوائد للقطر وأن حركتها الايضاحية غيرها من البلاد الاخر مثلا اذا قارنا الجارى عندنا بالجارى فى بلاد الروسيا نجد أن منقولات الاشخاص فائقة فى مصر عن تلك المملكة ومنقولات التجارة بالعكس لان ما نقل من الاشخاص بالخطوط المصرية فى سنة ١٨٧١ ميلادية اذا وزع على عدد الكيلومترات يخص الكيلومتر الواحد ١٠٠٧ أشخاص واذا طرحت من متحصل المنقول من الاشخاص جميع الواردين على مصر من الجهات الهندية الى جهة أوروبا وبالعكس يكون ما يخص كل كيلومتر واحد من عدد المنقولين فى هذه السنة من المقيمين بالديار المصرية وأهلها ٩٩٣ وبتوزيع المنقولين على سكك الحديد المسكوبية فى سنة ١٨٧١ ميلادية وهو ٧١٨٧١٤٦٩ وعلى طول الخطوط الموجودة يكون ما يخص الكيلومتر الواحد ٨٤٠ شخصا وهو أقل مما خص هذه المسافة بمصر بقدر ١٥٣ شخصا وأما المنقولات من البضائع فما يخص الكيلومتر الواحد فى مملكة الروسيا ٦٧٩ طونولاتو وفى مصر ثلث ذلك **(محطات السكة الحديد)** من المعلوم أن كل عمل لا بد له من صعوبات فى مبدا الشروع فيه ولاشك ان السكك الحديد من أجسم الاعمال لاحتياجها الى كثير من العمليات والمبانى اللازمة لتوطينها وتثبيتها وادارة حركتها واجراء مقتضياتها وسكنى مستخدميها وغير ذلك من مصالحها وكل ذلك يحتاج فى عمله الزمن ومصرف وتكثير المستخدمين واستدامة الفكر فيه حتى يتم وينتظم أمره وفى ابتداء الشروع فى هذا الامر الجليل لم يمكن أبناء الوطن القيام بكافة الاعمال التى تلزم لادارة هذه المصلحة لعدم معرفتهم فى ذلك الوقت باتقان لوازمها لقرب عهدها بينهم فلزم استخدام الاجانب معهم لتتميم ضرورياتها فانه بعد اتمام الجزء الذى استعمل من السكة الحديد الى وقت جلوس الخديوى اسمعيل باشا على التخت لم تستوف الشروط الضرورية لهذا العمل ولم يبن الا محطة مصر واسكندرية وأما باقى المحطات فكان فى بعضها أخصاص من خشب وفى بعضها بناء من الطوب النئ والدبش على هيئة غير هندسية وفى جميع المحطات كان الاقتصار على رصيف للركاب من غير أن ينظر لراحتهم ووقايتهم من حر الصيف وبرد الشتاء ولا الى ما يلزم للمحطات من الفرش وأدوات الجلوس والاستراحة بل كانت مجردة عن ذلك ولا الى حركة الوابورات الواردة والصادرة على وجه يجلب منافعها ويدفع مضارها والمحطتان المبنيتان وهما محطة مصر واسكندرية وان وجد فيهما بعض من المبانى اللازمة لتلقى أمتعة الركاب وبضائع التجار لكن لم يكن ذلك كافيا لما يلزم لهذه المصلحة فكان ما فيهما من الابنية اما غير كاف للبضائع واما غير مستوف لشروط حفظها وان أضيف الى ذلك ان جميع المستخدمين بالمحطات كالوكلاء والمعاونين وجميع خدمة الوابورات والقطورات والمخازن كانوا بهيآت لا يتميزون بها عن بعضهم وان أكثرهم كان من الاجانب الذين لا معرفة لهم بلغة هذه الديار ولا باحوال أهلها يعلم أن الحالة التى كانت عليها السكة الحديد المصرية فى تلك المدة غير مستحسنة فلذا كانت عديمة الأرباح كثيرة الخسارة والمضرات داعية الى النفور وليس ذلك هو الغرض المقصود من انشائها وكان رؤساء المصلحة دائما حريصين على استقامة أمورها وتتميم لوازمها لكن لما لم يزد ايرادها ويحصل المقصود منها لم يتم لهم ذلك بل كانت النتيجة السنوية دائما بالعكس ولعل سببه اما عدم وقوفهم على ما يناسب من الاعمال واما ان الاعمال كانت لا تتم على الصورة المرغوبة لهم بسبب جهل المأمورين بمباشرة العمل فنتج من ذلك تلف أكثر المهمات والعربات والوابورات ولم تتدارك المصلحة تعمير ذلك فى أوقاته لان ايرادها كان دائما فى النقص بخلاف

مصرفها وكانت ورشة العمليات المجعولة للعمارة غير كافية ولا مستوفية لشروط العمارة كما يجب اما النقص بعض العدد والآلات واما لقلة العمال ومن كثرة الوارد على الورشة المذكورة من جميع الخطوط امتلأت حتى لم يبق فيها متسع لما يعمر بها فاضطرت المصلحة لخزن بعض ذلك فى جهة القبارى وباب العزب وعلى الاشرطة المجعولة مخازن لذلك فى بعض المحطات المتوسطة ولم يكن سبب التلف ما ذكر فقط بل من أسبابه أيضا رداءة الفحم وعدم السقائف فوق أشرطة المخازن لان شدة حرارة الشمس فى فصل الصيف كانت تؤثر فى خشب العربات فتنفصل ألواحها عن بعضها وكذلك اهمال دهنها وتراخى المفتشين والملاحظين ووكلاء المحطات حتى ترتب على ذلك ضياع أموال عظيمة باسم العمارة فى ورشتى بولاق واسكندرية ومع ما كان يظهره المأمورون من الغيرة والاجتهاد كان التلف دائما فى الازدياد حتى احتيج فى آخر زمن المرحوم سعيد باشا الى الاستعانة بورشة كازستين الواقعة على شاطئ المحمودية بالاسكندرية ولما عظم مقدار المحتاج من الوابورات الى التعمير وشوهد أن بقاء الامر على ما هو عليه يضر بادارة السكة الحديد ويوجب تأخرها وربما ينشأ عنه تعطيلها عن الحركة بالكلية صار القرار بارسال جملة وابورات الى بلاد الانكليز لاجل تعميرها هنالك وصدر الامر بذلك من المرحوم سعيد باشا وشرع فى ارسالها بالفعل فلم ينتج من ذلك الا ثمرات جزئية ولما آل أمر الحكومة الى جناب الخديوى اسمعيل باشا وجه جل افكاره السنية الى تكميل السكة الحديد بما يلزم لها مما يجلب اليها رغبة الركاب والتجار لعلمه ان ايرادها تابع لقدر الرغبة فيها قلة وكثرة ومن المعلوم ان الرغبة لا تتم الا باتمام موجبات الحفظ والوقاية فى كل محطة مع مراعاة ما يلزم للركاب من الرفق بهم وحسن المعاملة معهم وتامين أرباب البضائع على بضائعهم فصدرت أوامره السامية بما يلزم لهذه المصلحة والاعتناء بشانها وفى أواخر سنة ١٨٦٨ ميلادية الموافقة سنة ١٢٨٥ هجرية قد حفنى العزيز بانظاره السنية وشملنى باحساناته البهية وقلدنى نظارة هذه المصلحة مع ما كان محالا على من لدن سدته من المصالح فاعملت فى ذلك جل افكارى وصار الاهتمام ببناء جميع المحطات بسائر ملحقاتها وما يلزم لها حتى ظهرت فى أقرب وقت وكان أول ما حصل الاهتمام به على الخطوط القديمة والجديدة التى حدثت فى الوجه البحرى والقبلى محطة اسكندرية لانها مجمع المتاجر الواردة والصادرة فمتى استوفت لوازمها وسهل الشحن والتفريغ بها وأمن التجار على بضائعهم من التلف أقبل الناس على استعمال السكة الحديد خصوصا اذا قلت الاجرة بها عن أجرة البحر وفى ذلك الوقت لم يكن بتلك المحطة مخازن للبضائع بل كان جميع الصادر منها واليها مطروحا على أرض المحطة بين القطورات والوابورات حتى كانت براميل الزيتون والمائعات والادهان مرمية مع الاخشاب وفى خلالها طرود الاقمشة وأصناف المنسوجات وأكياس القطن وزنابيل الحبوب فكان يعسر على المستخدمين نقلها وتكرر من أصحاب البضائع الشكوى لما كان يلحقهم من المصرف الزائد فى أجر العتالين والعربات لان الاجرة اذ ذاك كانت كثيرة وكانت العربة اذ ذاك لا تحمل الا نصف حملها الآن بسبب عدم استواء أرض المحطة مع كثرة الاتربة الموجب كل ذلك لتعب الحيوانات وتعطيل السير لاسيما فى فصل الشتاء لزيادة بلل البضاعة بماء المطر وتلويثها بالطين والوحل ومع وجوب الالتفات لهذه الامور كلها كان هنالك ما هو أهم منها كحفظ مهمات السكة كالعربات والوابورات من فعل الحرارة والرطوبة والاتربة وعماراتها بأوقاتها ولكون هذه المحطة كما قلنا مجمع جميع العربات والوابورات كان يجتمع بها الصحيح والمتخرب فكان خدمة المحطة اذا وجدوا المجتمع هنالك قد زاد زيادة فاحشة يحفونه فى جهة القبارى وباب العزب وفوق سكة مربوط حتى انى رأيت وقت توجهى الى تلك المصلحة اربعمائة عربة متخربة فى تلك الجهة خاصة وكان الذى يعمر منها مع قلته يعمر بمهمات عربات أخرى فكانت عمارة العربة الواحدة تستوجب تخريب عربتين وأكثر وعمارة الوابور الواحد تستلزم تخريب وابور مثله وهذه الامور كانت جارية من سنة الى سنة وكثر التلف وعم حتى كان قطر الركاب يغير له الوابور مرارا من اسكندرية الى مصر واشتهر هذا الامر وكثر لغط الناس به واستوجب زيادة النفرة عن السكة الحديد وعدلوا الى ركوب البحر فرأيت ان الواجب علينا التحقيق ما أملته الحضرة الخديوية ان نبذل غاية الجهد فيما يقوم بشعائر تلك المصلحة ويزيل النفرة عنها ويجلب الرغبة فيها فشمرت عن ساعد الجد وبذلت الجهد وشرعت فى عمل الطريق الجالبة للرغبة وصيانة المهمات وعمارتها وأول أمر التفت اليه تنظيم الطرق الموصلة للمحطة ودكها بالدقشوم وملئها بالرمل ليسهل على عربات الكراء السير عليها مع تمام حملها وتزول

المشقة التى كانت قبل ثم تسوية المحطة جميعها ودكها أيضا بالدقشوم والرمل مع تجديد أرصفة غير القديمة بعضها فى الجهة المجاورة للمحمودية وبعضها فى الجهة المجاورة للقبارى وتخصيص كل بما يليق به من البضائع وأعطيت تلك الارصفة من الابعاد والامتداد ما يلزم لها ويكفى الصادر والوارد حتى أمكن رسو ست قطورات أو ثمانية عليها فى آن واحد وجعلت موصلة لطرق عربات الكرو وبحيث لا يكون عائق للعربات عن أن تصل الى محل البضاعة فيستغنى بذلك عن العتالين فى كثير من الاحوال وصار نصب سقيفتين عظيمتين فوق تلك الارصفة وجدت احداهما فى المصلحة نفسها كانت ملقاة من زمن مديد على ساحل البحر حتى أكل الصدأ والتراب كثيرا من قطعها فاشترى لها مهمات كملت بها ونصبت هناك على يسار الوارد على المحطة والثانية جلبت من البلاد الاجنبية فى ضمن مهمات وآلات وسقيفة أخرى لمحطة الحوض بالسويس صارت التوصية على الجميع من الحكومة الخديوية وهى المشاهدة فى جهة المحمودية عن يمين الداخل على المحطة وجعلت أرصفة منها للشحن أخشاب العمارات والاخشاب الداخلة فى جهات القطر وأرصفة للاقطان والابزار والحبوب وغير ذلك فنتج من هذه الاعمال ثمرات عظيمة للمصلحة وكثر ايرادها لان التجار لما علموا سهولة الشحن والتفريغ وصيانة بضائعهم أقبلوا على السكة الحديد وقل سفر البحر ولكن دفع جميع المضار كان متوقفا على نصب سقائف فى محطات مجمع الوابورات مثل محطة كفر الزيات وبنها والزقازيق والمحروسة وعلى تعدد ورش العمارة لكن عظم المصرف اللازم لذلك أوجب تأخير بعضه والاقتصار على الممكن منه وقد رخص فى محطة اسكندرية باحداث ورشة مؤقتة وجلب ما يلزم لها من العمال والاسطوات وأحيل عليها العمارة الخفيفة وحصل مثل ذلك فى محطتى بندر السويس وكفر الزيات وفى ورشة العربات فى محطة مصر وأجرى تكميل الآلات الناقصة بما جلب من الخارج بالشراء وما وجد فى المصلحة نفسها وترتب وابورلوكومبيل لادارة الجميع وصار امتداد أشرطة حديد داخل الورشة متصلة بالسكة الاصلية ولاجل استقامة العمل وظهور نتيجته عمل لذلك استمارات وزعت على كافة الورش وصار ترتيب ملاحظين على جميع الخطوط من المهندسين الميكانيكيين ليشاهدوا الوابورات والعربات فى حال الحركة والسكون ويكتبوا جميع ما يشاهدونه مما يخص المصلحة ثم يعرضون ما كتبوه لديوانها لتأمر بما يلزم من عمارة أو ايقاظ السواقين لصيانة العدد أو تنبيه الوكلاء وخدمة المحطات على زيادة الالتفات واجراء ما يلزم فى حفظ المهمات وصيانتها فكان ذلك يحمل المستخدمين على زيادة الملاحظة واعمال الافكار فيما هو مطلوب منهم فحصل من ذلك نتائج حسنة لكن لم تعظم المنافع الا بعد تنظيم ورش العمارة الوقتية واستيفاء اشرطة لتخزين الوابورات فى محطة الاسكندرية وفى المحطات الوسطى وبناء المساكن الكافية للمستخدمين وأهم من ذلك اتمام تنظيم ورشة العمليات فانها الى ذلك الحين كانت عبارة عن أرض متسعة مشتملة على كثير من المبانى الخربة خلال العنابر والمخازن وبها برك عفنة وليست مستوفية للاشرطة اللازمة وكان الموجود من ذلك على هيئة غير مرضية بحيث كان يحتاج فى اخراج كل عربة أو وابور مما هو مخزون به الى ضياع كثير من الزمن واستعمال جملة من الانفار وكانت المهمات على اختلاف أنواعها من صالح وغير صالح مختلطة ببعضها بحيث يتعسر أخذ ما يلزم منها لكثرتها وتراكمها فوق بعضها حتى صارت تلولا وكانت تحتاج الى العتالين فى نقلها من المخازن أو اليها وعنابر العدد وان كان بها كثير من العدد والآلات الا انها كانت معطلة لنقص بعضها وعلو الصدأ والاوساخ على الباقى لاهماله وكان كل ما تجدد بها شئ يرجع اليها ثانيا متخربا بعد أيام قلائل بل ربما رجع اليها فى يومه ولم يكن هناك استمارات لبيان عمل كل عامل ولا قوانين لبيان ما يلزم السواقين فى الخطوط والملاحظين فى الورش وكان أغلب السواقين ليس فيه الاستعداد اللائق لوظيفته وكثير منهم دخل بلا امتحان وشهادة تدل على أهليته لتلك الوظيفة وأكثرهم كان من أولاد العرب العطشجية لا يدرى ما يختص بالبخار وأحواله بل يجهل جميع ما يتعلق بالسكك الحديد والوابورات ويندر فيهم من يعرف الكتابة والقراءة وكل ذلك مما لا يخفى ضرره وكانت المصلحة مع عدم خفاء ذلك عليها تغض الطرف عما يقع منهم بسبب قلة مرتباتهم وترى ان فى ذلك وفرا وربحا عن استخدام المتقنين للصنعة من الافرنج وغيرهم بسبب زيادة مرتباتهم مع انها لو نسبت ما يوفره المتقنون للصنعة مع زيادة مرتباتهم الى ما يصرف فى عمارة ما يفسده غير المتقنين لها لعلمت ان كثرة مرتبات المتقنين قليلة بالنسبة لذلك فكانت ترجع عن هذا الرأى وتأخذ فى ابعاد كل جاهل بالمصلحة وتنتخب من

تلامذة المدارس بجملة تربيتهم فى الورش حتى يتقنوا ذلك الفن ويتأهلوا للقيام بتلك المصلحة على الوجه المرغوب ولا
تستعمل من الخدمة الا من له قدرة على القيام بما فيه الارجحية الى حين تمام تربية التلامذة واستعدادهم ولو قدر
وشرع فى هذه الفكرة من وقت انشاء السكة لصار الاستحصال بعد ذلك بسنين قليلة على جميع اللازم من المستخدمين
فتزول المضار وتجلب المنافع والفوائد العظيمة من تلك المصلحة ولكن حصل السكوت عن ذلك الى زمن الخديوى
اسمعيل باشا فصدرت أوامره السنية بانشاء مدرسة العمليات بقصد تربية تلامذة من أبناء الوطن يقومون بوظائف هذه
المصلحة وامثالها من سواقين ومهندسين للوابورات البرية والبحرية وفى اثناء تلك المدة صار الاهتمام بتعمير المتخرب
من الوابورات البعض فى ورشة المصلحة والبعض أرسل الى بلاد الانكليز ليعمر هناك بالاجرة ورتبت رجال العمارة
بالنسبة لدرجاتهم فى الاستعداد وكذا السواقون وعملت جداول لجميع الوابورات مشتملة على تاريخ مشتراها
وبيان الورش التى جلبت منها وعدد العمارات التى حصلت لكل وابور على حدته ومقدار الاميال التى مشاها وكمية
ما نقله من البضائع وكل ذلك ليتأتى مقارنة بعضها ببعض ومعرفة درجات استعداد السواقين وتقرر عدد الوابورات
التى يلزم ادامة حركتها على الخطوط بالنسبة لطول الاشرطة المصرية وعدد الوابورات اللازم بقاؤها بالمخازن
لوقت الحاجة ولا تشغل الا بأوامر مخصوصة تصدر من ناظر مصلحة العموم ثم صار النظر فى ترتيب المحطات
وعملت لوائح الاجراآت ووزعت عليها وصار ترتيب المعاونين للارصفة والمخزنجية ونقلهم بحسب الاستعداد
وأهمية المحطات وجعل أغلبهم من ابناء المدارس المتعلمين فى ظل الحضرة الخديوية الذين صار لهم معرفة بفن
التلغرافات ونقل كثير من الافرنج الى وظائف تليق بهم فحسن بذلك حال المصلحة وسارت فى طريق الاستقامة
حيث صار جميع خدمة تلك المصلحة عارفين بحدود وظائفهم ومالهم وما عليهم على حسب مقصود الحضرة الخديوية
التى غمرتهم فى بحار احسانها وأخذ الايراد ينمو والتلف يضمحل حتى كانه لم يكن ومن الاعتناء بأمر راحة الركاب
فى كافة المحطات وفوق الخطوط ازدادت رغبتهم ومالوا بكليتهم الى ركوب السكة الحديد لاسيما بعد نقص الاجرة
المقدرة من قديم لكل درجة فقد كانت عالية خصوصا الدرجة الثالثة فانها كانت مع كثرة اجرتها لا راحة فيها
للركاب فان أغلبها كان يشبه عربات البهائم وكانت مكشوفة للرياح والاتربة وحر الصيف وبرد الشتاء مع عدم
تلطف خدمة القطورات بهم فكانوا دائما ساخطين على المصلحة لا يرغبون فى ركوبها الا لضرورة شديدة بخلاف
ما هى عليه الآن فقد جعل لاغلبها سقائف ودرابزينات وتوزعت على الخطوط واستعملت فى الدرجة الثالثة بأقل
من الاجرة الاولى وصار الزام خدمة القطورات بملاطفتهم وحسن معاملتهم ولما كان مدار ايراد المصلحة على التجارة
كان الاعتناء بشأنها ألزم من غيره لان أجرة الركاب قد لا تفى بالمصاريف خصوصا قطارات الدرجة الاولى فان
مصاريفها أكثر من ايرادها فصار النظر فيما يوجب رغبة التجار فى استعمال السكة فى متاجرهم فوجد أن اللازم لذلك
ثلاثة أشياء الاول نقص أجرة البضاعة فى السكة الحديد عما يصرف عليها لو سافرت برا أو بحرا والثانى الاسراع بها
حتى تصل المحل المنقولة اليه فى زمن أقل مما كان يلزم لنقلها بغير السكة الحديد والثالث حفظها من جميع الغوائل
كالحرق والسرقة والبلل وغير ذلك فأما الثانى والثالث فقد تم بما عمل من الاستمارات التى نشرت فى جميع المحطات
وبما بنى من السقائف وما جعل لتغطية العربات وأما الامر الاول وهو أهمها فقد عمل بخصوصه جميع وسائط
الترغيب مثل عقد تعهدات مع التجار بنقص قدر معلوم من أجر بعض الاصناف لمشاهير التجار وبنقص عشرة
أو أكثر فى المائة من جملة أجرة المنقول فى كل ثلاثة أشهر أو ستة أو سنة وربطت لها درجات وحررت بذلك تعريفة
مؤقتة طبعت ونشرت على المحطات والدواوين وأكابر التجار ووجوه الناس وحدد لكل عربة قدر ما تحمله ورتبت
جملة ملاحظين لمباشرة ذلك بالضبط حتى لا تسير العربات الا بأحمالها الكاملة ومع كون هذه المسألة من أهم المسائل
كانت غير ملتفت اليها وكثيرا ما كان القطر المركب من أربعين عربة وحمولته مائتا طن لا يحمل الا ربعه أو نصفه
مع ان المصلحة تصرف على الوابور مصرفه كاملا وهذا ضرر بين موسع لدائرة الخلل معطل للتشغيل فبتلك الاعمال
الجليلة عظمت رغبة التجار فى استعمال السكة الحديد وانهالت البضائع على اختلاف أنواعها على جميع المحطات
تجارية وزراعية حتى البطيخ والخيار والاسماك والحجر والدبش والرمل والحطب والسباخ لكن لم يكمل مرغوب

المزارعين

المزارعين من نقل محصولاتهم الى الاسواق أو الى بلد أخرى من مراكز التجارات الريفية لان هنالك موانع كثيرة تمنعهم من هذه الاغراض مثل بعد الخطوط عن البلدان فى كثير من الجهات وبعد كثير من البنادر والقرى الشهيرة والاسواق عن تلك الخطوط وكذلك بعد بعض المحطات عن بعض أو كونها فى مواضع غير موافقة وغير ذلك وهذه المسئلة لاهميتها تستوجب على المأمورين ادامة البحث والنظر فيما يرفع هذه الموانع ويوفى برغبة الاهالى حتى يتمكنوا من جميع اغراضهم وهذا لا يكون الا بقدح الفكر ومباشرة العوائد زمنا وكثيرا ما قدح نظار هذه المصلحة أفكارهم فى ذلك ولم يفوزوا بالمقصود الى الآن ولم تنتفع مصلحة السكة الحديد الا بنقل شئ يسير من محصولات الزراعة مع انها لو توصلت الى ذلك لنما ايرادها نموا عظيما وربما كان قدر الموجود الآن مرتين أو أكثر وما فضل المصلحة الا باتساع دائرة أعمالها اذ ادخل بلاد القطر اذ كان يحصل النفع لها بكثرة الايراد ومنها الاهل الوطن بتوفير الاجرة عليهم فيتحصلون على ارباح عظيمة من البيع بالاثمان الموافقة فى الاوقات اللائقة فان سير التجارة الآن لم يكن كسيرها السابق بل فى اليوم الواحد أو الاسبوع بسبب التلغراف الكهربائى الواصل لجميع البقاع ربما تتغير قيمة الصنف والرغبة فيه مرارا فيحصل الاسراع للمقصود والفوز به فى وقته بواسطة السكة الحديد ومن يتأمل يرى حقيقة ذلك ولا ينكره ولم نذكر جميع مصارف باقى المحطات لانا سنذكر كلا فى محله ونكتفى هنا بما ذكرنا وانما نورد الجدول الآتى لبيان محطات السكة بالاختصار (بيان المحطات فى الوجه البحرى) الخط الطولى من مصر الى اسكندرية الزمن الذى يستغرقه السفر على هذا الخط بوابورات الاكسبرس أربع ساعات ونصف وبغيره ٦ ساعات وعدد محطاته اثنا عشر وبيانها محطة الاسكندرية محطة كفر الدوار محطة أبى حمص محطة دمنهور محطة ايتاى البارود ومنها يبتدئ خط قبلى محطة كفر الزيات وعادة يتعاطى فيه السياحون الطعام محطة طندتا وهى طنطا محطة بركة السبع محطة بنها العسل محطة طوخ محطة قليوب محطة القاهرة (خط السويس) من بنها الزمن الذى يستغرقه السفر على هذا الخط ٩ ساعات أو ١٠ وعدد محطاته ١٢ محطة بنها العسل محطة منية القمح محطة الزقازيق وفيها يتعاطى المسافرون الطعام محطة أبى حماد محطة التل الكبير محطة المحسمة محطة النفيشة محطة السرابيوم محطة فائد محطة حنيفة محطة الشلوفة محطة السويس (خط قليوب الى الزقازيق) يشتمل هذا الخط على سبع محطات محطة قليوب محطة نوى محطة شبين القناطر محطة انشاص الرمل محطة بلبيس محطة بردين محطة الزقازيق (خط المنصورة من الزقازيق الى المنصورة) زمن السفر فيه ثلاث ساعات ونصف ويشتمل على ست محطات كذلك محطة الزقازيق محطة هيهيا محطة أبى كبير محطة أبى الشقوق محطة السنبلاوين محطة المنصورة (خط دمياط من طندتا) زمن السفر فيه أربع ساعات وعدد محطاته ثمانية وبيانها محطة طندتا محطة محلة روح محطة المحلة الكبيرة محطة سمنود محطة طلخا محطة شربين محطة كفر الترعة محطة دمياط (خط دسوق) من محلة روح مدة سفره ساعتان وعدد محطاته خمسة بعد محلة روح ودسوق محطة محلة روح محطة قطور محطة نشرت محطة شباس محطة دسوق (خط زفته) من محلة روح مدة سفره ساعة ونصف وعدد محطاته أربعة محطة محلة روح محطة القرشية محطة الصنطة محطة زفته (خط ميت بره من بنها) مدة سفره نصف ساعة بما فيه من تعدية البحر وهو خط واصل من بنها الى ميت بره من دون محطات بينهما سوى تعدية البحر (خط القناطر الخيرية) من قليوب هذا الخط واصل من قليوب الى القناطر من دون توسط محطات بينهما (خطوط الوجه القبلى) خط المنية من انبابه مدة السفر فيه تقرب من عشر ساعات وعدد محطاته احدى عشرة محطة وبيانها محطة انبابه محطة الجيزة محطة البدرشين محطة الواسطة محطة اشمنت محطة بنى سويف محطة مغاغه محطة بنى مزار محطة قلوصنا محطة سملوط محطة المنية (خط الفيوم من الواسطة) مدة سفر هذا الخط ساعة وربع وليس بين مدينة الفيوم والواسطة الا محطة واحدة هى محطة أبى قصا (خط اسيوط من المنية) هى تسع محطات وبيانها محطة المنية محطة قرقاص محطة الروضة محطة ملوى محطة ديروط محطة نزالى أبى جنوب محطة أبى قره محطة منفلوط محطة اسيوط (التلغراف المصرى) جملة الخطوط التلغرافية فى الحكومة المصرية الممتدة فى داخل الاقطار المصرية والسودانية الى غاية سنة ١٢٩١ هجرية مبلغ ٨٣٥٩ ميلا انكليزيا وهى عبارة عن ١٠٩٩٤

خط المنصورة من الزقازيق الى المنصورة خط دمياط خط دسوق خط زفته خط القناطر الخيرية مطلب بيان عدد خطوط ومحطات الوجه القبلى خطوط الوجه القبلى خط الفيوم من الواسطة

خط اسيوط من المنيا التلغراف المصرى

كيلومتر والذى كان موجودا من ذلك الغاية مدة المرحوم سعيد باشا كما تقدم هو ٢٣٤٩ كيلومتر فيكون ما صار تجديده فى عهد الخديوى اسمعيل هو ٨٦٤٥ كيلومتر وهو قدر الموجود من قبل أربع مرات تقريبا وهذا خلاف ماهو مشروع فيه من مده من مصر الى اسيوط والى اسكندرية بطريق الساحل وخلاف الجارى من مده أيضا فى الاقطار السودانية مثل خط اسفار والمكسه وكردفان وغيره وبمقارنة طول ماهو موجود الآن فى الحكومة المصرية بطول الموجود من ذلك فى كثير من ممالك أوروبا يعلم ان الموجود من ذلك بالحكومة المصرية يفوق الموجود منها فى بلاد سويد والبلجيك والديمارك وبلاد الفلمنك والبرتغال وعدد المحطات بالديار المصرية فقط ٧٧ وان صار مقارنة حركة التلغرافات المصرية بحركة غيرها فانها توجد غير بالغة غايتها كما هو حاصل فى أكثر بلاد أوروبا وأسباب ذلك ان كثيرا من المصريين لم يتحولوا عن عادتهم القديمة بل مستمرون على حرمان أنفسهم من استعمال هذه الواسطة المفيدة ولو ذاقوا ثمراتها لازدحموا عليها ومع ذلك فقد بلغ عدد الاخبار التى تناولتها التلغرافات المصرية فى سنة ١٨٧١ ميلادية ٥٧٠ ألف خبر وهى أكثر من الاخبار التى تناولتها تلغرافات بلاد الديمارك وهى ٤٢٠ ألف خبر وقريب من الاخبار التى تناولتها تلغرافات بلاد نوروج وهى ٦٠٣ ألف خبر وتقرب أيضا من ٦١٢ ألف خبر تناولتها بلاد البرتغال وباسقاط عدد الاخبار الخارجة من المجموع السابق والاقتصار على الاخبار المختصة بأهل الديار المصرية يكون عددها ٥٦٠ ألف خبر وبنسبته الى تعداد الاهالى يخص كل ألف نفس مائة وعشرون خبرا وان عملت المقارنة فى بلاد آسيا يوجد ان الالف من أهل تلك المملكة يخصها ٦٢ خبرا أعنى نصف ما خص أهالى مصر وان فعل مثل ذلك فى ايتاليا يوجد انه يخص الالف ١١٨ فبواسطة ذلك يعلم ان مصر قد فاقت هاتين المملكتين وبيان جملة خطوط التلغرافات المصرية كما ترى

الخط	ميل انكليزى
ستة خطوط من مصر الى اسكندرية	٨٣٤
خطان من خطوط كثر يق بدائر مصر	١٠٠
خطان من مصر الى القناطر الخيرية	٠٣٦
خطان من مصر بطريق بنها	٥٦٦
خط واحد من مصر الى السويس	١٥١
خطان من مصر الى المنصورة	١٩٢
ثمانية سلوك متوسط عدد دوائر كل من مصر واسكندرية	٢٤٠
خطان من بنها الى ميت بره	٠١٨
خطان أو سلكان من بنها الى الزقازيق	٢٤٦
خطان من طنطا الى سمنود	٠٢١
خطان من سمنود الى دمياط	١٢٣
خطان من طنطا الى زفته	٠٦٦
خطان من طنطا الى ميت أبو الكوم	٣٨
خطان من طنطا الى دسوق	٠٩٢
من الاسماعيلية الى بورت سعيد	٠٤٦
من القنطرة الى بورت سعيد	٠٢٦
خطان من دمنهور والعطف الى رشيد	١١٢
خطان من أبى كبير الى الصالحية	٠٥٠
خطان من مصر الى حلوان	٠٤٠
خطان من مصر الى المنية	٣٤٤
خطان من المنية الى اسيوط	١٨٠
خطان من اسيوط الى قنا	٢٨٠
خطان من قنا الى اسوان	٣٢٠
خطان من اسوان الى وادى حلفه	٤٢٠
خطان من وادى حلفه الى قبة سليم	٢٩٠
خطان من قبة سليم الى الاوردى	١٢٠
خطان من الاوردى الى أبى دوم	٢٣٠
خطان من أبى دوم الى بربر	٤٩٠
خطان من بربر الى شندى	٢١٠
خطان من شندى الى الخرطوم	٢٢٤
خطان من كسله الى سواكن	٦٠٠
من بربر الى كسله	٤٠٠
خطان من قنا الى القصير	٢٣٤
خطان من كسله الى مصوع وفروعه	٤٤٠
خطان من الخرطوم الى المسلمه	١٦٠
من السويس الى الاسماعيلية وبورت سعيد	١٠٠
خطان من بنا الى الروضة	١٨٠
خطان فرع أبى تيج قبلى اسيوط	٠١٠
فرع الفيوم هو من الواسطة الى الفيوم ومنها الى أبى اكساه	٠٤١
من مصر الى ايتاى البارود بالبر الغربى	٠٧٤
خطان من محطة السويس الى محطة الحوض	٠٠٣
خطان من مكتب الكبانية الشرقية بمينا اسكندرية الى مكتبها بالقبارى	٠١٢

ومجموع

ومجموع ذلك ٨٣٥٩ ميلا انكليزيا وهذا هو الجارى استعماله لغاية سنة ١٢٩١ هجرية وأما الخطوط المشروع فى تركيبها فى وقتنا فهى

ميل انكليزى		ميل انكليزى	
خط كردفان سلك واحد	٤٠٠	خط سنار مثله	١١٠
خط السلمية الى أبى حراز	٠٥٠	من مصر الى اسيوط	٢٥٠
من مصر الى اسكندرية بطريق ايتاى البارود	١٥٠	من اسكندرية الى رشيد بطريق الساحل	٠٩٠

ومجموع ذلك ١٠٥٠ ميلا انكليزيا اذا أضيف الى ما تقدم بيانه يكون مجموع سكك التلغراف المصرى ٩٤٠٩ أميال انكليزية وهى عبارة عن ١٥٠٥٤ كيلومتر كل كيلومتر ألف متر وخلاف تلغراف الحكومة تلغراف تعلق قومبانية القنال من بورت سعيد الى السويس على طول القنال وقدره ٢٠٥ أميال انكليزية وتلغراف آخر تعلق كبانية مالطة وأخبارها ومنها مايصل من اسكندرية الى السويس باتباع السكة القديمة الخارجة من مصر مارة فى الصحراء وهى خطان طولهما ٤٥٨ ميلا ومنها مايصل باتباع السكة الجديدة وطوله ٤٥٠ ميلا انكليزيا فيكون مجموع أميال تلغراف الكبانيتين ١١١٣ وباضافته الى تلغراف الحكومة المصرية يكون جميع الخطوط التلغرافية بالديار المصرية والاقطار السودانية ١٠٥٢٢ عبارة عن ١٦٨٣٥ كيلومتر

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)



فهرس الأعلام

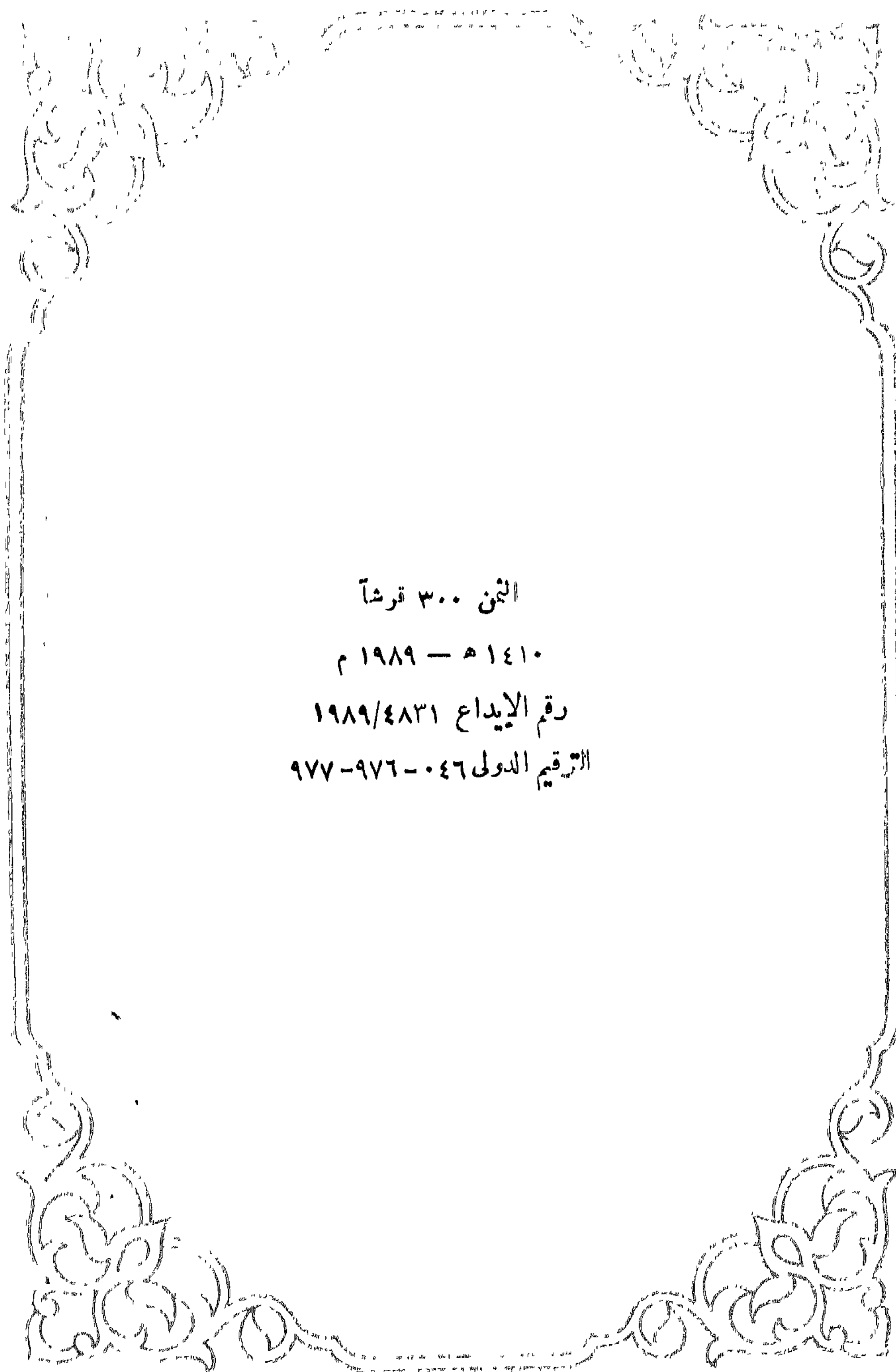
(ب)

فهرس الأماكن والبلدان

(خ)

(د)

(ص)



الثمن ٣٠٠ قرشاً

١٤١٠ هـ — ١٩٨٩ م

رقم الإيداع ١٩٨٩/٤٨٣١

الترقيم الدولى ٩٧٧-٩٧٦-٠٤٦